المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية

لغة الإشارة في صحيح مسلم

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في علم اللغة

مقدمة من الطالبة :

حنان عبدالله المصلح

الرقم الجامعي:43188376

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الحميد الأقطش

1436-1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث باللغة العربية

• يعتبر هذا البحث في موضوع علم اللغة، محاولة للكشف عن أسرار وخبايا لغة الإشارة المتنوعة عند الإنسان، من خلال مباحثه العامة، كما يعتبر محاولة جادة لدراسة استقصائية تحليلية لإشارات النبي صلى الله عليه وسلم التي نقلها الإمام مسلم خاصة، من خلال صحيحه.

• بدأت فيها بعد طلب العون من المولى بمقدمة وتمهيد تناولت فيهما أهمية التعبير غير اللفظي في تشكيل المعنى، وبعده التاريخي في لغة العر ب، وإرساء هذا النوع من المعرفة عند علماء العربية.

• كما تناولت علاقة اللغة بالفكر .بالإضافة إلى مصطلحات ومفاهيم مهمة في هذا المجال،

• كما شملت الدراسة عبر محطات البحث المتعددة، لغة الجسد عموما واستنطاق مختلف أعضائه، على تعددها، وتفاوتها، كالعين، واليد، والأصابع، والوجه، والرأس، والفم، وغيرها .

• كما تناولت عبر مباحثه لغة الإشارة وتقنياتها في الكتابة والنطق، وأنساق الإشارة وإيحاءات الدلالة، وتقسيم الحركات والإيماءات ، وأدواتها، وأفعالها، وأمثلتها، واتجاهاتها، ومظاهرها، وظروفها، وسياقاتها، ووظائفها، ثم ختمت بخلاصة لما تم التوصل إليه خلال البحث والدراسة، إضافة إلى فهرس للمصادر والمراجع الّتي اعتمدتها واستقت منها، والحمد لله أولاً وآخراً.

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

This research describes or express the knowledge of linguistics; it attempts to explore the secrets of the sign language in different humanity through the public chapter. It also considered as a serious attempt to analyzing studies of the signs of the prophet PBUH that has passed on especially from Immam Muslim. I started this research "after I seeked help from Allah" with an introduction which explains the importance of non-verbal expression in the formation of meaning, and establishing this kind of the knowledge with Arab scholars. I also focused on the relationship between thought and language, and I added some of the important concepts in this area. In addition, the study included the general movement of the body to examine the various senses. The variety and diversity such as eyes, hands, fingers, head, and mouth, etc. The research also addressed through the studies the sign language and the technical of writing and pronunciation. "And I divided the movements and gestures, tools, actions, trends, manifestations, conditions, contexts, and functions. I concluded with a summary of what has been researched through the research and study, also I added a catalog of sources and references, which I took advantage of it.

Thanks God before and after.

الشكر والتقدير

إلهي لا يطيب الليل إلّا بشكرك ولا يطيب النهار إلّا بطاعتك..ولا تطيب اللحظات إلّا بذكرك..ولاتطيب الآخرة إلّا بعفوك..ولا تطيب الجنّة إلّا برؤيتك، قال تعالى"لئن شكرتم لأزيدنكم "فالحمد لله والشكر له أولًا وأخيراً، وبعد:

مما يسعدني ويسرني أن أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل ذي القلب الواسع،والعقل النيّر،الذي لم يبخل علي بعلمه ووقته،فكان نعم المشرف ونعم المعين،

الأستاذ الدكتور: عبدالحميد الأقطش.

وكذلك الشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة على تحملها عبء فحص وتقييم الرسالة،عميد الكلية الدكتور:عبدالله ناصر القرني،وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا العربيةالدكتور:إبراهيم الغامدي،وأعدهما أنني سأفيد من ملحوظاتهما.فجزاهما الله عن العلم خير الجزاء.

ولايفوتني أن أتوجه بالشكر وعظيم التقدير إلى جامعة أم القرى ،الصرح العلمي الشامخ في البلد الحرام،والذي طالما خرّج أجيالًا من العلماء من ذوي البصر والبصيرة،والذين هم منارة للسائرين في درب العلم والمعرفة.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى من به أكون انا ودونه أكون مثل أيّ شيء،إلى من علّمني العطاء بدون انتظار مقابل..إلى من يرسم لي ابتسامات الغد ويزيل عن عاتقي آلام الزمن ..إلى من أشعر بالأمان بوجوده..وأرى التفاؤل في عينه..والسعادة في ضحكته..ستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد،إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة..إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني..إلى سر الوجود..إلى من كان دعائها سر نجاحي..وحنانها بلسم جراحي..إلى من رافقتني منذ أن أن حملت الحقيبة الصغيرة.. ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة

أمي الحبيبة

إلى من بها أكبر وعليها اعتمد..إلى من سعادتها ومحبتها تمطر سمائي سعادة وتشرق شمسي من جديد..إلى من بوجودها أكتسب طهراً وقوةً ومحبةً لاحدود لها..

ابنتي الجميلة لمى

إلى صديقي ورفيق دربي..إلى من تطلعت لنجاحي بنظرات الأمل..في نهاية مشواري أوّد شكرك على مواقفك النبيلة..

خالي أحمد

إلى رفيقات الدرب..وصديقات العمر..إلى عطر أيامي..وزهراتي الجميلات..ونبض حياتي ..إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساندوني ويتنازلون عن حقوقهم؛لإرضائي والعيش في هناء..

أخواتي

مقدمة الرسالة

الحمد لله الذي تكفل بحفظ كتابه، وأنزله قرآناً عربياً غير ذي عوج، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والصلاة والسلام على أفصح البلغاء، وإمام الفصحاء، من أوتي جوامع الكلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فإنه لا يخفى على كل ذي لب سليم، ونظر صحيح قويم، ما للغة من أهمية في الحياة، ذلك أنها رابطة من أهم الروابط الاجتماعية تصل الإنسان بغيره، وتعينه على تحقيق أهدافه وتلبية احتياجاته، وهي إما منطوقة مسموعة، أو منقوشة مكتوبة، أو رموز بيانية معبرة توصل الفكرة وتشير إلى ما وضعت له، فالإنسان لا يستطيع أن يعبر عما يدور في خلده من فكر أو مضمون ما لم يجد اللغة الدالة عليه، ولذلك علم الله الإنسان وألهمه هذه اللغة التي يتفاهم الناس بها، فهي هبة الله للبشر، وأعز نعمة منحها لهم، وميزهم بها عن غيرهم من دواب الأرض قال تعالى: "وعلم آدم الاسماء كلها"(١)، على أن للغة العربية مزيتها وخصوصيتها فهي لغة غنية بالدلالات والإشارات، تتسع مساحتها باتساع فهم الإنسان وتعبيره، وتتنوع بتنوع أعضائه وجوارحه وشعوره، حتى أصبح مستودع التعبير اللغوي يحمل- بالإضافة إلى الكلام المنطوق- كما هائلا من التعبيرات غير اللفظية، فاللغة إذن كما أنها ألفاظ وكلمات منطوقة، فهي كذلك إشارات وعلامات يهتدى بها إلى المقاصد والمعاني، كالحركات التي تصدرها أعضاء البدن من رفع، وخفض، وقبض، وبسط، ومد، وإيحاء، وإيماء، وإشارة، ونظر، وتمعر، وغيرها من تعبيرات الجسد.

ونظرا لأهمية هذه اللغة "لغة الإشارة" وما توحي به من الدلالات وما توصله من المعاني والأفكار، ونظرا لما للسنة النبوية من أهمية في حياة المسلم، وما تتطلبه من فهم مقاصدها والغوص في معانيها، والتعرف على مراد صاحبها عليه أفضل الصلاة

١- سورة البقرة،آية٣١.

وأتم التسليم، ولما تحويه –كذلك- من شرف التعبير، وعمق الدلالة، وقوة الإشارة، وتمام المعنى، فقد أوتي صاحبها جوامع الكلم.

لهذه الأسباب وغيرها، جاءت هذه الدراسة التي هي بعنوان" لغة الإشارة في صحيح مسلم" لتنال شرف التعرف على الأبعاد الدلالية للإشارة بمختلف أنواعها ومضامينها في صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري رحمه الله، خدمة لسنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإسهاما في التعرف على شيء من كنوز تراث هذه الأمة، وفتحًا لباب البحث والنظر في لغة الإشارة في اللغة العربية لغة القرآن والسنة.

هذا وما كان من صواب فمن الله الهادي إلى الصراط المستقيم، وما كان من خطأ فمن نفسي، وأعوذ بالله من شرها وشر الشيطان الرجيم، والله من وراء القصد.

أهمية الموضوع:

لقد لقيت اللغة في مختلف جوانبها وأدواتها، اهتماما كبيراً من الباحثين والدارسين قديماً وحديثاً، وشغلت حيزاً واسعا من الفكر الإنساني خلال تاريخها الممتد عبر الزمان والمكان، ولم يكن الجسم الإنساني بمنأى ولا بمعزلٍ عن هذا البحث والدرس اللغوي المتنوع. بل تضافرت علوم وافرة، واشتغلت أمم كثيرة على درسه وكشف أسراره وغوامضه، واستكناه مقاصده ومراميه، ومن هنا فقد أدت لغة الإشارة والتواصل الجسدي دوراً مميزاً في تحقيق الترابط والتفاهم الاجتماعي بين بني الإنسان، على أنّ المعنى قد لا يتوصل إلى معرفة كنهه والوقوف على مقصده بالاعتماد على مرموز اللغة اللفظية فقط، مع أنه المرموز الأم، وذلك أنّه في أحايين كثيرة لا يكون وسيطاً مثالياً ولا شفافاً، فيكون قاصراً عن حمل المقاصد الذهنية الكثيرة والمتعددة عند الإنسان، ومن هنا يصبح من الضروري اعتماد الرموز غير اللفظية الأخرى مثل : الإشارة، والخط، والنِصبة، والعقد، وغيرها من لغة الإشارة، وكلها تشير إلى أنّ اللغة اللفظية محتاجة إلى روافد جانبية لتحقيق هدف الإبلاغ والتواصل بين البشر .

وكما هو معلوم أيضاً فإن التواصل الاجتماعي بعامة، منه المباشر مثلما هو بين البشر فيما بينهم، ومنه غير المباشر مثلما هو بين البشر وخالقهم، وفي كلا الحالين هناك أنظمة متاحة، ووسائط معتمدة للتواصل الاجتماعي .ويعد التواصل بالنظام الصوتي)الكلام (هو الأعلى في الأهمية، والأفشى في الاستعمال؛ فهو أسهل للترك عند عدم الحاجة إليه، وقابل للتقطيع والتركيب بما يتناسب مع كثرة المعاني لدى البشر ، يشهد بذلك هيمنة التواصل في اللغة المنطوقة على اللغة المكتوبة وعلى غيرها من نظم التواصل.

على أنّ أهمية النظام الصوتي وعلو باعه في عملية التواصل؛ لم تكن حائلا دون الخروج عنه بالكلية حينا، أو باستعماله مقترنا بوسائط أخرى غير لغوية وغير صوتية حينا آخر، وتلك الوسائط قد رافقت البشر وما تزال كذلك منذ أولهم، فثمة تواصل بالرموز التصويرية، أو السلوكية، أو الإشارية، ونحو ذلك مما يحيل على أشياء معنية، ويدل على معانٍ وتفاهمات، ولكن بون صوت أو كلام مثل :إطلاق الدخان، وقرع الطبول، وصفارة الإنذار، وأضواء المرور، وعلامات الطرق، والنُصب والرسوم، ورموز الصم والبكم، فهذه وأمثالها أنظمة تواصل غير لغوية يمارسها البشر منفردة لوحدها، أو مقترنة مع العملية الكلامية في ذات الآوان.فاللغة الصوتية إذن قد لا تسعف الفكرة، ولا تفي بالمراد، فيُلجأ إلى اللغة غير اللفظية؛ فالفكرة هنا أوسع من أن تستوعبها وتحملها اللغة اللفظية.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية" لغة الإشارة"المصاحبة للكلام في أحاديث مسلم،وذلك لـ:

- تعيين الوظائف الإشارية، التي تتمحور حولها أحاديث مسلم.
- الوقوف إلى الإيحاءات الدلالية المحتملة،بكل نسق مادي في أحاديث مسلم.

وسيجري ذلك من خلال رصد الأنساق المادية المختلفة لعملية التواصل الاجتماعي بغير النظام الصوتي في أحاديث مسلم، وفي طوايا الدراسة ستعرض إجابة عن مجموعة من الأسئلة الموالية:

أسئلة البحث:

- ماهي وظائف لغة الإشارة في أحاديث مسلم؟
- ماهي ايحاءات الدلالة في الأنساق المادية للإشارة الواردة في أحاديث مسلم؟
- ما مدى التقاطع بين الوظائف الإشارية المتحصلة في أحاديث مسلم، وتلك الوظائف المقعد لها في نظرية الإشارة عند المحدثين؟
- هل اللغة اللفظية قاصرة عن الوفاء بكل مقضتيات المعنى من صوره الذهنية؟
- هل كان لقدماء العرب دور في إرساء مبادئ هذا النوع من الدرس اللغوي ؟
- ما دور العرب المحدثين في هذا الدرس اللغوي ؟
- ما العلة في تقاعس الدارس العربي والمعاصر تجاه هذا الدرس اللغوي الحديث، مقارنة مع نظيره الغربي؟
- ما المقامات التي ترد فيها لغة الإشارة؟
- ما الدلالة التي تقدمها لغة الإشارة؟
- لماذا يعدل ابن اللغة عن اللغة اللفظية إلى لغة الإشارة؟
- ما قيمة المزواجة بين اللغة اللفظية ولغة الإشارة،وهل ثمة شعور بأن اللغة اللفظية لا تحمل الشحنات الدلالية التي يريدها ابن اللغة؟
- ما علاقة علم اللغة العربية بعلم الحركة أو سيميائية اللغة ، وما دور اللغة العربية في السيميائية؟

الدراسات السابقة:

- من الدراسات السابقة في الموضوع.والتي أمكن الاطلاع عليها.

الرسائـل:

- لغة الجسد في القرآن الكريم.أسامة جميل عبدالغني،رسالة ماجستير،إشراف،د.عودة عبدالله،قسم أصول الدين،جامعة النجاح،نابلس.فلسطين2010)م.(وهي رسالة من ثلاثة فصول؛الأول:لغة الجسد ومفهومها في السياق القرآني.والثاني:لغة الجسد في الاتصال الإنساني.والثالث:لغة العيون في القرآن.

وهي دراسة قرآنية.لها تناص واضح مع أسلوب المرحوم سيد قطب)في ظلال القرآن.(وتعتني بإبراز الشخصية الإسلامية من خلال لغة الجسد.وعلى عرض صوره من خلال مشاهدة الحياة الآخرة من الحساب والعقاب.فالعيون لها قيمة ودلالة،وكذلك البصر،وكذلك النظر.وستفيد الرسالة في ناحية الجانب الدلالي للغة الجسد.

- لغة الجسم في السنة النبوية،دراسة موضوعية.محمد الخطيب،رسالة ماجستير،إشراف،أ.دشرف القضاة.كليةالشريعة،الجامعة الأردنية2006)م.(والرسالة من تمهيد وثلاثة فصول. الأول في إيماءات الوجه والرأس والعنق،والثاني في دلالة السمع والبصر والنطق والضحك،والثالث في دلالة حركات الأرجل والمظهر العام.

وهي دراسة في الموضوعات تركز على الأبعاد الفقهية والتربوية المستخلصة من لغة الجسم.وكيفية تمييز المسلم من إيماءاته عن غيره من خلال لغة الجسم.وبعامة فهي دراسة في البعد الدعوي للجيل المسلم.ولايبدو أن هذه الدراسة تستفيد من مفاهيم علم لغة الإشارة في الدراسات اللغوية ،فمراجعها كلها مراجع غير لغوية وأغلبها مراجع فقهية وعليه فالمقصدية منها غيرها في موضوع دراستنا.وإن كانت ستفيد في التوظيف الدلالي لأبعاد لغة الجسم.

- وسائل الإيضاح المادية في الحديث النبوي،جمعاً وترتيباً،رسالة ماجستير،إعداد: هناده القاضي،إشراف.د.شرف القضاه،كلية الشريعة،الجامعة الأردنية،2001)م.

وهي رسالة من تمهيد وثلاثة فصول،الأول في وسائل إيضاح متعددة وتركز على نواحٍ تربوية وتعليمية ذات أهمية بالنسبة للجيل المسلم ومايواجهه من تحديات.فهي كسابقتها في البعد الدعوي.وليس ذلك من مقصد دراستنا.

- لغة الجسد في التعبير القرآني:أنس قرقز،رسالة ماجستير،جامعة اليرموك.إشراف،د.رسلان أحمد بني ياسين،جامعة اليرموك،2007)م.

وهي رسالة تتكون من تمهيد وأربعة فصول،الفصل الأول تناول قضايا اللغة ولغة الإشارة والسيميلوجيا والدلالة، والفصل الثاني تحدث عن لغة الجسد في التراث اللغوي،والفصل الثالث في لغة الجسد في الحديث النبوي،والفصل الرابع في لغة الجسد في القرآن الكريم .

والمطّلع على خطة هذه الرسالة ومباحثها يجد أنّها تختار أمثلة بطريقة عشوائية من القرآن ومن السنّة ومن كلام العرب وتجري عليها تحليلاً أدبياً أكثر منه لُغوياً. وبذلك فهي لا تتقاطع مع الدراسة الماثلة التي نحن بصدد القيام بها،فدراستنا معنية باستخدام لغة الإشارة بجميع تصنيفاتها وحيثياتها من صحيح مسلم سواءاً كانت إشارة ،أو خط ،أو صمت ،أوغير ذلك مما يكشف عنه الاستقراء والبحث.

الكتب:

- الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم.تأليف:محمد الأمين أحمد.دار الثقافة والإعلام.الشارقة،(2003)م.

في ضوء فهرسة الكتاب فهو يتناول النواحي الأدبية والفنية للكلام الإنساني،من خلال القرآن الكريم.ويتوسع في مباحث كثيرة.ويعرض في الأثناء للغة الجسد وغيرها من وسائل الاتصال غير الفظي.والإفادة منه ستكون بصورة غير مباشرة من بعض الملحوظات الحديثة عن لغة الجسد.

- البيان بلا لسان.تأليف:مهدي أسعد عرار.بيروت،(2007)م.

تتكلم محتويات الكتاب عن لغة الجسد بجميع أنواع وسائلها من بلاغية ومعجمية ولغوية.وذلك من خلال صور ومشاهد من القرآن والسنة،وأدب العشاق،وماينجم عن ذلك من وجوه سعادة،أو غضب ،أو تعاسة. وهو يتنحى الأسلوب الأدبي التصويري في عرض المباحث.والإفادة منه ستكون في التقاط بعض الأبعاد الثقافية أو المعرفية.

- أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم.تأليف:عودة عبدالله،عَمّان.دار النفائس(2005)م.

تكلم في أحد مباحثه عن الإتصال الصامت في القرآن الكريم.وهي مسألة ستخدم الدراسة في تلمس تلك الجوانب في أحاديث مسلم.

- لغة التعبير بالجسد، تأليف:نبيل راغب.طبع بيروت،(1999)م.

يتكلم عن كيفية التعبير بحركات الجسد في الحياة اليومية في المسرح،والبيع،والشراء،والإدارة...والإفادة منه ستكون في التقاط أهمية لغة الجسد في التواصل الاجتماعي الحي بين الناس ومدى ورود ذلك في أحاديث مسلم.

- صفوة الإخبار عن الدراسات السابقة:غير شك أن هذه الدراسة سوف تفيد من الدراسات السابقة ومن غيرها مما يمكن أن يخدم الموضوع الذي نحن بصدد التكلم عنه.والمهم أن يشار ههنا إلى أن التقاطع بين خطة البحث والخطط في الدراسات السابقة يكاد يكون جزئياً ومحدوداً في مباحث فصل واحد منها وهو الفصل المتعلق بالجانب الدلالي من وظائف علم الإشارة وحتى في هذا الجانب فهي دراسات لاتنطلق من التقعيدات والتقنيات المنصوص عليها في نظرية علم الإشارة المتداولة عند علماء اللغة المحدثين ،ويلاحظ بعامة أنّها إمّا دراسات أدبية تنتحي الأسلوب الأدبي الجمالي أو فقهية تركز على القيم والمفاهيم الإسلامية فضلا عن أنّ الأمثلة في هذه الدراسات مسوقة بطريقة اعتباطية عامة من جهة الأمثلة خاصة ،ولاتعتني بالجانب الإحصائي للأمثلة وكونه يتركز في وظيفة دلالية أكثر من غيرها ،ممّا يعني أنّ الدراسة الماثلة ههنا مختلفة في الكم وفي الكيف وهي أساساً محصورة في مدونة لم يسبق درسها منفردة بنفسها .،وهي تنفرد كلية بمباحث التمهيد.ومستقلة بنفسها وفي مدونة لم يسبق درسها.

منهج الدراسة:

إن المنهج الذي ستقوم عليه هذه الدراسة بإذن الله تعالى لتحقيق أهدافها ، وإبرازها بنحو واضح ومفيد، هو اعتماد المنهج الوصفي التحليلي نظريةً، وتعتمد على ماورد في صحيح مسلم أنموذجاً تطبيقياً.

وسنتناول ذلك من خلال رصد الأنساق المادية المختلفة لعملية التواصل الاجتماعي بغير النظام الصوتي في أحاديث صحيح مسلم إن شاء الله،وتشتمل هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ثم خاتمة ومراجع.

المقدمة:

وتتناول هدف البحث ومنهجه واسئلته ومادة التطبيق فيه.

التمهيد:

ويتناول-:

أ-لغة الإشارة وتشكيل المعنى(أفهام نظرية)

ب-لغة الإشارة وتشكيل المعنى في التراث اللغوي عند كل من:

الجاحظ

ابن جني.

الثعالبي.

ابن حزم.

ابن سيدة.

ابن رشيق.

الفصل الأول:

تقنيات المعنى غير اللفظي(أفهام نظرية)

أولا:التقنيات في المكتوب:

أ-علامات الترقيم.

ب-الصور والرسومات.

ج-العلامات الخارجة عن بنية النّص.

ثانيًا:التقنيات في المنطوق:

أ- التنغيم والنبر.

ب -الصمت.

ج -الجهر والهمس.

د -الترقيق والتفخيم.

الفصل الثاني:

أنساق الإشارة وإيحاءات الدلالة في أحاديث مسلم.

أولًا:لغة اليد.

١-صور الإشارة.

٢-حركة الإشارة.

ثانيًا:لغة العين.

١-صور الإشارة.

٢-حركة الإشارة.

ثالثًا:لغة الفم.

١-صور الإشارة.

٢-حركة الإشارة.

رابعًا:لغة الرأس.

١-صور الإشارة.

٢-حركة الإشارة.

الفصل الثالث:

وظائف لغة الإشارة في أحاديث مسلم:

أولًا:وظيفة توضيحية.

ثانيًا:وظيفة تصويرية.

ثالثًا:وظيفة تنظيمية.

رابعًا:وظيفة جمالية.

خامسًا:وظيفة تأكيدية

سادسًا:التورية

التمهيد:

أ-لغة الإشارة وتشكيل المعنى (أفهام نظرية):

ب-لغة الإشارة وتشكيل المعنى في التراث اللغوي العربي عند كل من:

الجاحظ.

ابن جني.

الثعالبي.

ابن حزم.

ابن سيدة.

ابن رشيق.

أ-لغة الإشارة وتشكيل المعنى"أفهام نظرية"

لم تقم دراسة متخصصة للغة الجسد في التراث اللغوي العربي،ولكن وجدت إشارات تدل على تطرق علماء العربية إلى لغةالإشارة،ودورها في التواصل اللغوي،ويعد الجاحظ في هذا المجال من أول من طرق الباب ،وذلك في معرض كلامه عن وسائل التعبير وخوضه غمار البيان،واقفا من لغة الجسد وقفة المدقق مرةً،وعرضاً في سياق روايات أو أشعار لم يقصد منها الدرس والتحليل كما هو في الموقف الأول.

وتنقل مفهوم الإشارة من حقل إلى آخر،فهي تُعيّن وتُظهر المدلول خلال الحركة الجسدية في الحقل اللغوي،وقد نتج من المفهوم اللغوي مفهوم"العلامة" "السمة";وذلك أنّها تتكون من دال ومدلول،أمّا في الحقل الفكري فبرز مفهوم الدلالة الذي يوازي مفهوم الإشارة في نظريات التواصل، والإشارة عند الجاحظ لاتقتصر على حركة أعضاء الجسم،بل تمتد إلى استعمال بعض الأدوات التي يستعملها المتكلم،كالعصا والسيف والسوط.مثل:العلامة والدليل والحجة،وهذه وأمثالها تصلح أن تكون إشارات تواصل لسانية وغير لسانية.

ب-لغة الإشارة وتشكيل المعنى في التراث اللغوي العربي عند الجاحظ:

إنّ أول جهد تصنيفي يجده الباحث في أنواع الدلالات التي هي إشارات نوعية استقى منها الباحث مادة دراسته.لغة الإشارة عند الجاحظ حيث لا تقتصر على حركة أعضاء الجسم،بل تمتد –كما مر مسبقا إلى استعمال بعض الأدوات التي يستعملها المتكلم،كالعصا والسيف والسوط، يقول الجاحظ:"وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتنقص ولاتزيد:أولها اللفظ،ثم الإشارة ثم العقدثم الخط ثم الحال التي تُسمى نِصبةوالنصبة هي الحال الدّالة التي تقوم مقام الأصناف"([2]).إنّ دلالات البيان كما يذكر الجاحظ خمسة:مختصة بالكلام وهي اللفظ وآلته، أمّا الدلالات الأربع الأخر فهي وسائل

٢- البيان والتبيين،١/٧٦.

اتصال غير لفظية،فالإشارة كما يقول الجاحظ:"وحُسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان،مع الذي يكون مع الإشارة الدّل والشَّكل والتَّفتُّلوالتَّثنِّي واستدعاء الشهوة،وغير ذلك من الأمور"([3])،فعماد الإشارة عند الجاحظ اليد والرأس،والإشارة عنده أيضاًمكملة للكلام ومحسنة له،وليست لغة بذاتها قائمة برأسها،ولغة الإشارة قرينة لغة العبارة فإذا افترقت الإشارة عن العبارة،حصل النقض والعجز عن بلوغ العبارة، ثم بعد هذا ذكر الجاحظ أمثلة عن أشخاص منهم من كان يبتعد عن الإشارة،ومنهم من كان لايستغني عنها،كأبي شمر وجعفر بن يحي البرمكي،فيروى أن أبا شمر-أحد أئمة القدرية المرجئة-كان إذا نازع لم يحرك يديه ولامنكبيه ولم يقلب عينيه،ولم يحرك رأسه،حتى كأن كلامه إنّما يخرج من صدع صخرة([4])،ومذهبه أنّ المنطق ليس من حقه أن يُستعان عليه بغيره،وبقي أبو شمر على هذه الحال إلى أن كلمه إبراهيم بن سيّار النظام فاضطره بالحجة،وبالزيادة في المسألة،فصار يستردفها،ويستعين بها على البيان والإفهام،وغدا يُحرك يديّه ويحل حبوته.([5])

وهذا حال جعفر بن يحي الذي ذكره الجاحظ مثالاً على حسن استخدام الإشارة مع شقيقتها العبارة،"إذ كان من أنطق النّاس،فقد جمع الهدوء والتّمهل،والجزالة والحلاوة،وإفهاماً يغنيه عن الإعادة،ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لاستغنى جعفر عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة".([6])

بناء على ماسبق يمكن تفسير الدلالات لدى الجاحظ،الذي عمل على صقل نظرية دلائلية تجمع الأفكار البلاغية واللغوية،والفكرية والفلسفية،لتصبح الدلالات أصنافا إشارية توازي مايُعرف بإشارات التواصل(اللسانية وغير اللسانية).

وبعد الإشارة وأمثلتها لابدّ من استكمال أنواع الدلالات التي ذكرها الجاحظ-رحمه الله-فالخط آلته القلم،وبه نزل القرآن الكريم فقال تعالى:"ن وَالْقَلَمِ وَمَا

٣- المصدر السابق ،٧٩/١، الدّل:المرأة وغنجها وغزلها،والتفتل:الاختيال والتثني والتكسر في المشي.

٤- المصدر السابق ،٩١/١

٥- المصدر السابق ،٩١/١.

٦- المصدر السابق ،٧٩/١.

يَسْطُرُونَ"([٧]).والقلم أحد اللسانين ،وهو أبقى أثراً،كما أنّ اللسان أكثر هذراً"([٨]).وأمّا العقد فهو الحساب دون اللفظ والخط،وآلته اليد وحركات الأصابع،والدلالة الأخيرة النِّصبة،فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق وجامد ونامٍ،ومقيم وظاعن وزائد وناقص([٩]).ومن مثالها:قوله:سَل الأرض فقل: من شقَّ أنهارك،وغرس أشجارك،وجنى ثمارك؟فإن لم تجبك حِواراً،أجابتك اعتباراً،وقول خطيبوقف على سرير الإسكندر وهو ميّت:"الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم،وهو اليوم أوعظ منه أمس".([١٠])

ولعله يحسُن توضيح آلات الإشارة بعد أن تم ذكر أقسامها،إذ إنّها قد تقع باليد،وبالرأس،وبالعين وبالحاجب،وبالمَنْكِبإذا تباعد الشخصان،وبالثوب وبالسيف،وقد يتهدَّدَ رافع السيف والسوط،فيكون ذلك زاجراً ومانعاٍ ورادعاً،ويكون وعيداٍ وتحذيراً([١١])،فالمتأمل في هذه الآلات يجد أنه يقصد بها لغة الجسد،وقد جعلها قسمين:

الأول:عضوية صادرة عن الجسم كاليد والرأس.

الثاني:إشارة بشيء آخر كالمسافة والسوط والسيف والثوب.

أمرٌ آخر ذكره الجاحظ ونسبه إليه وهو أهمية الإشارة ومرتبتها من اللفظ،فالسَبق للفظ والبيان،و"كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح،وكانت الإشارة أبيَن وأنوَر،كان أنْفع وأنجع والدلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو البيان الذي سمعتَ الله عزّوجل يمدحه،ويدعو إليه ويحث عليه،بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم".([١٢])

٧- القلم:آية ١.

٨- البيان والتبيين،٨١/١.

٩- المصدر السابق، ٨١/١.

١٠- المصدر السابق ،٨١/١.

١١- المصدر السابق ،٧٧/١.

١٢- المصدر السابق ،٧٥/١.

وفي أحايين تكون الإشارة شريكة اللفظ وقرينته،ونعم العون هي له،ونعم الترجمان هي عنه([١٣])،وتارةً تكون الإشارة سبّاقة لرتبة اللفظ"وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ،مرفق كبير ومَعونة حاضرة في أمور يسترها بعض النّاس من بعض،ويخفونهامن الجليس وغير الجليس،ولولا الإشارة لم يتفاهم النّاس معنى خاصّ الخاص،... وهذا مبَلغ الإشارة أبعدُ من مبلغ الصوت،فهذا أيضاً باب تتقدم فيه الإشارةُالصوتَ([١٤]).

رحم الله الجاحظ على لطف تعبيره ودقة لفظه في قوله: "معنى خاصّ الخاصّ"،فالكلام يتوقف والجوارح تتحرك وتتكلم بالإيحاءات،والحركات واللفتات وتبادل النظرات،مالايُعبر عنه بآلاف الكلمات. ([١٥])

العين:

العين ترحب بالحبيب وتسلّم عليه،ويكون في مجلس العاشقين في حضرة الأهل أو الأشخاص الذين يتحرج منهم،ساعتها تقوم العين بالكلام نيابة عن اللسان،ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة: ([١٦])

ولما التقينا بالثنيّة أومضتْ مخافة عين الكاشحِ المتنمِّم
أشارتْ بطرف العين خِيفةَ أهلِها إشارةَ محزونٍ ولم تتكلّم
فأيقنتُ أنّ الطّرفَ قد قال:مرحباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالحَبِيبِ المُتَيَّمِ
فأبردتُ طرفي نحوها بتحيةٍ وقلتُ لها قولَ امرئ غيرِ مفحَم

١٣- المصدر السابق ،١/٧٨.

١٤- المصدر السابق ،١/٧٨-٧٩.

١٥- الإيحاء إشارة خفية أو ظاهرة إلى موضوع ما،ومهما كانت الإشارة خفية فإنها لاتصل إلى حدّ الغموض،ومهما كانت ظاهرة فإنها لاتصل إلى حد التصريح،ولهذا السبب يختلف تفسير الإيحاءات،انظر:سميرا ستيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب،ص٦٤.

١٦- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٣٢٦ والحاشية: وينظر: البيان والتبيين، ذكر البيتين الثاني والثالث،ولكنه ذكر"مذعور"وفي الديوان:محزون،أومضت:أشارت خفيةٌ إشارة وكأنها البرق.الكاشح المتنمم:المبغض النمّام.أبردت طرفي:جعلت نظري رسولاً لها أو بريداً يوصل رسالتي إليها.غيرمفحم:غير عاجز عن الإبانة عما في نفسه والأبيات من الطويل من قصيدة:أنت منيتي.

فهذا الطرف يرحب بالحبيب ويسلم عليه،ويرد الطرف الآخر التحية بمثلها أو أحسن منها،وكله كان بلغة الجسد ولم تنطق اللغة الصائتة كلمة واحدة.

وشبيه قوله قول شوقي:([17])

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عينيّ في لغة الهوى عيناك

فالشاعر يبين سبب عدول المرأة عن الكلام باللسان إلى الكلام بالطرف؛والسبب هو الحرج من الأهل والخوف منهم،وقد صوّر الحركة بأنّها سريعة إذ وصفها بإضافتها إلى الذعر "إشارة محزون"([18])سريعة وقصيرة ،وعاد ليؤكد أنّ الكلام ماوقع منها بل أدرك بعينيه أنّ عينيها قد ألقت السلام ورحبّت به ،وكل هذا وقع من تبادل النّظرات.

والعين أيضا في بيت شوقي تعبّر عما يجول في خلجات النّفس،من حبّ أو كره أو غير ذلك،ومن ذلك كقول الشاعر:([19])

العين تبدى الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بُغضٍ إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتةٌ حتى ترى من ضميرِ القلب تبيانا

العين تتكلم والأفواه تصمت؛لأنّها لاتستطيع التعبير بصدقٍ وأحاسيس كما هو حال العين،وتستمّر العين تخاطب الأخرى إلى أن ترى مايسرّها ويؤكدها أنها أبلغت الرسالةَ بأمانةٍ،وقد تلقّت ردّاً على رسالتها وبريدها.

والعين تخبر بطريقتها وتقول على سجيتها وتتجاوز اللسان في صدق خبرها :

متى تك في عدو أو صديق تخبرك العيون عن القلوب

ومن تبادل نظرات البغضاء والعداوة قول الشاعر:([20])

١٧- الشوقيات،دار العودة،بيروت- لبنان ،١٧٩/٢.

١٨- بناء على ماورد في الديوان لاكما ورد في البيان والتبيين.

١٩- البيان والتبيين،٧٩/١.

يتقارضون إذا التقوا في موقف نظراً يزيل مواطئ الأقدام

ومما سبق يبدو أنّ جلّ ماذكره الجاحظ عن لغة العيون يدور في فلك التحية والسلام والتعبير عن المشاعر،كما أن الأمثلة اقتصرت على الطرف أو العين،ولم يذكر الحاجب أو الرمش أو المقلة،أو ألفاظاً أخرى من العين أو أجزائها.

اليد:

لليد فضل في تعيين المقصود تعييناً يغني عن ألفاظ متكاثرة،كالمكان أو الجهة،أو الشخص المشار إليه،أو صفة للتداخل كتشابك أصابع اليد....وقد أورد الجاحظ أمثلة عن الإشارة باليد منها ماورد في خطبة مصعب بن الزبير لمّا قدم العراق،فاستفتح خطبته بآياتٍ ثلاثةٍ من التنزيل الكريم،قصد في كل آية وصف بلدٍ وأهله،ولم يصرّح بذكر اسم البلد،مستعيناً بإشارة اليد في تعيين المكان المقصود من المعنى قائلاً:بسم الله الرحمن الرحيم"طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"([21]),وأشار بيده نحو الشام،"وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ"([22]),وأشار بيده جهة الحجاز.([23])

"وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ"([24]),وأشار بيده نحو العراق.([25])

إنّ الآيات التي أشار بها ناحية الشام لاتتحدث في الأصل عن بني أميّة حكام الشام آنذاك،بل استخدم مصعب الآيات من باب المجاز،مشبها حال عبدالملك بن مروان

٢٠- المصدر السابق ،١١/١.

٢١- القصص:آية١-٤.

٢٢- القصص:آية ٥.

[23] - تاريخ الأمم والملوك للطبري، ٣ص٤٨٣.

٢٤- القصص:آية ٦.

٢٥- البيان والتبيين،٢٩٩/٢-٣٠٠.

الخليفة ووزيرة،بحال فرعون في تجبره وإفساده ووزيره هامان،وأنّه يتوعدهما كما توعد الله أعداءه،أمّا الآيات التي قرأها وأشار بعدها ناحية الحجاز فهي أيضاً ليست مختصة بأناس دون غيرهم،أو منطقة دون أخرى،ولكنه وظفها ليدل على أنه وأهل الحجاز هم المستضعفون الذين سيرثون الأرض(الإمامة والخلافة)،أمّا الآيات التي أشار بعدها قرأها ناحية العراق،فتلك إشارة إلى أنّ عبدالله كان ولّى أخاه مصعباً بن الزبير ولاية البصرة سنة٦٧هـ أثناء فترة خلافته،وقد بقى والياً إلى انتصر الحجاج بن يوسف الثقفي(وزير الأمويين) على عبدالله وأخيه،وتم إخضاع العراق إلى حكم الأمويين.([٢٦])

الوجه:

ذكر الجاحظ أنّ إيماءة الوجه لها شأنها في تبادل أطراف الحديث متنقلة بصاحبها من حال إلى حال،فمن البسط والأنس والبِشْر إلى القبض والحزن والكمد،"ولأن العربَ تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقّي بالبشر من حقوق القِرى ومن تمام الإكرام به،وقالوا:من تمام الضيافة الطَلاقةُ عند أول وهلة([٢٧]).

قال عروة بن الورد:

سلي الجائع الغرثانَ ياأمّ منذر إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

هل أبسط وجهي أنّه أول القرى وأبذل معروفي له دون مُنكري

وقال إسحاق بن حسّان الخزيمي([٢٨]):

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويُخصب عندي والمحلُّ جديبُ

---

[٢٦] - المصدر السابق، ٣٠٠/٢.

٢٧- المصدر السابق ،١٠/١ الأبيات لعروة بن الورد حسبما ورد في ديوانه ص١٤١،تحت عنوان"مانسب لحاتم وليس له".أمّا روايتهما في ديوان عروة فهي:

بلي الطارق المعتر ياأم مالك إذا ماأتاني بين قدري وجزري

أيسفر وجهي أنه أول القِرى وأبذل معروفي له دون منكري

٢٨- المصدر السابق ١١/١، وانظر: ديوان إسحاق الخزيمي ،ص١١٢.

ومالخِصب للأضياف أن يكثر القِرى ولكنّما وجهُ الكريم خصِيب

وذكر الجاحظ غير مرةٍ أيضاً،أن الوجه إمّا موحِش وإمّا مؤنس،وقد رُوي عن عبدالله بن عباس أنه قال لعمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعا:"ياعمرو...لك يدان:يدٌ لاتبسطها إلى خير،ويدٌ لاتقبضها عن شرّ.و وجهان:وجهٌ مؤنس ووجه موحش".([٢٩])

وقد تظهر لغة تتكاتف مجموعة من أعضاء الجسد لتكوينها ورسم صورتها،ومن هذه طريقة الجلوس،وقد التفت الجاحظ إلى شكلين من الجلسات وهما جلسة المزدري بمن يقف أمامه،وجلسة الخائف،أما الأولى فقد روي عن عمرو بن العاص –رضي الله عنه-أنّه قال:"مارأيت معاوية قط متكئاً على يساره،واضعاً إحدى رجليه على الأخرى،كاسراً إحدى عينيه،يقول للذي يكلمه:يَاهناه،إلاّ رحمتُ الذي يكلمه".([٣٠])

"عينا معاوية- رضي الله عنه- وطريقة جلوسه دلّت على انتقاصة من قيمة من هو أمامه،ولو كان يحترمه ويجلّه لعدّل هيئته،،ولأنزل رجليه إحداهما عن الأخرى،ولما نظر إليه بعين واحدة.

أما الجلسة الثانية التي رسمها الجاحظ بريشة كلماته كان عمادها الجلوس في ناحية البيت مع الانقباض والاشتمال،قائلاً عن النواك الأحمق:"لمّا أُدْخِل على امرأته فرأت منه مارأت من الجفاء والجهل وجلس في ناحيةٍ منقبضاً مشتملاً".([٣١])

هذا الأحمق قد انقبضت أعضاؤه،ولبس شملته واتخذ من زاوية البيت مكانا يجلس فيه،وكل هذا للدلالة على عدم رغبته في مجالسة امرأته،أو أنّه كان خائفاً منها ولايدري مايصنع بها.

ومن الأمور التي التفت إليها الجاحظ في تعرجته على"الإشارة باليد وبالعين،والحاجب والمنكب،إذا تباعد الشخصان،وبالثوب وبالسيف،وقد يتهدد رافع السيف والسّوط،فيكون ذلك زاجراً ومانعاً ورادعاً،وقد يكون وعيداً

٢٩- المصدر السابق ،٢/٣٠٠و٣٠١.

٣٠- ياهناه:كناية عن قولهم:يارجل،وأصلها"ياهن"زيدت فيه الألف وها السكت، وانظر: البيان والتبيين،٢/٣٠٢-٣٠٣.

٣١- البيان والتبيين،٢/٢٢٥. بتصرف يسير

وتحذيراً"([٣٢])،ويمكن اعتبار هذه الآلات من المتمّمات للغة الجسد،وهذه المتممات تمد المخاطب والدارس بمعانٍ مخصوصة؛ذلك أنّ بعضها توابعُ لأعضاء الجسد المؤمنة،وكواشف للحالات النفسية والذهنية التي تعتري صاحبها،ومن هذه المُتمِمات التي ذكرها الجاحظ:المَخاصِر([٣٣])،والعِصّي من مرافق الخطبة،وهو أمر عِيب فيه على العرب بكلام مستكره يطول ذكره،أخذَهم المخصرة والقناة والقضيبَ والإشارة به".([٣٤])

لقد دافع الجاحظ ولم يكتف بالدفاع،بل ذكر أصول الخطابة وآدابها وسننها،وبيّن بعضاً من العيوب التي قد يقع فيها الخطيب،كالإغراق في النظر في عيون النّاس،ومسّ اللحية والارتعاش والرِّعدة والبُهر والإفراط في الحركة([٣٥])، وكان الجاحظ - رحمه الله-خير محامٍ ونعم المدافع عن وجهة نظره فيها.

ووجاهة استعانة العرب بها في الإبانة والبيان،وأن العرب كانت تشير بالعصا والقنا لتقوم مقام اليد،وقد تكون موحيةً بأشياء أخرى،ودلّل على ذلك بقول الشاعر:([٣٦])

مَجالسِهُم خفضُ الحديث وقولُهم إذا ماقَضَوا في الأمر وحيُ المخاصِر

وقال الكُميت بنُ زيدٍ:

أهلُ التجاوب في المحا فل والمقاولُ بالمخاصِرْ

فهم كذلك في المجا لِس والمحافل والمشاعِرْ

أمّا طرح العمامة وكشف اللثام،فقد مَثّل عليه بالحجاج لمّا خرج يريد العراق والياً عليها،بدا بالمسجد فدخله،واعتلى المنبر،ووقف أمامهم كاشفاً عن وجهه قائلاً:

أنا ابن جَلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني([٣٧])

٣٢- المصدر السابق ،٧٧/١.

٣٣- المخاصر:جمع مِخْصَرة عصا أو نحوها بيد صاحبها،انظر: كتاب العين،خصر،٤٩٣/١.

٣٤- البيان والتبيين،٣٨٣/١.

٣٥- المصدر السابق ،٤٤/١و١٣٣.

٣٦- المصدر السابق ،٣٠٨/٢.

٣٧- المصدر السابق ،٣٠٨/٢.

ومأأراده الحجّاج ورمى إليه ومن قبله(الشاعر)هو التهديد والوعيد المتحققان من حركة جسدية-طرح العمامة- وقد غدا صاحبها حاسرَ الرأس للدلالة على الجدّ والتشاغل عنها بهم.

عند ابن جني:

التفت ابن جنّي في مواضع متفرقة إلى روافد المعنى ومحدّداته، اللفظية منها وغير اللفظية،ولا يخفى أن الروافد اللفظية مما ينتسب إلى اللغة الصائتة،وغير اللفظية ينتسب إلى اللغة الصامتة - أعني بها هنا- لغة الجسد ودورها في الإبانة والتوصيل،واللطيف في الأمر أن ابن جنّي قد استشرف في مواضع متعددة بُعداً جمالياً للغة غير المنطوقة،وسنرى بعض الأمثلة التي ساقها في كتابه الخصائص.([٣٨])

أولاً:ايماءة العين:

أورد ابن جنّي في بداية كتاب الخصائص عندما وقف عند "باب القول على الفصل بين الكلام والقول"كلاماً على تقاليب كل واحدٍ(القول والكلام)،فمعنى (ق و ل)أينما وجدت، وكيف وقعت، من تقدّم حروفها على بعض وتأخره إنّما للخفة والحركة([٣٩])،و(ك ل م)حالها حال صاحبتها،وذلك أنّها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوّة والشدّة([٤٠])،والظاهر أنّ القول يقع موقع الكلام كما يقرر،وأثناء هذا

---

[٣٨] – الخصائص لابن جني ٣ص٩٨.

٣٩– المصدر السابق ،٥/١.

٤٠– المصدر السابق ،٢٢/١.

الكلام،وفي ثِنْي عرضه لهذا الملَحظِ التفت إلى اللغة الصامتة التي قد تؤدي معاني كما هو حال شقيقتها الصائتة مستشهداً بقول الشاعر([41]):

وقالت له العينان: سمعاً وطاعةً وأبدت كمثل الدّر لما يثقبِ

فهيئة العينين استوقفته في هذا السياق،وهو يؤكد أن قولهما لاعلى سبيل الحقيقة (الصوت) ولكن أوقع التعبير بلغة الجسد عامّة،القول الصامت،المؤكد على الطاعة والولاء الصادر عن العينين،ويشرح ابن جنّي البيت "فأمّا قوله :وقالت له العينان سمعاً وطاعة فإنه وإن لم يكن منهما صوت؛فإن الحال آذنت بأن لو كان لها جارحةُ نطقٍ لقالتا:سمعا وطاعة وقد حرّر هذا الموضع وأوضحه ،عنترة بقوله:

لو كان يدري مالمحاورة اشتكى ولكان - لو علم الكلام – مكلّمي([42])

ومعلوم أنّ عنترة يقصد فرسه،وهو غير قادر على الشكوى من خلال الكلام.

ثانياً:قراءة الشفتين:"الإشمام"

عند كلام ابن جنّي وحديثه عن اختلاس الحركة يقف عند الإشمام ([43])،"وهو أن تضمّ شفتيك من غير صوت،وهذا يدركه البصير دون الضرير([44])،ومايظهر من هذا التعريف أنّ الإشمام ضربٌ من حركات الجسد،وتحديداً حركة الشفاه؛ التي يراد منها إعلام السامع بحركة الحرف الأخير من الكلمةدون نطق صوت الحركة،وذكر ابن جنّي مثالاً ليؤكد على مايريد:

متى أنامُ لايؤرقْني الكَرى ليلاً ولاأسمعُ أجراسَ المَطِي

٤١- المصدر السابق ،٢٢/١.

٤٢- المصدر السابق ،٢٤/١ وديوان عنترة، ص٦٨.

٤٣- الإشمام: رَوم الحرف الساكن بحركة خفيفة لايُعتدُّ بها ولاتغير وزناً، انظر: لسان العرب،مادة:شمم،٢٠٥/٧.

٤٤- فقه اللغه للثعالبي، ص٢٨٢.

بإشمام القاف في "يؤرقني" ومعلوم أنّ هذا الإشمام إنّما هو للعين لا للأذن؛لأن الإعمال للشفتين في الإشمام([٤٥])،ويُصرّ على عدم وجود الحركة على القاف نهائياً؛إذ إنّ وجودها يؤدي إلى اختلال الوزن وتحويله من الرجز إلى الكامل([٤٦])، ويكثر الإشمام في القرآن الكريم،ومن ذلك مااستشهد به ابن جنّي في قوله تعالى:"قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ"([٤٧])،مختلساً الضمّة في نون "تأمنّا"الأولى،لا نون الضمير،وكذلك قوله تعالى:"فَتُوبُوا إلى بَارِئِكم"([٤٨])،مختلساً غير مسكن كسر الهمزة،مع أنّ القارئ يضايق نفسه ليخفّف عن لسانه،وذلك أنّهم اختلسوا الحركات اختلاساً،وأخفوها فلم يمكّنوها في أماكن كثيرة ولم يشبعوها"([٤٩]).

وعن إشمام الحركة تتضافر الصوامت والصوائت لتطرح الحركة الإعرابية أولاً،ولتقوم الشفاه مانعة الصوت من الخروج واكتفائها بالدلالة وحدها على الحركة المحذوفة،ولايتم حذف الحركة إلّا بدليل،"فإذا قنعوا من الحركة بأن يومئوا عليها بالآلة التي من عادتها أن تُستعمل في النطق بها من غير أن يخرجوا إلى حس السمع شيئاً من الحركة،مشبعةً ولا مختلسة،أعني إعمالهم الشفتين للإشمام في المرفوع بغير صوت يسمع هناك،لم يبق وراء ذلك شيء يستدل به على غايتهم بهذا الأمر،ألا ترى إلى مصارفتهم(انصرافهم عن استيفاء الحركة)أنفسهم في الحركة على قلتها ولطفها حتى يخرجوها تارة مختلسة غير مشبعة،وأخرى مُشَمّة للعين لا للأذن"([٥٠]).

ثالثاً:التنغيم وحركات الجسد:

٤٥- الخصائص،١/٧٣.

٤٦- تفعيلة الرجز"مستفعلن مستفعلن فَعِلن،أمّا صورة للكامل التي تشبه الرجز فهي "مُتْفاعلن،مُتْفاعلن،متَفا"

٤٧- يوسف:آية١١.

٤٨- البقرة:آية٥٥.

٤٩- الخصائص،١/٧٣.

٥٠- المصدر السابق ،١/٧٣.

لمّا تكلم ابن جني عن الحذف في باب"في شجاعة العربية"تطرق لمسألة جليلة القدر عظيمة الشأن في حذف الصفة،وهي الإجابة بالحركة الجسدية والتنغيم وتبدل نبرات الصوت بدل من الكلام المنطوق،فعند حذف الصفة تقوم قرائن ودلائل هادية يُلمح إليها وتكشف أستارها في سياق الحال،وخير مثال على حذف الصفة وقيام القرائن المتضافرة مقامها،التنغيم ،والحركة الجسدية التي لايقل شأن دلالة إحداهما عن دلالة المنطوق"،وكذلك تقول:سألناه فوجدناه إنساناًاوتُمَكِّن الصوت "بإنسان" وتُفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك:إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك([٥١])"،وبهذا فإنه يمكن التعبير عن المحذوف بالحركة الجسدية كحركة الكف مع الذراع،أو تعابير الوجه والجبين وهي كفيلة بأن تعطى المعنى المقصود من الصفة المحذوفة ،وشبيه بهذا ماساقه على نبر الصوت ونغمته"أنّك تقول في مدح إنسان والثناء عليه فتقول:كان والله رجلاًافتزيد في قوة اللفظ بـ(الله)هذه الكلمة وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها(وعليها)أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً([٥٢]).

كما أنّ المحذوف قد يكون بالضدّ،وعندئذٍ تغدو الحركات الجسمية دالةٌ على صفاتٍ أُخر غير المتقدمة كتقطيب الوجه وزَوْيِهِ وماأشبه ذلك،وعندئذٍ يُقال:"لِسانُ الحالِ أَبْيَنُ مِنْ لسانِ المقالِ"([٥٣])،وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلتَ:سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطّبه،فيغني ذلك عن قولك:إنساناً لئيماً،أو لَحزا أو مُبخَّلا أو نحو ذلك".([٥٤])

رابعاً:الخبر والمعاينة: (العين والأذن).

يأبى ابن جنّي أن يكون استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين،وليس في هذا تكلّف وتحمّل مشقّة وليس من باب النقص أو التقصير في عبارة المتكلم؛بل من باب ضبط اللغة ودقتها يعمد المتكلّم إلى تقديم الخبر بأدق وصف وأبهى حلة،ومن بدهيّ القول

٥١- المصدر السابق ،٣٧١/٢.

٥٢- الخصائص،٣٧١/٢.

٥٣- مجمع الأمثال للميداني،٣٧١/١.

٥٤- الخصائص،٣٧١/٢.

أن معاينة الحدث الكلامي(الحال)وأقطابه تؤذن بتحقق دلالة الحدث الكلامي قد يعطي مدلولاً ولسان الحال لايوافق هذا المدلول، ولذلك روي :"ليس الخبَر كالمُعايَن"([٥٥])،ذلك أن من الأحوال شاهدةً بالقصود،بل حالفةً على مافي النّفوس"([٥٦])،ومن ذلك قول الشاعر نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي:

تقولُ - وصكت وجهها بيمينها - أَبعْليَ هذا بالرحى المتقاعسُ

ولمّا علّق ابن جنّي على هذا القول استشعر تأثير الحركة الجسدية ودورها في تعزيز المعنى وتجليته،"فالحركة (صكّت) كالمنبهة على فرط التعجب والاستغراب،ويمكن التصوّر أن مخبراً للحدث،وأن معايناً للحدث الكلامي ذاته،فهل يمكن القول إن دلالة الحدث الكامنة في نفس المعاين هي كالتي عند المُخبَر؟ فالمعاين سمع المتحدث وعَاينه،أمّا المخبَر فقد اقتصر حظّه على الوصف والتمثيل من الصامت،"فلو قال حاكياً عنها:أبعلي هذا بالرحى المتقاعس – من غير أن يذكر صك الوجه،لأعلمنا بذلك وأنها كانت متعجبة منكرة،لكنّه لمّا حكى الحال فقال: (وصكت وجهها)عُلم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها،هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال غير مشاهِد لها،ولو شاهدتها لكنت بها أعرف،ولِعظَمالحال في نفس تلك المرأة وصار أبيَن،وقد قيل:ليس المُخبر كالمعاين،ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها،لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها"([٥٧]).

وحول هذا يدور حديث ابن جني،ويؤكد على أنّ سماع الأُذن لايغني عن مقابلة العين،ولا يجزئ عنه،ولو كان كذلك لما تكلف القائل،ولما كلّف صاحبه الإقبال عليه،والإصغاء إليه وعلى ذلك قول القائل([٥٨]):

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من العداوة أو ودٍّ إذا كانا

٥٥- "لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ"حديث رواه أحمد في المسند: ٨٧/٣، من حديث أبي هريرة مرفوعا، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١ص٩٥١، "حديث رقم: (٥٣٧٣).

٥٦- الخصائص،٢٤٥/١.

٥٧- المصدر السابق ،٢٤٥/١-٢٤٦. بتصرف يسير.

٥٨- المصدر السابق ،٢٤٧/١.

فالعين عند ابن جنّي تتحدث بما يكمن في خلجات النفس وتعبر أصدق تعبير،"أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهد الوجوه،وجعلها دليلاً على مافي النّفوس،وعلى ذلك قالو:"رب إشارةٍ أبلغ من عبارة".....وقال لي بعض مشايخنا – رحمه الله -: "أنا لا أُحسن أن أُكلّم إنساناً في الظلمة"([٥٩]).

نعم، قد يسمع المرء كلاماً معسولاً،وللعين وشاية تدحض القول فتجعله بالضّدّ ولسان الحال يقول:

متى تكُ في عدوٍّ أو صديق تخبرك العيونُ عن القلوب

ويصدقه قول ابن الفارض([٦٠]):

حديثه أو حديثٌ عنه يطربني هذا إذا غابا أو هذا إذا حضرا

كلاهما حَسَنٌ عندي أُسرُّ به لكن أحلاهما ماوافقَالنظرا

أبو منصور الثعالبي وابن سيده:

للثعالبي وابن سيده كما لأئمة اللغة العرب دور حريّ بالباحث أن يقف عنده؛ فالثعالبي أفرد في كتابه"فقه اللغة وسر العربية" فصولا في ذلك فأورد فصلا في تقسيم الإشارات وفصولاً أخرى في الحاجب ومحاسن العين ومعايبها،وعوارضها،وفصلا في كيفية النظر وهيئاتها،وتحدّث أيضاً عن البكاء والضحك،وغير ذلك ممّا يصدر عن أعضاء لغة الجسد،وهي أشياء تستحق النّظر والوقوف عندها،إن أبرز مايمكن التأمل فيه هو ماساقه من كلام العين،وربما لأن العين قد شكلت جزءاً هاماً في التواصل الإنساني الفعّال،كما كانت صاحبة تلك

٥٩- المصدر السابق ،٢٤٧/١.

٦٠- شرح ديوان ابن الفارض، بدر الدين البوريني ٣٢٦/٢.

اللغة الخاصة من لغات الجسد التي ساعدت على التواصل غير اللفظي وبالذات في العربية.([٦١])

فالعين لدى الثعالبي هي أول ما سيقف عنده الباحث ويلاحظه في هذا السياق ؛ذلك أن كل هيئة من هيئات النظر لها دلالتها الخاصة بها.([٦٢])

ولايقل أهمية وقدراً صنيعُ ابن سيدة في "مخصصه" عن صنيع الثعالبي في الكلام على العين ومايعلق بها، وقد جعلت الكلام عنهما معاً لتكتمل ألفاظ العين عندهما،فما فات الأول أكملها الثاني،ومالم يذكره الثاني ذكره الأول.([٦٣])

أولاً:الرَّمْق:

وهو إحْدى "إشارات العين،ويكون بالنّظر من الإنْسان إلى الشيء بمجامع عينيه"([٦٤])،"ويكون من إطالة النظر"([٦٥])،"وفيه الدلالة على العداوة: يقال:"رامقة إذا نظر إليه شرزاً نظر العداوة".([٦٦])

ثانياً:اللَّحظ:

وهو:"النظر إلى الشيء من جانب الأذن"([٦٧])،"واللِّحا:مؤخر العين ممّا يلي الصُّدغ،وجمعه لُحُظ"([٦٨])،ومما يروى في وصف النبي –صلى الله عليه وسلم –أن

---

[٦١] – فقه اللغة، ص ٣٦٩

[٦٢] – المصدر السابق.

[٦٣] – المخصص، ١١١/١.

٦٤– فقه اللغة للثعالبي:، ص٦٨.

٦٥– كتاب العين ، رمق،٧١٤/١.

٦٦– نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، لإبراهيم اليازجي: ٢٩/١.

٦٧– فقه اللغة، ص٦٨.

جُلَّ نظره الملاحظة"([٦٩])،ويدل اللّحظ على الغضب([٧٠])،وهو أشد التفاتاً من الشزر"([٧١]).

ومما ورد في الأمثال قولهم:"شاهدُ اللحظ أصدق"([٧٢]).واللحظة قد تُصبي الرائي وخصوصاً إذا تعاضدت مع أعضاء أُخر من عناصر لغة الجسد يصوره الصنوبري:([٧٣])

وكم ثنايا تسبي بنكتهتها وكم عيونٍ تُصبي بلحظتها

تسارق الغمز غمزَخائفةٍ رقيبَها من خفاء نظرتها

ثالثاً:اللَّمْح:

"النّظرُ بعجلةٍ([٧٤])،لكأن الناظر يفتح عينه إلى الشيء يختلس النظر ثم يطبقها،وربّما أمال وجهه مع الحركة السريعة،قال الزمخشري: "ورأيته لَمْحَةَ البرق،ولمحته بِبَصري:اختلست النّظر إليه،وهو أسرع من لمح البصر"([٧٥])،"واللمح يدل على لَمْع الشيء"([٧٦])،وربّما يكون استخدامها لما هو غير مرغوب(ممنوع)كالنظر إلى المحرمات والعورات وماشابه؛لأن النظر بعجلة واختلاس إنما يكون للمنوعات وماهو مشابه لها.

٦٨- لسان العرب،لحظ،٢٤٩/١٢.

٦٩- المصدر السابق ،لحظ،٢٤٩/١٢.

٧٠- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد،٢٩/١.

٧١- المخصص لابن سيده ١١١/١.

٧٢- مجمع الأمثال، للميداني: ٣١٤/١.

٧٣- ديوان الصنوبري ،تحقيق،إحسان عبّاس ص٤٠١.

٧٤- فقه اللغة، ص٦٨.

٧٥- أساس البلاغة للزمخشري ، لمح/٤١٤

٧٦- المقاييس في اللغة ، لمح،٢٠٩/٥.

رابعاً: اللّوْح:

إذا "نظر الإنسان إلى الشيء كاللمحة،ثمّ خفي عنه قيل له:لاحَهُ"([٧٧])

ويرى ابن فارس أن لمادة"(ل و ح)أصلا دلالياً صحيحاأغلبه مقاربة باب اللمعان"([٧٨])

ويصدقه قول الأعشى:

لَعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرة إلى ضوء نارٍ في يفاعٍ تُحَرَّق([٧٩])

أي نظرتُ إلى نارٍ بعيدة([٨٠]).

ولعلّه من الأولى ربط المعنى الدلالي بلمعان شيء يختفي،إمّا لسرعة ذلك المنظور،أو لبعده،مع عدم إطالة النّظر إلى المنظور إليه والتركيز فيه،إنّما هي نظرة عجلى لايمكن منها تحديد أدق الصفات للمرئي،بل هي نظرة سريعة لمحة بصرٍ تعطي وصفاً عاماً للخطوط العريضة للمرئي.

خامساً: الحَدَج:

الحدج هو أن يرمي المرءُ ببصره غيرَه مع حدة نظره([٨١])،وفي حديث ابن مسعود – رضي الله عنه –"حدِّث القوم ماحدجوك بأبصارهم"([٨٢])،والمعنى المقصود هنا أي ماأطالوا النظر إليك،فإذا مارأيتهم يغيّرون أنظارهم،فدعك من حديثهم،ويكون التحديج بعد روعةٍ وفزعٍ،أو في مايُرتاب به،ويُنكَرمنه"([٨٣]).

٧٧- فقه اللغة،ص٦٨.

٧٨- المقاييس في اللغة،لوح،٥/٢٢٠.

٧٩- ديوان الأعشى،ص١٢١.

٨٠- لسان العرب، لوح،١٢/٣٥٤.

٨١- فقه اللغة، ص٦٨.

٨٢- المصدر السابق، ص٦٨.

٨٣- المخصص،١/١١٠.

سادساً: الرّشق والإسفاف:

كثيراً ماتتبدل كيفية النظر إلى الآخرين،ويعود ذلك للحالة النفسية التي يكون عليها الرائي،فإذا نظر المرء إلى غيره بشدّة وحدّة،فإنّه يقال:أَرْشَقَهُ وأسفَّ النظر إليه"([٨٤])،وروي عن الشعبيّ أنه كره أن يُسفّ الرجلُ النظر إلى أمه أو ابنته أو أخته"([٨٥])،"وأرشقت،إذا أحددت النظر،ورشقت القومَ ببصري أي:طمحت ببصري فنظرت"([٨٦]).

سابعاً: الشّزَر:

وهو أن "ينظر المرءُ إلى غيره بلحظ العداوة"([٨٧])،"ويكون بمؤخر العين"([٨٨])،وقال الليث:"الشزر:نظر فيه إعراض كنظر المعادي المُبغِض"([٨٩])،وهو "يدل على الانفتال في الشيء عن الطريقة المستقيمة"([٩٠])،ويمكن القول إن الشزر أكثر مايكون في حال الغضب،أو النّظر إلى الأعداء:

ومابي إلّا أن يراها مُميّز فيتبعها من رأيه نظرٌ شزر

ويصدر البغض صراحة من النّظر الشزر كما يقول ابن الرومي:([٩١])

يظلّ يراعيني بعيني شَناءَةٌيدل على بغضائها النظر الشزر

٨٤- فقه اللغة، ص٦٨.

٨٥- تهذيب اللغة للأزهري:،سفف،١٧٠٦/٢.

٨٦- المصدر السابق، رشق،١٤١٢/٢.

٨٧- فقه اللغة، ص٦٨.

٨٨- المخصص،١١٢/١، وجمهرة الأمثال للعسكري،،٨٤/١.

٨٩- تهذيب اللغة،شزر،١٨٦٩/٢.

٩٠- المقاييس في اللغة،شزر،٢٧١/٣.

٩١- ديوان ابن الرومي ،ضبط وتعليق وتحقيق،عمر فاروق الطباع، ١٤١/٢.

والحال نفسه تقريباً عند ابن زيدون،إذ كان في مجلس يسمع كلاماً جافاً خشناً،ونظرة القوم إليه تؤذيه من شدّتها وكرهها،ثمّ خفّف الكلام بنوعية المنطوق باللسان،والمنطوق بالعين فصارت حدّته تخف وتفتر فيقول:([٩٢])

يلينُ كلامٌ كان يخشُن منهم ويفتُر نحوي ذلك النظر الشزر

وماأصعب النظر من قومٍ مجتمعين يصوّبونه ويوجهونه إلى فتاة جميلة ظهرت مفاتن جسمها فما كان منها إلّا الهروب منهم مع صمت لسانهم،وكلام عيونهم،كما يقول أبو نواس([٩٣]):

وذي غَيدٍ قد صادنا منه إذْ بدا محاسن مابين الجبين إلى النحر

رميناه بالأبصار من كل جانب فراحَ،وقد نلناه بالنظر الشـزَّر

ثامناً:الشَّفَن:

ليس يخفى أن الإنسان لايعجبه كل ماينظر إليه،فقد يرى مالايحب رؤيته،أو مايسيئه ويؤذيه،أو مايتعجب منه،وله في كل نظرة هيئة وطريقة،ولذا فإنّ "الشفن نظرٌ في اعتراض"([٩٤])،"ويكون بمؤخر العين كالشزر،كراهةً وتعجباً"([٩٥])، وقيل "بأنّه يكون برفع الطّرْف للنّظر إلى الشيء كالمتعجّب أو الكاره،أي أنه ليس بمتعجب ولاكاره ولكنه شبيه بحالهما،ومثله الشّنف:وهو شدّة البغض"([٩٦])،"والشَّفُون:الغيور الذي لايفتر طرْفه عن النّظر من شدة الغيرة والحذر قال رؤبة([٩٧]).

يقتلنَ بالأطراف والجفون كلَّ فتىً مرتَقِبٍ شَفون"

ويرى ابن فارس أن أصل "(شفن)مايدل على مدوامة النظر"([٩٨])

٩٢- ديوان ابن زيدون ،ص١٨٥.

٩٣- ديوان أبي نواس ،تحقيق،مجيد طراد، ص١٣٤.

٩٤- لسان العرب،شفن،١٥٦/٧.

٩٥- فقه اللغة، ص٦٨،والمخصص،١١٢/١.

٩٦- تهذيب اللغة،شنف،١٩٣٦/٢.

٩٧- لسان العرب،شفن،١٥٦/٧،وهو مما نسب لرؤبة ينظر: مجموع أشعار العرب، مشتمل على ديوانه رؤبة،ص١٨٧.

٩٨- المقاييس في اللغة،شفن،١٩٨/٣، وفقه اللغة، ١٣٦٦.

ويتبين مما سبق أن العين تتخذ وضعية غير عادية،دفعها لذلك الكره أو التعجب،ولابدّ أن يصحب النظر طول زمان ليس بالقصير إلى المرئي.

تاسعا:الشّوس، أو الشوص:

وهو أن ينظر الرجل بإحدى عينيه،مع "إمالة وجهه في شِقّ العين التي ينظر بها"([٩٩])،ويكون ذلك من الكِبر،والحقد والغضب،وقِيل بأن الشّوَس يكون بأحد شِقّي العين،أي أنّه يقوم بتصغير عينه "ويضم أجفانه لينظر"([١٠٠])،و"الشين والواو والسين أصل واحد يدل على نظرٍ بتغيّظ"([١٠١]).

عاشراً:التّحْميج:

وهو أن "يفتح عينه فَزِعاً أو مهدَّداً"([١٠٢])،أو خائفاً وقد يؤثر في الوجه عند الغضب "فتُرى عليه آثار التحميج"([١٠٣])،ويرى الفيروز أبادي أن التحميج: "شدة النظر وغؤور العين وتغيّر في الوجه من الغضب أو إدامة النظر مع فتح العينين، وإدارة الحدقة فزعاً أو وعيداً وهزالاً"([١٠٤])،ويكون التحميج من هزال العين،فتصغر،وهذا الأخير عيب فيها،"لايكون حركة إرادية بل خِلْقة"([١٠٥])

الحادي عشر:الحمْلَق"حمْلَق":

٩٩- المخصص،١١١/١.

١٠٠- لسان العرب،شوس،٢٣٦/٧.

١٠١- المقاييس في اللغة،شوس،٢٢٧/٣.

١٠٢- فقه اللغة، ص٦٨.

١٠٣- كتاب العين،حمج،٤٢٢/١.

١٠٤- القاموس المحيط للفيروزابادي:،حمج،٤٢٢/١.

١٠٥- المخصص،١١٤/١.

"الحمْلاق:باطن الجفن الأحمر،وقيل:الحماليق:بياض العين أجمع ماخلا السواد منها([١٠٦])،وقال أبو عبيدة:"عين مُحملقة:هي التي يكون حول مقلتها بياض لم يخالط السواد،والحملاق:ماولي المقلة من جلد الجفن،فإن انقلب حملاق عينيه قيل:حملَق"([١٠٧])

الثاني عشر:الخَزَر:

الخزر:أن ينظر المرء "بمؤخر عينه"([١٠٨])،ويُعدّ من المعايب التي تصيب العين إذا كان خِلقة،"وإن المرء الذي ينظر بهذه الهيئة كأنما هو حال من ينظر بأحد شقي عينه،وضيّق جفنه ليحدد النظر"([١٠٩])،وعند ابن سيده أن من ينظر بمؤخر عينيه ثم "يغمضها يقال له :الأخزر"([١١٠])،وإذا "فعل الشيخ الكبير السن ذلك فإنما يفعله ليجمع الضوء،أما الشاب فإذا خزَّر عينيه فإنما يتداهى".([١١١])

الثالث عشر:التّحْديق:

وتتم هذه الهيئة إذا "فتح الإنسان جميع عينيه لشدّة النظر"([١١٢])،وإنّما يكون ذلك بغية النظر والإحاطة بالمنْظر،جاء في استعمال العرب:"وقد أحدقوا به إذا أحاطوا، "وتكلمت على حَدَق القوم"([١١٣])،"وكل شيءٍ أحاط بشيءٍ فقد أحدق به،وربّما سُميت الحدقة(في العين)بهذا الاسم لآن السواد الغالب المحيط بالناظر(البؤبؤ)

١٠٦- تهذيب اللغة،حملق،٩٢٨/١.

١٠٧- فقه اللغة،ص٦٨.

١٠٨- المصدر السابق ،ص٦٦.

١٠٩- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد،٢٨/١.

١١٠- المخصص،١١١/١.

١١١- لسان العرب،خزر،٧٩/٤.

١١٢- فقه اللغة،ص٦٨.

١١٣- أساس البلاغة،حدق، ٧٦/١.

"([114])،ومن ذلك أنّ "الحديقة تطلق على البستان الذي له حائط،ومالم يكن عليه حائط فليس ببستان"([115])،وبناءً على هذا يمكن القول إن التحديق إنما يدل على الإحاطة والشمول.

الرابع عشر:النَّفْض:

"النَّفْض:نظر الرائي إلى جميع مافي المكان حتى يعرفه"([116])،قال زهير يصف بقرةً فقدت ولدها([117]):

وتَنْفُضُ عنها عيب كلِّ خميلة وتخشى رُماةَ الغوثِ من كل مرصد

والبقرة إذا فقدت ولدها تنظر نظرة المتفحص بحثاً عن ولدها المفقود مع شيء من الخوف أوالحذر،ويؤيد هذا ماورد في استعمال العرب قولهم:"فلان يستنفضُ طَرْفُه القَومَ أي:يرعدهم لهيبته"([118])،ورفد هذه المعاني قول العُجير السلولي:([119])

إلى مَلِكٍ يستنفضُ القومَ طرفُه له فوق أعواد السَّرير زئير

وتبدو حاجة العين إلى الصوت واضحة أو أنه يريد تأكيد مايدل عليه النفض بوصفه"يزأر"، ومما يغذي الدلالة أيضاً قولهم:"نَفَضْتُ الأرضَ،إذا بعثتَ،من ينظر متبصراً المنطقة مع الحذر والحيطة من العدوّ.

الخامس عشر:شخوص البصر:

١١٤- تهذيب اللغة،حدق،١/٧٦٤.

١١٥- المصدر السابق ،حدق،١/٧٦٤.

١١٦- فقه اللغة،ص٦٨.

١١٧- لسان العرب،نفض،١٤/٢٤٠، وديوان زهير بن أبي سلمى،ص١٦٥.

١١٨- أساس البلاغة،نفض،١/٤٦٧.

١١٩- لسان العرب،نفض،١٤/٢٤٠.

تحصل هذه الهيئة عندما "يفتح المرء عينيه ولاتطرف أجفانه،يُقال له شَخَص"([120])،ويقال للرجل "إذا أتاه مايقلقه :قد شُخِص به،وقد يستوي نطق اللسان بنطق العين فيقال: شخصت الكلمة في الفم،نحو الحنك الأعلى"([121])،وقد وردت المادة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: "فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا"([122])، "فدلالة شخوص البصر تكون للتعبير عن الفزع والخوف والحيرة".([123])

السادس عشر:الرُّنو:

الرنو: "إدامة النظر مع سكون الطَّرْف،ويكون إلى الحديث مع الإعجاب به"([124])،وشغل القلب،قال الشاعر:([125])

إذا هُنَّ فصّلن الحديثَ لأهله حديث الرَّنا فصّلْنَه بالتَّهانُف

ومن المادة اللغوية: "الرَّناء:الجَمال،الرَّنَوْناة:الكأس الدائمة على الشرب"([126])،والظاهر من هذا أن الرنّو لايكون إلاّ مع المتعة والإعجاب بالمرئيّ.

السابع عشر:الزَّرّ:

١٢٠- فقه اللغة،ص٦٨،وانظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، شخص،ص٢٦٢.

١٢١- تهذيب اللغة،شخص،١/١٨٤٠.

١٢٢- الأنبياء:آية٩٧.

١٢٣- فقه اللغة،ص٦٧.

١٢٤- المخصص،١/١١٠-١١١.

١٢٥- كتاب العين، رنو،١/٧١٨.

١٢٦- تهذيب اللغة،رنا،١/١٤٧٨.

الزر: "حركة يؤديها المرء تتضيّق فيها العين وتتوقد"([127])،وروي عن الأصمعي "أن الزُّرازِر:الوقّاد،الذي تبرق عيناه"([128])،والعين تضيق عندما يصيبها الوَهن من كثرة النظر،وبذلك تخبر عن حالها بلسان شكلها وهيئتها،ومن المجاز قولهم: "خرج يزُرّ الكتائب بالسيف يشلّها"([129])،وعند ابن فارس أن"الزاي والراء أُصَيْل يدل على شِدةٍ"([130])،وربما تفسّر الحركة بأن العينين قارّتان في مركز محوريّ من الجسم،ثم إن إنسان العين ينقبض إذا ماغضب الشخص،أو خاف من شيء ما.

الثامن عشر:الغَضّ:

فتور في الطَّرف،"يحصل إذا دانى الشخص بين جفنيه ونظر([131])،وهو النقصان من الطّرف والصوت"([132])،لأن اللفظ ليس مختصاً بالعين وحدها،بل يُقال:غضّ صوته،وقد وردا في القرآن-غض الصوت وغض البصر،ومن الشعر قول جرير:([133])

فَغُضَّ الطّرف إنَّك من نُميرٍ فلا كعباً بلغت ولاكلابا

والاستخدام في البيت لإرادة التهكّم.

التاسع عشر:الخَوَص:

الخوص: "يصير وضع العين عند الخَوَص ضيّقاً غائراً؛لأن خوص العين غُؤرها مع الضيق"([134])، ولايقتصر الخَوَصُ على تضييق العينيين،بل يكون فيه غَضّ من

١٢٧- المخصص،١/١٠٩.

١٢٨- تهذيب اللغة،زرر،١/١٥٢٣.

١٢٩- أساس البلاغة،زرر١/١٩٠.

١٣٠- المقاييس في اللغة،زر،٣/٧.

١٣١- المخصص،١/١١٢.

١٣٢- المفردات في غريب القرآن، غض،ص٣٧٤.

١٣٣- ديوان جرير:،شرح يوسف عيد، ص٩٨.

١٣٤- فقه اللغة،ص٦٦.

البصر مع التحديق،كأن الرائي يقوّم سهماً:ويرفد هذا المعنى قولهم: "ضربتهم الريح الخوصاء وهي الشديدة الحرّ،لاتنظر فيها إلاّ متخاوصاً"([١٣٥])،ويتضح أن "الخَوَص يدلّ على غضّ شيء من البصر عند النظر،لأسباب كالخوف أو الفزع أو الخجل،أو الضعف كمن ينظر إلى الشمس تنكسر عينه فلا يقدر على الاستمرار في النظر،أو التعب وقد يكون خِلقَة"([١٣٦]).

العشرون:الإزلاق:

الإزلاق:"هيئة تعتري العين بسبب السخط،فإذا أحَدّ النّظر إلى المرئي نظر مُتسخط،قيل:أزلقه ببصره([١٣٧])، قال تعالى:" وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ"([١٣٨])،وحقيقة معناه أنه من حدّة نظرهم حسداً يكادون ينحّونك عن مكانك([١٣٩])،وأصل الدلالة لِـ(ز ل ق) هو تزلُّج شيء عن مقامه"([١٤٠]).

ولهذه الإيماءةَ يدٌ في تواصل الإزلاق مع المرئي،فإذا ماتبدّت علائمه على عينه فإن ذلك سيكون بمنزلة ماينضاف إلى ألفاظ السخط والحسد الصادرة عن العين،قال أبو إسحاق"مذهب أهل اللغة في مثل هذا:أن الكفار من شدّة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم إليك نظر البغضاء أن يصرعوك؛يقال:نَظَراً كاد يأكلني وكاد يصرعني:قال الشاعر:([١٤١])

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يُزيلُ مواطيءَ الأقدامَ

١٣٥- أساس البلاغة،خوص١/١٢٢.

١٣٦- المخصص،١/١١٤.

١٣٧- المخصص،١/١١٠.

١٣٨- القلم:آية٥١.

١٣٩- المقاييس في اللغة،زلق،٣/٢١.

١٤٠- المصدر السابق ،زلق،٣/٢١.

١٤١- تهذيب اللغة،زلق،٢/١٥٤٩.

الحادي والعشرون:تبريق العينين:

أطلق الثعالبي هذه الصفة على من لألأ عينيه([١٤٢])، وفتحهما من شدة النّظر، قال الشاعر :

وطفِقَتْ بعينها تبريقاً نحو الأمير تبتغي تطليقاً

ويكون "تبريقها من شدة توسعها وحدّة النّظر"([١٤٣]).

والفرق واضح جداً بين من برق عينيه ومَن بَرق بصرُه،إذ الثاني "يكون بغياب سواد العين من الفزع([١٤٤])،"والإنسان إذا بقي كالمتحيّز قيل:بَرِق بصرُه،فهو بَرِقٌ فزع مبهوت"([١٤٥])،ويؤكد ابن فارس أن لـ "(برق)أصلين دلاليين تتفرع منهما الفروع أحدهما:لمعان الشيء كالبرق،والآخر:اجتماع السّواد والبياض في الشيء،ومابعد ذلك فكّله مجاز ومحمول على هذين الأصلين،وبرق الرجل وأبرق:تهدّد وأوعد،وبرق البصر:دَهِش فلم يبصر،وقيل:تحيّر فلم يطرف([١٤٦])،قال ذو الرمة:([١٤٧])

ولو أنّ لقمان الحكيم تعرّضت لعينيه مَيٌّ سافِراً،كاد يَبرُق

وفي المثل قولهم: "برّقي لمن لايعرفكيضرب لمن يتهدد ويتوعد وليس عنده نكير"([١٤٨])، وخلاصة القول إنّ تبريق العينين إنّما يكون بسبب توسعهما،ويبرق البصر من الخوف والفزع.

١٤٢- فقه اللغة،ص٦٨.

١٤٣- لسان العرب،برق،١/٣٨٢.

١٤٤- فقه اللغة،ص٦٨.

١٤٥- المقاييس في اللغة،برق،١/٢٢٤.

١٤٦- المصدر السابق ،برق،١/٢٢١.

١٤٧- لسان العرب،برق،١/٣٨٢.

١٤٨- مجمع الأمثال للميداني:، ١/٢١٩،شاهد رقم٢٧٣.

الثاني والعشرون: خشوع البصر:

الخشوع:الضراعة،"وأكثر مايستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح"([١٤٩])،"وخشع بصره:انكسر،أي رمى ببصره نحو الأرض"([١٥٠])،"وقد يحدث أحياناً أن يكون مع طأطأة الرأس"([١٥١])،إذ أنّ "رمْي البصر نحو الأرض يلازمه ويقتضيه تطامن الرأس إلى الأسفل ،وهو الأصل الدلالي لمادة (خشع) "([١٥٢])،ومايلحظ أن جمال الخشوع إنما تمّ بحركة مساندة من الرأس والعنق"([١٥٣]).

ويبدو أن العالمين: "الثعالبي وابن سيده" قد التفتا إلى هذه المتممات كمن سبقهم،ومن ذلك تعريجهما على الإشارة التي قد تقع باليد وبالثوب: كالاستكفاف والاستشراق والاستشفاف، وسنتكلم عليهما

أولاً:الاستكفاف:

"الاستكفاف:هيئة تتحصل بوضع اليد على الحاجب كالذي يستظلّ بها من الشمس ليتحقق ويستبين المنظور إليه([١٥٤])،وممّا ورد في الشعر قول ابن مقبل"([١٥٥]):

إذا رمقته من معدٍّ عمارة بدا،والعيون المستكفّة تلمح

وأيضاً:

ظَلِلنا إلى كهف وظلَّ رحالُنا إلى مستكفّاتٍ لهنّ غُروب

١٤٩- المفردات في غريب القرآن:خشع،ص١٤٩.

١٥٠- ابن سيده:المخصص،١/١١٣.

١٥١- المحيط في اللغة لابن عبّاد:،خشع،١/١٢٠.

١٥٢- المقاييس في اللغة،خشع،٢/١٨٢.

١٥٣- الفروق اللغوية، للعسكري:ص٢٧٨-٢٧٩.

١٥٤- فقه اللغة،ص٦٨، والصحاح:كفف: ٤/١٤٦.

١٥٥- المصدر السابق ،كفف، ص١٤٦،وديوان ابن مقبل، ص٤١،وصدره:خروج من الغمّى إذا صكّ صكّة.

"فالمستكفات:عيونها لأنها في كِفَف–وهي النُّقر التي في العيون"([١٥٦])،"واستكفّ استشرف وبمعنى استوضح".([١٥٧])

مما سبق يتضح أن اليد كانت لحمةٌ وثقى في مساعدة العين على الرؤية،ولم يتم تحديد معنى اللفظة إلا بواسطة اليد.

ثانياً:الاستشفاف:

وهي حركة خصصوها برفع الثوب ليتفحصه وينظر في أمره إذا كان فيه عيب أم لا؟

فقالوا: "استشف الثوب إذا نشره في الهواء ورفعه لينظر إلى صفاقته أو سخافته،يطلب عيباً أو يرى عواراًإن كان فيه"([١٥٨])،وتتم هذه الحركة عندما يتم الطرف عالياً كأنّه ينظر الشيء في الهواء،"ومعناها البحث عن عيب في المنظور إليه"([١٥٩])،ويرى الثعالبي أنّ "الاستشفاف:أن يرفع الرائي كفه على جبهته لينظر–أي أن يرفعها أكثر من الحالة التي كان رفعها في الاستكفاف،وإن زاد أكثر في رفع اليد عن الجبهة فهو الاستشراف"([١٦٠]).

وإتماماً لما سبق من كلام خُصص للغة العيون،يحسن إتمام الموضوع بإعطائه بقية حقه-رغم أنّ الثعالبي وابن سيده-لم يتطرقا لحركة الجفون والحواجب ودورهما في التأثير والإبانة،ونظراً للترابط الوثيق والتلازم الأكيد،ذلك ما سنراه عند ابن حزم الأندلسي رحمه الله.

١٥٦– المخصص،١١٢/١ والغروب :سيلان الدمع.

١٥٧– فقه اللغة،ص٦٨ والمخصص،١١٢/١.

١٥٨– فقه اللغة،ص٦٨.

١٥٩– لغة العيون، محمد كشاش، ص٦٧.

١٦٠– فقه اللغة،ص١٢١.

لغة العيون عند ابن حزم الأندلسي:

حين أنتقل من لغة العيون عند الثعالبي وابن سيده إلى أعضاء أُخر من لغة الجسد ،أرى أن أذكر ما أثبته ابن حزم عن لغة العيون في كتابه"طوق الحمامة في الأُلفة والأُلّاف" كي يظل الموضوع في هيئته قائماً على رصف بناء متعاقب.

لقد بدأ أبو محمد ابن حزم كلامه عن الدور الرائد للعين تجاه المحبين،وفضلها على سائر الحواس، حتى إن كلامه أعذبُ من ماء البارِق. فاخبر"أن العين تنوب عن الرُّسل ويُدرك بها المراد،والحواس الأربع أبواب إلى القلب،ومنافذ نحو النفس،والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملاً،وهي رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي،ومرآتها المجاوّرة التي بها تقف على الحقائق،وتميّز الصفات وتفهم المحسوسات"....." وحسبك فضلها على سائر الحواس،فالذوق واللمس لايدركان إلّا بالمجاورة والسمع والشم لايدركان إلّا من بعيد،ويكفيك أنّك ترى المُصوِّت قبل سماع الصوت، وإن تعمّدت إدراكهما معاً ،وإن كان إدراكهما واحداً لما تقدّمت العين السمع"([١٦١])، وذكر المواضيع التي تطرقها العين،وينطقها الطرف،وينفثها اللحظ،وتنطقها المقلة،فبها يُقطع ويُتواصل،ويُوعد ويهدد،ويُنتهر ويبسط، ويؤمر وينهى،وتُضرب بها الوعود،ويُنبه على الرقيب،ويضحك ويحزن، ويسأل ويجاب،ويمنع ويعطى".([١٦٢])

وبعد هذا كله يذكر وصفاً أو هيئةً للعين تعتريها لموقف ما،فتدل على أمر يعرفه ذوو الألباب، فبالإشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الأمر،وتفتيرها إعلام بالقّبول،وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف،وكسر نظرها آية الفرح"([١٦٣])، "وللعين علائم تتبعها دلائل، فإذا كانت الإشارة بمؤخر العينين -لا واحدة - خفية ، عُلم منها السؤال ،إذا قلبت الحدقة من وسط العين إلى المُوق بسرعة شاهد

١٦١- طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف، لابن حزم الأندلسي ص٣٢-٣٣.

١٦٢- المصدر السابق ،ص٣٢.

١٦٣- المصدر السابق ، ص٣٢.

المنع،أما قلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة فإنّه تنبيه على مُشار إليه،وإذا أردت التهديد فعليك إطباقها،وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهي عام".([١٦٤])

والظاهر من هذا أن ابن حزم رحمه الله قد ذكر بعض هيئات العين،وماتدلّ عليه كلُّ هيئة،ولايخفى أن الحركة العينية قد تكون واحدة ولكنها مختلفة في الدلالة؛وذلك تبعاً لما يقتضيه الحال والمقام،ولاسيّما إذا عضدت العينَ أعضاء أخرى من الجسد كالوجه أو اليد،وبما أن ابن حزم قد ذكر موضوعاتٍ كثر للعين؛"كالقطع والوصل والوعيد والبسط،والأمر والنّهي،وغير هذا،ثمّ إنّه اعتذر عن ذكر بقية أحوال العين وماتدّل عليه قائلًا:"وسائر ذلك لايُدرّك إلّا بالمشاهدة".([١٦٥])

فبعد أن ذكر الثعالبي أحوالها،تكلم على أقسام الإشارة في فصل،وفصل في تفصيل حركات اليد،وذكر فصلاً في تحريكات مختلفة،منها: "الإنغاض:وهو تحريك الرأس([١٦٦])،نحو الغير كالمتعجّب"([١٦٧])،

قال العجاج يصف الظليم([١٦٨]):

واستبدلَتْ رسومه سَفَنَّجا أصَكَّ نَغضاً لايني مستهدَجا

فهو "إذا مشى رجف رأسه وحرّك أسنانه،أمّا الحركة الجسمية في الإنغاض فهي تحريك الرأس إمّا تعجباً،وإمّا استهزاء وسخرية،وإمّا إنكاراً،ويكون شكل الحركة، برفع الرأس إلى فوق وإلى أسفل".([١٦٩])

وجاء ذكر الإنغاض في كتاب الله في قوله عزوجل:"فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً".([١٧٠])

١٦٤- المصدر السابق ، ص٣٢.

١٦٥- طوق الحمامة، ص٣٢.

١٦٦- فقه اللغة،ص١٢٠

١٦٧- المفردات في غريب القرآن،نغض،ص٥٢١.

١٦٨- لسان العرب،نغض،٢٢٠/١٤، ديوان العجاج،،٢٧٢،والفنج:كل سريع ويقصد به الظليم،والأصكّ:الذي تصطك عرقوباه،والنغض:الذي يهز رأسه وينفض إذا مشى،ويحرك أسنانه.

١٦٩- دراسات في علم اللغة، لفاطمة محجوب:ص١٩٢.

و"يصدر عن الرأس حركة أخرى هي الإيماء"([171])،"ويكون الرأس أو اليد فيها كما يومئ المريض برأسه للركوع والسجود،ويستخدم للدلالة على الرفض".

قال ذو الرّمة:

صياماً تذبّ البَقّ عن نخرَاتها بنهْزٍ كإيماء الرؤوس الموانعِ

بعد هذه التعريجة على الرأس ينتقل محور الكلام إلى اليد وماتصدره من لغات:

أوّلها: "أشار بيده([172])،واليد المقصودة هي الجزء الممتد من أطراف الأصابع إلى الكفّ".([173])

وتقع "الإشارة بالكفّ والعين والحاجب،أنشد ثعلب([174]):

نسر الهوى إلّا إشارة حاجب هناك،وإلّا أن تُشير الأصابع"

ورد في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان يشير في الصلاة؛أي يأمر وينهى بالإشارة،وكان إذا أشَارَ بكّفه أشار بها كلّها،فما كان من ذكر التوحيد والتشهّد،فإنّه كان يشير بالمُسبِّحة وحدها،وماكان في غير ذلك كان يشير بكّفه كلها،ليكون بين الإشارتين فرق".([175])

واليد أداة الدماغ،ووسيلة للاتصال يعزّ نظيرها،وقد تكون بديلاً عن الكلام حتى إنّه ليقال:يتحدث بيديه.

وثانيها:"صَبَعَ بفلان على فلان،إذا أشار نحوَه بأصبعه مغتاباً([176])،بعيب أو أراده بشرَّ"([177])،"وفي هذه الحالة تكون الإشارة بالسبّابه الممدودة،وهي حركة

١٧٠- الإسراء:آية ٥١.

١٧١- فقة اللغة،١٢١.

١٧٢- فقه اللغة،١٢١.

١٧٣- لسان العرب،يدي،١٥/٤٣٧.

١٧٤- المصدر السابق:شور،٧/٢٣٥.

١٧٥- المصدر السابق ،٧/٢٣٥.

١٧٦- فقه اللغة،ص١٢١.

١٧٧- المخصص،١/١٤٦.

عدائية"([178])،إذ يعبّر المشير عن عداوته وتهديده، وعند استخدام هذه الهيئة من قِبل أحد الوالدين تجاه أبنائهم،يظهر تحرك الأصبع المشير،وكأن التهديد يكون أخف وطئاً،وغالباً مايصاحبها حركات مساندة من الوجه أوالعينين أو الرأس،وقد تتعاضد جميعها لأداء المطلوب،وقد يشار بالأصبع لتدلّ شخصاً على شيء ما،كالتمثال أو عصفور أو سفينة،.....فعندئذٍ تكون بقية أعضاء الجسد السابقة (الوجه،العينين،الرأس) ساكنة هادئة توحي بالهدوء والسكينة،فتقصر دلالة الأصبع على الإشارة([179])،يصدق ذلك قول ابن الرومي([180]):

أشارتْ بالخِضابِ إلى الخِضاب كناظرةٍ إلى شيءٍ عُجاب

وثالثها:"اللّي أو الإلواء،وهو تحريك السبّابة وحدها عن الثعالبي"([181])،"ويكون اللَّي أو الإلواء إشارة باليد([182])،واللّي أحسن من الإلواء،وذلك أن الثانية تطلق على الكلام إذا خالفته عن جهته"([183])،"ولايطلق اللّي على الكلام،والأفضل إذا جعل اللّي لليد والأصبع ،والإلواء للكلام؛لتكون التفرقة واضحة بينهما.ويستخدم اللّي بالأصبع للسلام على الحبيب كقول البحتري"([184]):

لوت بالسلام بناناً خضيباً ولحظا يشوق الفؤاد الطَّروبا

ومن خلال الثانية والثالثة يرى الباحث أن الثعالبي جعل إشارة الأصبع للغيبة والسبابة للسلام،وهما حركتان لهما أكثر من دلالة كما ذكرت قبل قليل.

وثالثه: "حركات اليد أن يدعوَ الشخصُ إنساناً بكفّه قابضاً أصابعها،وتُسمى هذه الحركة عند الثعالبي الإِيماء"([185])،وهذا القول أكثرُ دقّةً وضبطاً وتفصيلاً،ممن

١٧٨- لغة الحركات، باكو، ص٤٣.

١٧٩- لغة الحركات،ص٤٤-٤٥.

١٨٠- شرح ديوان ابن الرومي ،٣٢١/١.

١٨١- فقه اللغة،ص١٢١.

١٨٢- لسان العرب،لوي٣٧٠/١٢.

١٨٣- المصدر السابق ،لوي٣٦٩/١٢.

١٨٤- ديوان البحتري:،تحقيق،عمرالطباع، ص١٢٠.

١٨٥- فقه اللغة،ص١٢١.

يقول إن الإيماء يكون باليد([186])،إذ الإيماء ههنا لاتتضح كيفيته،بل ذكرت آلته وأداته وهي اليد،وسبب هذه الهيئة هو دعوة للشخص المقابل، وتكون بيد واحدة، فإذا كانت باثنتين فغالباً ماتكون راحتا اليدين متجهتين نحو الداخل،وهي طريقة لاجتذاب المرء إليه الشخصَ المخاطب،كما لو كان تقريباً يرغب في احتضانه([187]).

وهيئة رابعة من أوضاع لغة اليد،يقوم الشخص فيها ببسط كفّه أمام الناس يسألهم المساعدة،"ويطلق على هذه الهيئة اسم التكفّف([188])،وفي الحديث: " لأن تترك أولادك أغنياء خيرٌ من أن تتركهم عالة يتكففون"([189]) ،"والمستكِفّ بالصدقة،أي الباسط يده يعطيها،من قولهم: "استكفّ به الناس إذا أحدقوا به"([190])،وفي التكفّف تكون راحة اليد إلى أعلى،وتستخدم كإيماءة مطيعة،غير مهدِّدة علاوة على استخدامها للتوسل".([191])

ضروب المشي وإيماءاته:

لكل واحد مشيته الخاصة به إلى حدٍّ ما،يكاد يُعرف بها عند ذويه،وبعض خصائص المشي قد تعود إلى البنية الجسدية،وطبيعة البيئة التي يسكنها،"فمن يسكن المناطق الجبلية الوعرة مثلاً تجده يشدّ جسمه،وتكون خطواته قويّة وسريعة،إذا ماقورن بمن يسكن المناطق السهلة،ويظهر بعد تقدمه في السن آثار وعلائم تقوّسٍ وانحناء في ظهره،وعموماً فإنّ اتساع الخطوة وسرعة السير ووضع الجسم كلها عوامل تتأثر بالحالة العاطفية"([192])، "والنفسية التي نجد أنفسنا فيها فقد يكون حزيناً،أو مقبطّاً،أو مشغول البال،فيكون السير ببطْ كثير،وربما اعتضدت أعضاء الجسد مع

١٨٦- لسان العرب،ومأ،١٥/٤٠٧.

١٨٧- لغة الحركات،ص٥٠.

١٨٨- فقه اللغة ،ص١٢٣.

١٨٩- المصدر السابق ،ص١٢٣.

١٩٠- لسان العرب،كفف،١٢/١٢٦.

١٩١- لغة الحركات،ص٥٠.

١٩٢- كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال حركاتهم، لإيناس زياده، ص٢٩.

الرجلين كالذراعين المتراخيتين،أو وضعهما في جيبه،والنّظر إلى الأرض(الرصيف)"([193]).

ومن ضروب مشي الإنسان التي ذكرها الثعالبي:

١-"الخَطَران:وهي مشية الشَّاب باهتزاز ونشاط،وإذا لم تكن للشّاب فإنها الدَّألان([194])،يحرك الماشي يده أثناء المشي([195])،ويُقال للمتبختر في مشيه:الخاطِرُ[196] ،أمّا الدَّأل،فهو الخَتْل،والدَّألان:مشي الذي كانّه يبغي في مشيه من النّشاط"([197])،والظاهر أن في الكلام تناقضاً،"فالخَتْل إنما هو الخِداع،ثم إن الماشي يريد النشاط ويظهرُه،مع أنه قد يكون ضعيف البنية غير قادر على هذه المشية،وتترافد أعضاء لغة الجسد مع الرِّجلين لتشكيل بقية أجزاء هذه المشية،فالذقن يكون مرفوعاً،وتتسع الخطوات،وتتأرجح الذراعان،والشخص الذي يمشي هذه المشية يكون راضياً عن نفسه،وعمّا يصيبه ومايريده([198])،ويكون فعله هذا لإثارة إعجاب الآخرين"([199]).

٢.المُطيطاء:مشية التّبختُر،ومدّ اليدين([200])،وأصل المطّ:المَدُّ([201])،وذكرت هذه الهيئة في القرآن الكريم في قوله تعالى:"ثمّ ذهب إلى أهله يتمطّى"[202]،وهيئة هذه المشية شبيهة بالخَطَران والدَّألان،إلّا أن التركيز ههنا على ضرورة مدّ اليدين واسترخاء

١٩٣- لغة الحركات،ص٥٤، وكيف تقرأ أفكار الآخرين،ص٢٩.

١٩٤- فقه اللغة،ص١٢٣-١٢٤بتصرف.

١٩٥- المخصص،٣٠٩/١.

١٩٦- لسان العرب،خطر،١٣٦/٤.

١٩٧- المصدر السابق ،دأل،٢٧٤/٤.

١٩٨- لغة الحركات،ص٥٥.

١٩٩- كيف تقرأ أفكار الآخرين،ص٣٢.

٢٠٠- فقه اللغة،ص١٢٤.

٢٠١- لسان العرب،مطط،١٣٤/١٣.

٢٠٢- القيامة:آية٣٣.

الأعضاء،وقيل بأنّه مأخوذ من قولِهم:مطّ شِدْقَهُ-مددّهُ في كلامه،وكل شيء مَدَدْته فقط مططته([٢٠٣]).

٣-الاختيال والتبختر والتَّبيَهْسُ:مشية الرجل المتكبّر،والمرأة المعجبة بجمالها وكمالها([٢٠٤])،والتبختر مشية حسنة في خيلاء"([٢٠٥]).

وهذه الأحوال والهيئات واحدة:لاتفترق عما سبقها من الخَطَران والمطيطاء إلّا بالحركات الرافدة، والأعضاء المساعدة من بقية أعضاء الجسد،يضاف إلى هذا أن المرأة في مشيتها هذه يغلب عليها تحريك عجيزتها واهتزازها[٢٠٦]،وحالُهم جميعاً الرجال والنّساء يحبون أجسامهم منتصبة، ومنتفخةٌ أوداجهم،ظانّين أنّ ذلك يظهرهم مظهر الشخص المهم[٢٠٧]،ورؤوسهم مرفوعة،ثاقبي النّظر،والفمّ مزموقاً بغلظة والأنف مرفوعاً،والساق التي تحمل الثُقل في الخلف ،والثانية ممدوة قدر الإمكان ويستطيع المرء أن يرى كل جانبه المفتوح،أمّا حال اليدين فمنسبلتان على جانبي الجسم ومنفرجتان"([٢٠٨]).

٤.يقول الثعالبي: "الهدجان:مشية المُثقل"([٢٠٩])،"وإذا أُطلقت على الشيخ فإنّه يمشي رويداً في ضعف،يقارب الخطو ويسرع من غير إرادة([٢١٠])،والخلاصة في الهدج:أنه مشيٌ وسعيٌ عدوٌ،بشرط أن لايخلو من الارتعاش"([٢١١]).

ويمكن تخيل من يمشي هذه المشية بأن يضع قدميه بحذر وهدوء،واتجاه حركته إجمالاً يميل إلى الأرض،"ويبدو الجزء الأعلى من الجسم منكمشاً،ذراعاه مسبلتان على جانبيه،وقلّما يستعملهما في مشيته".([٢١٢])

٢٠٣- المخصص،٣٠٨/١.

٢٠٤- فقه اللغة،ص١٢٤. بتصرف.

٢٠٥- المخصص،٣٠٨/١.

٢٠٦- الفراسة وقراءة لغة الجسد، لنادين كمت، ص٩٥.

٢٠٧- المصدر السابق ، ص١٢٣ بتصرف يسير.

٢٠٨- المصدر السابق ،ص١٩٨

٢٠٩- فقه اللغة،ص١٢٤-١٢٣.

٢١٠- المخصص،٣٠٣/١.

٢١١- لسان العرب،حدج،٤٨/١٥.

٢١٢- الفراسة وقراءة لغة الجسد،ص٢٣٨.

وتكون "الساق مُجَرجَرةٌ،والقدمان مثلقتين،وتعضدهما العينان الغامضتان المبهتان،وربما رفدتهما اليدان على الجبين وانخفضت الكتفان...،إن الشخص بهذه الهيئة والمشية يكون غير مرتاح في الحياة بحيث لايسعه تحريك جسمه؛بسبب الهموم التي تثقل عليه وتحرمه من كل طاقة في جسمه"([٢١٣])،فيبدو مكتئباً حزيناً.

٥."النألان:بالنون عند ابن سيده وغيره([٢١٤])،وقال الثعالبي:"التألان بالتاء لا بالنون،وهو ضرب من المشي كأن الماشي ينهض برأسه ويحركه إلى فوق عند المشي كَمن يعدو وعليه حمل ينهض به".([٢١٥])

٦."وقال ابن منظور: الإهطاع:وهي مشية المسرع الخائف وبصره إلى السماء في ذلّ وخشوع"([٢١٦]).

ضرب من تعبيرات الوجه:

الوجه بعد العين،أداة لها خطرها وشأنها في التواصل والاتصال،"فالابتسامة في معنى الفرح، والكِشرة في معنى الحزن،وتقطيب الوجه في معنى الغضب،وبسط الوجه رسالةُ بِشْر،ويُعد الوجه والرأس أغنى أنظمة الرموز عند الإنسان،ويعدُّ بعضهم الوجه مفتاح الأحاسيس ويتحدث عن إمكانية إصدار الجهاز العضلي الوجهي لنحو(٢٠٠,٠٠٠)مئتي ألف تعبير وجهي مختلف([٢١٧])،وقام فريق من الباحثين بتصنيف وتمييز(١٣٥)إيماءة وتعبيرا على الوجه وحركة بالرأس والجسم ومن بينها كانت(٨٠)حركة محددة بالوجه والرأس".([٢١٨])

وإذا كان القدماء قد ذكروا عدداً من تعبيرات الوجه،فإن المحدثين قد أثبتوا كثيراً مما لم يذكره القدماء،ولاحظ العلماء أن شقائق الرجال يكثرون من استخدام

٢١٣- لغة الحركات،ص٥٥.

٢١٤- المخصص،٣٠١/١.

٢١٥- فقه اللغة،ص١٢٤، ولسان العرب،نأل،٦/١٤،والمخصص،٣٠١/١-٣٠٢.

٢١٦- لسان العرب،٣٧٢/٨.

٢١٧- اللغة واختلاف الجنسين، لأحمد مختار عمر:ص١٤١.

٢١٨- كيف تقرأ الأفكار الآخرين من خلال حركاته،ص٢٤.

حركات الوجه،ويتفوقن في ذلك على الرجال،فهنّ يستخدمن حركات الوجه بصورة أكثر تعبيرية للدلالة على الحرارة،أو الصداقة أو البهجة،أو لِبثّ الهدوء في نفس السامع،وثبت أيْضاً أن المرأة تنتج نماذج أكثر من التقطيب والعبوس وغيرهما،مما يدخل تحت التعبير الوجهي أو السلبي([٢١٩])،كما أثبتت الأبحاث الحديثة أن الانفعالات الأساسية لدى الإنسان ستة هي: "البهجة والحزن والاشمئزاز،والخوف والغضب والدهشة([٢٢٠])،وليس يخفى أن الدراسات تتعاقب في هذا الموضوع،ومن تلكم الدراسات ماقام به"بول إكمان"للتحقق من شمولية أو عمومية التعبيرات الوجهية على الجنسين خلُص فيها إلى أن(٩٣%)يكون التعبير عن البهجة و (٨٨%)بالنسبة إلى التعبير عن الدهشة،و(٨٣%)للتعبير عن الاشمئزاز،و(٨١%)للتعبير عن الحزن،و(٧٦%)للتعبير عن الخوف،أمّا التعبير عن الغضب فكانت نسبته(٧٢%)"([٢٢١]).

ولما كان الغضب والعبوس ظاهريانويأخذان حيّزاً في حياة الإنسان،وقد تكون هذه الانفعالات وانعكاساتها على تعبيرات الوجه انعكاساً للشخصية،يُلحظ على الثعالبي أنه عقد فصلًا للعبوس جاء فيه:-

١.إذا "زوى الشخص مابين عينيه فهو قاطب وعابس([٢٢٢])،ويكون بجمع الغضون (تثنّي الجلد) في الجبين،ومابين الحاجبين"([٢٢٣])،وعادة ماتكون الحواجب متجهة للأسفل وخاصة من الأطراف الداخلية"([٢٢٤])،وذلك أنّ الأعصاب والعضلات التي تنتشر تحت بشرة الوجه كثيرة جداً ولاتبعد إلا سنتيمترات قليلة عن مركز الدماغ،وبذلك تظهر حركات الوجه التعبيرية مباشرة وسريعاً،ويستجيب لأدنى سائل عصبي فتكشف أضعف أثر للانفعال،حتى لو حاول الشخص المعني ببذل المستحيل لإخفاء تلكم التعبيرات".([٢٢٥])

٢١٩- اللغة واختلاف الجنسين،ص١٣٠.

٢٢٠- لغة الحركات،ص٦٢.

٢٢١- المصدر السابق ،ص٦٢.

٢٢٢- فقه اللغة،ص٩٣.

٢٢٣- لسان العرب،قطب،٢١٢/١١وغضن،٨٥/١٠.

٢٢٤- كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال حركاتهم،ص٢٦.

٢٢٥- المصدر السابق ص٢٦.

٢.المرحلة الثانية تتواصل مجموعة من أعضاء الوجه فيها لإبراز صورة الكالِح،وتكون هذه الهيئة بعبوس مع تكشير الأنياب([٢٢٦])،فتتقلّص الشفتان عن الأسنان،وتتشمّر الشفاه،وتبدو الأسنان للناظر([٢٢٧])،وهذه الهيئة كما يتضح هي كسابقتها ولكن بزيادة ظهور الأنياب".([٢٢٨])

٣.إذا زاد العبوس عمّا سبق فهو باسرٌ ومُكفهِرّ([٢٢٩])،وزيد على ماسبق أنه يكون العبوس نظر بكراهة شديدة،أو تقطيب من شدة الخوف كالعذاب مثلاً([٢٣٠])،كقوله تعالى:"ووجوه يومئذٍ باسرة"([٢٣١])،علماً أن الأصل الدلالي لمادة(بسر)يتفرع إلى فرعين أحدهما الطراءة وأن يكون الشيء قبل إناه،والثاني وقوف الشيء وقلّة حركته([٢٣٢])، وبالرجوع إلى المادة اللغوية للمكفهّر يتبين أنه يُطلق على السحاب الذي يغلُظ ويسوَدُّ ويركب بعضه بعضاً،وعلى الوجه غير المنبسط الذي لاطلاقة فيه،يضرب لونه إلى الغُبْرة،ولايُرى فيه أثرُ بِشْر ولا فَرَح([٢٣٣])

والظاهر مما سبق أن علائم العبوس تتبدّى بكثرة على الوجه فأولها العبوس وانزواء مابين الحاجبين وتجمعهما،بسبب التأثيرات العصبية ثم يقوم الفم بفتح الشفتين لتبدو الأسنان خلالهما،وتنضاف إليهما العينان بنظرة الكراهية والقسوة،واضطراب التنفس،فالشهيق يكون أكثر طولاً من الزفير،ثم يشحب لون الوجه؛لأن الدم ينسحب إلى العضلات والدّماغ،وذلك لاستعداده للهجوم على من يقف أمامه.

٤.وربما يكون العبوس بسبب الهمّ،وعندئذٍ يقال لمن يتصف بهذه الحالة:"ساهِمّ،وإذا كان عبُوسه من الغيظ وكان مع ذلك منتفخاً فهو مبرطم([٢٣٤])،والبرطمة تكون بتدلية الشفتين من الغضب"([٢٣٥]).

٢٢٦- فقه اللغة،ص٩٤.

٢٢٧- تهذيب اللغة،كلح،٣١٧٤/٤.

٢٢٨- كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال حركاتهم،ص٢٧.

٢٢٩- فقه اللغة،ص٩٤.

٢٣٠- لسان العرب،بسر،٤٠٥/١.

٢٣١- القيامة:آية٢٤.

٢٣٢- المقاييس في اللغة،بسر،٢٤٩/١.

٢٣٣- لسان العرب،كفه،١٣٠/١٢.

٢٣٤- فقه اللغة، ص١١٧.

وتتداعى تفاصيل أخرى لتساند الغضب والبرطمة كارتعاش المنخرين واتساعهما،وهبوط الحاجبين وقطوبهما نحو وسط الجبين، وقسوة النظرة الصادة عن عينين نصف مغمضتين، وربما كان عندهما الاستعداد للخروج من محجريهما،وتدفق الدم إلى وجهه وأذنيه.([٢٣٦])

٥.الاخرنطام:وهو غضب مع تكبّر ورفع رأس([٢٣٧])،وقيل إن المخرنطم يرفع أنفه أيضاً([٢٣٨])،وأظن أن الأمر فيه تركيز على الأنف واستعارته من خرطوم الفيل أو الحيوان عموماً،أي إن المقصود هو زيادة التقبيح لمن يفعل هذا الفعل،ولاسيّما إذا كان هذا تصويرا قرآنيا للكفرة"سنسمه على الخرطوم".([٢٣٩])

٦."الغَيظ:وهو غضب كامن للعاجز عن التّشفّي([٢٤٠])،ومن ذلك قوله تعالى:" وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ"([٢٤١])،وفي هذه الكيفية تتكئ راحة اليد على العُنق،وتكشف هذه الحركة الإحباط،طالما أنها تبدو موقوفة في اندفاعها،وتسندها أعضاء أخرى كالعينين والحاجبين وتسارع النَّفَس".([٢٤٢])

بعد ذلك يذكر ما هو أبعد الغيظ حَرَدٌ وهو أن يغتاظ الانسان فيتحرش بالذي غاضه ويهمّ به،ثم الحَنق وهو:شدّة الاغتياظ مع الحقد،ثم الاختلاط وهو: أشدّ الغضب،واهماكَّ الرجل،وازماكَّ واصماكَّ إذا امتلأ غيظاً".([٢٤٣])

وهذه الأحوال والهيئات كسابقتها من الغضب المكبوت في داخل الشخص،ولاعلائم لهذه الأحوال تميزها عن سواها،إلاّ الحرد ففيه همّ وتحريش بمن يغيضه،كأن يضرب كأن يضرب كل مافي متناول يده،أو يمدّ قبضة يده،ويرمي أو يحطم أشياء أمامه،وكل هذه تكون بحسب الظروف، وبحسب الأشخاص،ولكن الغضب في مثل

٢٣٥- لسان العرب،برط،١/٣٨٠.

٢٣٦- لغة الحركات،ص١٠٠.

٢٣٧- فقه اللغة،ص١١٧.

٢٣٨- لسان العرب،خرط،٤/٦٦.

٢٣٩- القلم:آية١٦.

٢٤٠- فقه اللغة،ص١١٧.

٢٤١- آل عمران:آية١١٩.

٢٤٢- لغة الحركات،ص١٠٠.

٢٤٣- فقه اللغة،ص١١٧.

هذه الأحوال لايمكن إصابته بالانهيار العصبي مقارنة بالغيظ والحنق والاهمِماك – أي الذين يبطنون غيظهم.([٢٤٤])

ابن رشيق القيرواني٤٥٦هـ:

بحث ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"الإشارة وبيّن منزلتها وذكر أقسامها،والملاحظ أن مفهوم الإشارة عنده جاء فضفاضاً واسعاً،يتسع للغة الجسد ولغيرها من المباحث اللغوية،فهي –الإشارة-تشتمل عنده على غرائب الشعر،ومُلَحِهِ،وهي لمحة دالّة،وهي اختصار،وتلويح،ومن أنواعها عنده أيضا:"التفخيم والإيماء،والتعريض والكناية،والتمثيل والرمز،واللمحة واللغز،وهذا الأخير من أخفى الإشارات وأبعدها،وقصد به أن يكون للكلام ظاهر عجب لايمكن،وباطل ممكن غير عجب"([٢٤٥])

ومن الإشارات "كذلك: اللحن والتعمية،والحركة الجسدية،والحذف والتورية"([٢٤٦])،إن ماسبق من كلام ليدل على أن المفهوم عنده ليس محددا كما هو الحال عند الثعالبي وابن سيده،ويبدو أنه جعل الحركة الجسدية في شطرين:أولهما حركة مصاحبة لآلة اللغة،وهي عند أكثرهم معيبة-أعني اللغة الجسدية لا اللغة اللسانية -كأنها حشو واستعانة على الكلام،نحو قول أبي نواس:

قال إبراهيم بألما لكذا غرباً وشرقاً

ويؤكد ابن رشيق أن أبا نواسٍ ما أتى بها حشواً في كلامه؛ولكن بياناً وتثقيفاً([٢٤٧])،واستشهد على ذلك بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو بن العاص: " وكيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس،وقد مرجت عهودهم وأمانتهم،واختلفوا فكانوا هكذا؟وشبك بين أصابع يديه" ،ولاأحد أفصح

٢٤٤- لغة الحركات،ص١٠١.

٢٤٥- العمدة، لابن رشيق القيرواني ٣٠٢/١-٣٠٧.

٢٤٦- المصدر السابق ، ١٣٠٧-٣١١.

٢٤٧- المصدر السابق ،٣٠٩/١.

من رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولا أبعد كلاماً منه من الحشو والتكلف([٢٤٨])، - وسيأتي عليه كلام في بابه من هذه الرسالة.

ومن الأمثلة التي ساقها ابن رشيق،وجعل الجسد اليد آلة بليغة ذات شأن في التواصل والخطاب لمّا أقام معاويةُ بن سفيانَ الخُطباءَ لبيعة ولده يزيد،إذ قام رجل من ذي الكلاع فقال:"هذا أمير المؤمنين-وأشار بيده إلى معاويةَ-فإن مات فهذا،-وأشار بيده إلى يزيدَ-فَمَن أبى فهذا،-وأشار إلى السيف"([٢٤٩]).فكلمة"هذا"لم تختلف دلالتها في أي استخدام،وإنما الذي قررّالدلالة وحدّدها هو الإشارة باليد،مرّة على شخص أمير المؤمنين معاوية،وأخرى على ولده يزيد،وثالثة على السيف.

٢٤٨- المصدر السابق ،١٠٢/١.

٢٤٩- المصدر السابق ،٣٠٩/١.

الفصل الأول

تقنيات المعنى غير اللفظي(أفهام نظرية):

أولًا-التقنيات في المكتوب:

أ- علامات الترقيم.

ب- الفراغات.

ج- الرسومات.

ثانياَ-التقنيات في المنطوق:

أ-التنغيم والنبر.

ب- الصمت.

ج- الجهر والهمس.

د- الترقيق والتفخيم.

تقنيات المعنى غير اللفظي(أفهام نظرية):

الجملة بوصفها كلامًا منطوقًا لايمكن أن يأتي معناها المقصود بالألفاظ والتراكيب اللغوية فحسب،بل هناك وسائل وأداءات جانبية تشارك في تحديد المعنى وتسهم في تقويته وتؤثر في تغيير الدلالة ،ويتناول هذا الفصل الأداءات الجانبية التي تسهم في تقوية المعنى سواءًا أكانت مكتوبة مثل:(علامات الترقيم،والفراغات،والرسومات)أم منطوقة كما هو الحال في (النبر، والتنغيم،والصمت ،والجهر والهمس،والترقيق،والتفخيم).

أولاً:التقنيات في المكتوب:

أ-علامات الترقيم:

"إنّ علامات الترقيم تحدد مواقع الفصل و الوصل ، و تُنَبّه على المواضع التي ينبغي فيها تغيير النبرات الصوتية ، و تُسَهّل الفهم و الإدراك عند سماع الكلام ملفوظاً ، أو قراءته مكتوباً . فهي في الكتابة تُغني عن الإشارة بالوسائل الأخرى التي يستخدمها المتحدّث للتعبير عمّا في نفسه".([٢٥٠])

"فعلامات الترقيم عبارةعن رموز متفق عليها توضع في النص المكتوب لتنظيمه وتيسير قرائته و فهمه،فعلامات الترقيم لاتعتبر حروفا وهي غير منطوقة،و تختلف استخداماتها وقواعدها حسب اللغة وأيضاً تطور تلك اللغة عبر الزمن.وبصورة أدق نقول :أن علامات الترقيم هي عبارة عن رموز اصطُلِحَ عليها، توضع بين أجزاء الكلام لتمييز بعضه من بعض، ولتنويع الصوت به عند قراءته ، ليعرف مواضع الوقف من مواضع الوصل ، ولتحديد نبرة لهجته عند قراءته جهرا".([٢٥١])

ومن "فوائد استعمال علامات الترقيم تحقيق غرض اللغة من الاتصال الفكري بين الكاتب والقارئ كذلك،وكأن الكاتب يصطحب القارئ شعورا وحسا فيعلمه أنّه يستفهم هنا،ويتعجب هناك، ويستفهم متعجبا في هذه العبارة ويتابع حديثه على

٢٥٠- مجلة مجمع اللغة العربية،القاهرة، العدد١٨/ ١٥٢.

٢٥١- المعجم الوسيط ،٣٦٦/١.

طوله،ويفسر له هنا ما غُمِضَ ، وينقل له كلام غيره بنصه،ويستغني عن بعض كلامغيره فيشير إلى ذلك،ويعلل هنا إلى غير ذلك من مشاعر وأحاسيس لا تترجم بالألفاظ اللغوية فتقوم علامات الترقيم بهذه المهمة فتفصح عن غرض الكاتب ، وترشد القارئ وتعينه على الفهم والتأثر بعواطف الكاتب وانفعالاته وتصطحبه في شعوره وأحاسيسه"([٢٥٢]).

علامات الترقيم واستعمالاتها:

١-الفاصلة(،):

وتستعمل للفصل بين الجمل، ومواضع استعمالها سبعة وهي:

١-بين الجمل داخل الفقرة الواحدة ،وبين الجمل القصيرة المترابطة التي تكون جملة طويلة مركبة، مثل:

عمر بن أبي ربيعة ، شاعر أموي ، ولد في مكة ، ومات فيها...

٢-توضع بين الصفات ، والأفعال ، وغير ذلك مثل:

المعلم يقرأ الدرس ، يشرح ، يراقب الطلبة ، يستمع إليهم ، يجيب عن أسئلتهم

٣- بين أنواع الأشياء ، مثل:

أنواع الفعل ثلاثة : ماضٍ ، ومضارع ، وأمر.

٤-بعد المنادى، مثل:

يا محمد ، اتق الله

٥-بين القسم وجوابه ، كقوله تعالى:

" والعصر، إن الانسان لفي خسر "

٦-بين الشرط وجوابه ، مثل:

إن تذاكر، تنجح.

٧-بين البدل والمبدل منه ، مثل:

عمر بن الخطاب ، الخليفة العادل ، أقام العدل، ونشر الأمن.

٢-الفاصلة المنقوطة (؛):

٢٥٢- مجلة مجمع اللغة العربية، العدد٣/٣٠٣.

وتستعمل بين جملتين تكون إحدهما سببًا في الأخرى ، مثل:
نجح محمد في الامتحان ؛ لأنه اجتهد في دروسه.
٣-النقطة(.):
وهي علامة الوقف التام ، وتوضع في نهاية كل جملة تم معناها ، بحيث تحمل الجملة التي تليها معنىجديدًا غير المعنى السابق، مثل:
كانت العرب في الجاهلية يئدون بناتهم خوفاً من العار والفقر. وعندما جاء الإسلام ، رفع من شأن المرأة....

٤-النقطتين(:):
وتستعملان في:
١-مواضع التوضيح وتفصيل المجمل ، مثل:
الكلمة ثلاثة أنواع : اسم ، وفعل ، وحرف
٢-بعد القول ، مثل:
قال محمد : السلام عليكم
وقال أحمد : وعليكم السلام
قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : كلمتان خفيفتان على اللسان.....
٥-الشرطة(-):
تستعمل في المواضع الآتية:
١-توضع بين العدد والمعدود (العدد رقما) مثل:
الجمل نوعان:
أ- الجملة الاسمية
ب- الجملة الفعلية

٢- توضع بين العدد والمعدود (العدد لفظا) مثل:
أنواع الخبر ثلاثة:
أولاً – المفرد.
ثانيًا – الجملة.
ثالثًا – شبه الجملة.

٣-توضع بين ركني الجملة إذا طال الركن الأول مثل:
اليوم الذي نعيش فيه ساعات سعيدة ونكون فيه إخوة متحابين ونتعاون في العمل بيننا - لا يعوض.
(اليوم) مبتدأ وهو الركن الأول،و(لا يعوض) الخبر وهو الركن الثاني وما بينهما محددات وحشو يستغنى عنه.
٤-في الحوار، اذا أريد الاستغناء عن أسماء المتحاورين ، مثل : - هل أنت مسافر ؟
-نعم
-وإلى أين ؟
-إلى مكة بإذن الله.
٦ -علامة الاستفهام (؟):
وتوضع في نهاية الجمل الاستفهامية،سواء كانت أداة الاستفهام مذكورة أم محذوفة ،سواء أكان الاستفهام غرضه السؤال عن جهل،أو كان سؤالاً غرضه استنكار الفعل واللوم على ارتكابه،مثل:
متى تسافر إلى الأسكندرية ؟ (أداة الاستفهام موجودة وهي متى).
تسافر إلى الأسكندرية غدًا؟ لا بعد غدٍ (أداة الاستفهام تقدر بهل).
السؤال في المثالين الأولين كان عن جهل ، وأردنا منه إزالة هذا الجهل.
أتسب أباك ؟ (أداة الاستفهام موجودة وهي الهمزة).
"تفطر في رمضان ؟ (أداة الاستفهام مقدرة بـ "هل أو الهمزة).
والسؤال في المثالين السابقين كان غرضه التعجب، والإنكار،والدهشة.

٧-علامة التأثر أوالتعجب (!):
وتوضع بعد الجمل التي تحمل انفعالًا ما ، كالفرح والحزن والدعاء والتمني والترجي والدهشة والتأسف والمدح والذم ... إلى غير ذلك من انفعالات نفسية تعتري المتكلم وتؤثر في طريقة أدائه
مثل : ما أجمل صنع الخالق!
يا فرحتاه !، وامعتصماه ! ، الويل لأعدائنا ! .... إلخ
وفي هذا قصور من مجمع اللغة العربية فقد جعل لكل هذه الأشياء والانفعالات المتضادة علامة

واحدة، فكيف لعلامة واحدة أن تعبرعن الفرح وتعبر عن الحزن في نفس الوقت ؟

٨-علامة الاعتراض(--):

تكون الجملة المعترضة بين شرطتين مثل:

قال أبي - أطال الله في عمره - : لا تجالس رفاق السوء....

قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : عينان لا تمسهما النار...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-:.....

٩-علامة بداية الفقرة:

وهي عبارة عن فراغ بحجم كلمة يتركه الكاتب في بداية كل فقرة جديدة مثل:__آيات كثيرة في القرآن الكريم ...)، __ إن الإسلام قد أعلى من شأن المرأة علوًا كبيرًا ويتضح ذلك..

١٠- علامة التنصيص (" "):

ويوضع بينهما كل كلام ينقله الكاتب من كلام غيره بنصه وحرفه ، للاستشهاد بكلامه ، أو دعم وجهة نظره،أو لمناقشته والرد عليه ، وعدم وجود هذه العلامة تعني سرقة للكلام ، وهذا هو الفرق بين الكاتب الجاد والسارق ، وهو استعمال علامة التنصيص هذه، وذلك مثل:

ولقد توصلت إلى هذه النتيجة بعد بحث وعناء ووافقني فيه الكاتب الكبير (فلان) وقد قال ذلك في مواضع كثيرة " كذا وكذا ... إلى آخر كلامه"

١١-علامة الحذف (...):

وتستخدم في:

١-عندما ينقل الكاتب كلامًا عن كاتب آخر وهو مثلاً يريد أن يستشهد بسطرين من بداية الصفحة وسطرين من نهاية الصفحة وما بينهما لا فائدة منه ؛ فيكتب أول سطرين ، ويكتب آخر سطرين ، ويضع بينهما هذه العلامة (...) ، وهي ثلاث نقاط فقط لا أكثر.

٢-عند السب والشتم ، مثل:

وقد قال له يا ابن الـ.....

:عند السؤال بأكمل ما يأتي ، مثل٣-

من أسماء الإشارة هذا و...و...و...
وتكون ثلاث نقاط فقط لا أكثر.

١٢- القوسان المكوفان أو المعقوفان([ ]):

ويستخدمه المحققون لكتب التراث عندما يجدون في المخطوطات جملاً بها كلام ناقص ، قد سقط سهوًا من الناسخ عن غير عمد ؛ فيزيدون هذا الكلام من عندهم ويضعونه بين هذين القوسين للدلالة على ذلك ،فمثلًا يقول الكاتب : ذهبت مكة ،ثمّ يأتي المحقق ويقول: ذهبت [إلى]مكة؛ليدل على أنّ إلى لم تكن موجودة أصلًا في النسخة المخطوطة.

ب-الصور والرسومات:

ليس الصوت واللغة شيئاً واحداً،إنّ الثقافات البشرية بأنواعها تتخاطب بلغات مختلفة، وتتجلّى بعض هذه اللغات في شكل صوتي، يقول سوسير: "لكل إشارة لغوية معنى يفصل اختلافها عن الإشارات الأخرى ولايوجد في نظام علم اللغة إلّا الاختلاف،المعنى ليس كامناً في الإشارة اللغوية ولكنه وظيفي،ينتج عن اختلاف الاشارات الأخرى"(٢٥٣).

واعتقد سوسير:" أنّ علم اللغة قد يقع في ورطة إذا ماركز على الكلام الفعلي ولم يهتم بأقوال النّاس،بل اهتم بالتركيب الموضوعي للإشارات والتي تجعل كلامهم ممكناً قبل كل شيء.وقد دعاها سوسير باللغة ولم يهتم سوسير بالأشياء الحقيقة التي تكلم عنها النّاس.ولغرض دراسة اللغة يجب إهمال ماتشير إليه الشارات أي الأشياء التي تعبر".(٢٥٤)

ومن تلك اللغات لغة الصورة،وإنّ من أكبر دواعي اهتمام العربية بالصورة هي صلة قرابة الصورة بالبحث اللساني،كما أنّ الصورة أصبحت ركنا أساسيا في اللغة بسياق جديد في العصر الحديث ،وأقصد بالسياق الجديد،أنّنا أصبحنا محاطين

٢٥٣- سيميوطيقا السينما، يوري لوتمان، ترجمة نصر حامد أبو زيد،ص٥٤.

٢٥٤- مقدمة في النّظرية الأدبية، تيري ايجلتون، ترجمة إبراهيم جاسم العلي، ص١٠٧.

اليوم بالصورة فهي موجودة في كل مكان في البيت حيث نجد التلفزيون وملاعب الكرة ووسائل المواصلات والإعلانات الثابتة والمتحركة،المضيئة وغير المضيئة ،لقد أصبحنا نعيش فعلاً حضارة الصورة،ولم يعد بإمكاننا أن نفكر في كثير من أمور حياتنا السياسية والاقتصادية والتربوية والترفيهية من دون أن نفكر في الصورة،ويندرج الاهتمام بالصور في سياق توسيع البحوث في مجال السيميائيات البصرية.([٢٥٥])

يعرف "روبيرت" الصورة بأنّها "إعادة إنتاج طبق الأصل أو تمثيل مشابه لكائن أو شيء.ويحيل أصل المصطلح الاشتقاقي على فكرة النسخ والمشابهة والتمثيل والمحاكاة".(٢٥٦)

وقد يشير مصطلح الصورة بمعناه اللغوي إلى محاكاة شيء،وبعبارة أخرى إلى موجود بذاته وبمعناه البنائي إلى مُركّبْ.أي إلى إيجاد ماهو موجود(٢٥٧)،والصورة هي المادة الأساسية للرسم،وهذه المادة الأولية ماهي إلّا حقيقة معقّدة للغاية،وهي في الرسم تتأسس على معانٍ مهمة تلزمنا بنقل العالم صورياً،بمعنى أنّ قول الرسم هو قول بصري حيث تتحول وسائل الإدراك والتّخيُّل والمعرفة مجتمعة إلى صورة ثمّ تتحول هذه الصورة إلى حسّية"ايقونيةتطابقية".(٢٥٨)

وليس هناك فرق بين الصورة والرسم سوى أنّ الصورة مصنوعة آلياً والرسم مصنوعٌ باليد،أمّا القاسم المشترك بين اللغة والصورة خاصة في مفاهيم مثل العلاقة والدّال والمدلول والرسالة،والدلالات التي يمكن الكشف عنها داخل الصورة والرسومات البصرية .

وظائف الصورة وسماتها:

٢٥٥- شاكر عبدالحميد:عصر الصورة،ص٥.

٢٥٦- الصورة واللغة(مقاربة سيميوطيقة)، محمد المعماري، في مجلة فكر ونقد الرباط،المغرب،العدد١٣.

٢٥٧- بلاسم:الفن التشكيلي قراءة سيميائية في أنساق الرسم، رسالة دكتوراه،ص٦٧.

٢٥٨- المصدر السابق ، ص٧٧

- وظيفة تعبيرية:"فالعمل الفني يملك بالإضافة إلى وظيفته كعلامة مستقلة وظيفة أخرى هي وظيفة العلامة التوصيلية،وتظهر هذه الوظيفة التوصيلية بجلاء في بعض الفنون ذات الموضوع"(٢٥٩).

- وظيفة تأثيرية،إنّ الاعمال الفنية ثابتة،"أمّا مايتغير منها فهو مجموع قراءتها وتأويلها عبر مختلف العصور والثقافات أي أن الذي يتغير هو الإدراك الجمالي للنصوص والأعمال الفنية"(٢٦٠).

- تدامج الشكل والمضمون،"فيبدو الموضوع للوهلة الأولى وكأنّه يقوم بدور هذه الوظيفة التوصيلية،والواقع أنّ جميع العناصر المكونة للعمل الفني حتى أكثرها شكلية تملك قيمتها التوصلية الخاصة المستقلة عن الموضوع،فالخطوط والألوان في صورة ما تعني شيئاً.فالعمل الفني علامة وبنية وقيمة في الوقت نفسه".(٢٦١)

إنّ الصورة كما عبّرت عنها غالية خوجه: "عاملها النقد على أساس أنّها " نص"بمفهوم ما، تنطبق عليه الرؤى الابداعية،القارئة أو المتلقية أو المشاهدة مستغورة في الأبعاد الموضوعية والفنية،واختلافاتها في النسق من حيث التوظيف والدّلالة والهدف، واحتمالات المعاني والإشارة والانزياح.فالصورة لها فضاء زماني لاتتراكم فيها العناصر الأساسية من حدث وزمن وشخصية درامية أو تراجيدية،وانفتاح أو انغلاق،بل أيضاً يتراكم فيها بعد زمني آخر وهو الزمن المقصود من هذه الصورة أو اللقطة أو المشهد، فالصورة...لغة بلا كلمات..بكاء بلا عبرات،أو ريشة تخط الهمسات،أو لوحة تجسد الآهات،و أخرى تصيغ المسرات،الصورة لغة الكائنات حين تغيب الكلمات"([٢٦٢]).

٢٥٩- الفن باعتباره حقيقة سيميوطيقية، جان موكارفسكي، ترجمةسيزا قاسم،ص٣٢.

٢٦٠- سيميائيات التواصل الفني، للطّاهر راوينيّة، ص٤٧.

٢٦١- الفن باعتباره حقيقة سيميوطيقية، ص٤٠.

٢٦٢- سيميائية اللقطة وسر الصورة، مقال للكاتبة غالية خوجة، جريدة الرياض، الخميس ٥ رجب ١٤٣١ هـ - ١٧ يونيو ٢٠١٠م - العدد ١٥٣٣٣، مع تصرف يسير.

ج-العلامات الخارجة عن بنية النص.

يرى خرفي محمد صالح أن: "تعدد العتبات النصية، أو العلامات اللغوية الخارجة عن بنية النص الأصلي، أصبحت لازمة من لوازم بناء المؤلفات المكتوبة بل هي مفاتيح هامة للدخول إلى عالم النص ،بل تعدّى الاهتمام به إلى العناية بالمكان الطباعي، أو مكان النّص ،وتدعيم النص بعلامات غير لغوية داخل الحديث أو خارجه، لتقريب ما يحمله الحديث من معانٍ ودلالات للقارئ وفك غموضه، وهذا التعدد ناتج عن تعدد التجارب وتنوعها ومحاولة لتيسير فهم الحديث ،فكل علامة لغوية لها دلالتها وأهدافها حتى يضيء طريق الحديث للقارئ ويوجه فهمه حتى لا يضيع في مجاهل اللغة"([٢٦٣]).

ثم يقول خرفي صالح: "يمارس الخارج النّصي مع الدّاخلي تأثيرهما معاً على القارئ من حيث لا يدري ،حيث تأخذ الأحاديث حركتها و رسالتها وهدفها من بنيتها اللغوية وصورتها الكتابية، وطول الحديث من قصره، وبناء الجمل، والتشكيلات الخطية، وتناسق الخطوط المستعملة في العنوان وفي المتن، وطريقة إخراج الكتاب، ومكان كتابة الحديث النبوي من الورقة، وتخصيص رقم لكل حديث ،واستعمال الهوامش ،وتوظيف العتبات النّصية،...وغيرها من التّقنيات التّي تُستعمل لتقديم دلالات الحديث الشريف في أبسط الصور البصرية؛ فالحس البصري له دور في منح النّص معنى ودلالة لأنّ فهم النّص لا يتأتّى إلّا إذا اجتمعت عناصر البصر والسمع والعقل، فالفضاء النّصي: هي الطريقة التي تشغل بها الكتابة باعتبارها أحرفاً طباعية ورقية بدءاً من تشكيل الغلاف، ووضع العبارات الافتتاحية، وتغييرات الكتابة المطبعية، والفهارس، مروراً بالهوامش، ثمَّ الرسوم، والأشكال، وبناء على هذا التحديد وبالعودة إلى صحيح مسلم نجد أنّ معمار فضائها النّصي ذو

٢٦٣- سيميائية الفضاء النصي في الشعر الجزائري المعاصر، لخرفي محمد الصالح:ص١٥.

طابع خاص ومحدد بدءاً بالغلاف،ثمّ النظر إلى تصميم الكتاب الشكلي لأن جميع ذلك مؤشرات دلالية غير لغوية"([٢٦٤]).

فينشأ الفضاء النّصي من خلال وجهات نظر متعددة تتعايش وتتفاوت على عدة مستويات:يعيشه القائل أولاً وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، والراوي ثانياً، والمتلقي آخراً .([٢٦٥])

وهكذا يمكننا النظر إلى المكان داخل النّص بوصفه شبكة من العلاقات التّي تتعانق مع بعضها البعض لتشكيل فضاء الأحاديث النبوية ،التي تقدم للمسلم كل مايعينه على أمور دينه ودنياه.

التقنيات في المنطوق:

أ-التنغيم و النبر:

يصف السيد الدكتور حمدان أبو عاصي: "التنغيم بأنه حالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعاً أو انخفاضاً أو تنغيماً أو غيرذلك،فجملة(صباح الخير)مثلًا لها معانٍ عدَّة إذا قيلت بتنغيمات مختلفة،فقد تكون تحية،أو لومًا،أو تحقيرًا،أو تعظيمًا،أومحبة،أو استخفافًا،أو عدم اكتراث"([٢٦٦]).

وجاء في البيان والتبيين :"والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع،وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً إلّا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس،ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدّل والشكل والتفتل والتثني"([٢٦٧]).

٢٦٤- المصدر السابق ،ص١، بتصرف يسير.

٢٦٥- سيميائية البنية المكانية في رواية (كراف الخطايا)، د.صالح ولعة، جامعة الجزائر، رابط: https://articles.e-marifah.net

٢٦٦- مجلة الجامعة الإسلامية بنابلس، حمدان أبوعاصي، المجلد السابع عشر، يونيو ٢٠٠٩،العددالثاني، ص٥٧.

٢٦٧- البيان والتبيين ،٧٩/١.

وإشارة الجاحظ لَدليل على أهمية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلم،وهي بعد ذلك التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي.ويسميه الدكتور"إبراهيم أنيس"موسيقى الكلام([٢٦٨]).

ويقرن الدكتور تمام حسان التنغيم في الكلام المنطوق ويماثله من حيث الأهمية بالترقيم في الكلام المنطوق ويماثله من حيث الأهمية بالترقيم في الكلام المكتوب قائلًا:"غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة"([٢٦٩]).

وقد أكد تمام حسان هذا بقوله عندما تحدث عن التنغيم :"وربما كان له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام فتقول لمن يكلمك ولا تراه : أنتَ محمدٌ ، مقرراً ذلك ومستفهماً عنه وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام"([٢٧٠]).

ويذهب تمام حسان إلى أنّ "التنغيم غير مسجل ولامدروس،ومن ثم تخضع دراستنا إيّاه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النطقية في اللهجات العامية"([٢٧١])،ولكننا نجد عند "ابن جني"إشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة([٢٧٢])،فلقد فطن إلى دور التنغيم في تحديد الدلالة فيقول في كتابه:"الخصائص تحت عنوان:"باب في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها":"ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا،وذلك قولك:مررت برجل أيما رجل لأن ما زائدة،وإنّما كان ذلك لان أصل الاستفهام الخبر،والتعجب ضرب من الخبر،فكأنّ التعجب لمّا طرأ على الاستفهام إنّما أعاده إلى أصله من الخبرية".([٢٧٣])

٢٦٨- الأصوات اللغوية، أنيسى إبراهيم، ص١٢٣.

٢٦٩- اللغة العربية مبناها ومعناها، حسّان تمّام، ص٢٢٦.

٢٧٠- مناهج البحث في اللغة، حسّان تمّام، ص١٤٦.

٢٧١- اللغة العربية معناها ومبناها،ص٢٢٨.

٢٧٢- لسانيات من اللسانيات، زين كامل، ص٧٤.

٢٧٣- الخصائص،١ /٢٦٩.

كذلك تطرق ابن جنّي إلى التنغيم في كتابه الخصائص عندما تعرض لقضية حذف الصفة في وذكر مثالًا لذلك حين قال:"أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول:"كان والله رجلًا! "فتزيد في قوة اللفظ بـ(اللهِ)هذه الكلمة،ولتمكِّن في تمطيط اللام،وإطالة الصوت بها أو عليها،أي كان رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك.وكذلك نقول :سألناه فوجدناه إنسانًا!وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه،فتستغني بذلك عن وصفه بقولك:إنساناً! وتزوي وجهك وتقطّبه،فيغني ذلك عن قولك:إنسانًا لئيمًا...الخ".([٢٧٤])

يقول تمام حسان :"التنغيم ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام "([٢٧٥])،"وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة نحو:"نعم،لا،ياسلام،الله،إلخ"لأن تقال بنغمات متعددة ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والاثبات لمعان مثل الحزن والفرح والشك والتأنيب والاعتراض والتحقير وهلم جرا،حيث تكون النّغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني لأن الجملة لم تتعرض لتغيير في بنيتها ولم يضف إليها أو يستخرج منها شيء،ولم يتغير فيها إلا التنغيم وماقد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم ممّا يعتبر من القرائن الحالية".([٢٧٦])

ويقول تمام حسان:"إن الكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره وذلك ما يعرف باسم التنغيم ".([٢٧٧])

يعد إبراهيم أنيس أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة ، وسماه "موسيقى الكلام "، حيث ذكر: "أنّ الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات ، فالأصوات التي يتكون منها

٢٧٤- المصدر السابق ١ /٣٧٣.

٢٧٥- مناهج البحث في اللغة،ص١٤٦.

٢٧٦- المصدر السابق ،ص١٤٦.

٢٧٧- البيان في روائع القرآن، تمّام حسّان، ص٢٦٣.

المقطع الواحد ، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها .... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمةالموسيقية"([٢٧٨]).

ويقول الدكتور أحمد مختار عمر:"ونوع يسمى بالتنغيم وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة او العبارة أو مجموعة الكلمات"([٢٧٩]).

يرى الدكتور أحمد مختار،أنّ معظم أمثلة التنغيم في العربية ولهجاتها من النوع غير التمييزي الذي يعكس إمّا خاصية لهجية أو عادة نطقية للأفراد؛ولذا فإنّ تقعيده أمرًا يكاد يكون مستحيلًا،ويرى أنّ التنغيم هو الذي يغير معنى الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد،إلى انفعال،إلى تعجب في شكل الكلمات المكونة([٢٨٠]).

أمّا بالنسبة للدكتور رمضان عبد التّواب،فإنّه يرى أنّ "القدماء أشاروا إلى بعض آثار التنغيم،ولم يعرفوا كنهه،غير أنّنّا لانعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدّلالة على المعاني المختلفة"([٢٨١]).

ونرى أنّ التنغيم أكثر أهميةً من الترقيم فبالإمكان أن نتابع الكلام المكتوب دون ترقيم،ولكن مع الكلام المنطوق تبرز أهمية التنغيم في إبراز القيم الدلالية في الفعل الكلامي،فالتنغيم تنويع في درجات الصوت خفضاً وارتفاعاً في الوحدة الدلالية مهما تنوعت مقاطعها وظهورها ضمن سياق الكلام.

"فكل جملة أو كلمة ينطق بها لابد أن تشتمل على درجات مختلفة من درجة الصوت ، ما بين عالية ، ومنخفضة ، ومستوية ، ومنحدرة تتناسق وتتناغم لتُؤَدّي الكلمة والجملة . فاختلاف درجة الصوت في الكلمة وتباينها من مقطع إلى مقطع آخر قاعدة عامة تخضع له جميع اللغات . إذ أنه من المستحيل أن نجد لغة تستعمل نغمة واحدة في الكلمة أو الجملة وتجعلها سائدة في كل أجزاء الجملة ،

٢٧٨- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص١٦٧.

٢٧٩- دراسة الصوت اللغوي، ص١٩٢.

٢٨٠- المصدر السابق ، ص٣١٠.

٢٨١- المدخل إلى علم اللغة رمضان عبدالتّواب؛، ص١٠٦.

فلابد أن تكون هنالك عدة نغمات متآلفة متناسبة في الكلمة . وقد أشار العلماء إلى أنواع النغمات ما بين هابطة إلى أسفل وصاعدة إلى أعلى وثابتة مستوية"([٢٨٢]).

والأداء الصحيح للغة، ونطقها له أسس ومعايير،دوّنها العلماء ،ينبغي أن تلقن وتعرف . فالانحراف عن النطق المتعارف عليه عند أصحاب اللغة،يؤدي غالباً إلى اختلاف المعاني وتباين المقاصد،ناهيك عن عدم وضوح المعنى،فمعرفة طرق الأداء والنطق الصحيح، لا يقل في أهميته عن معرفة علم النحو،وللسانيات قدم راسخة في دراسة أساليب الأداء في اللغات، كان من ثمراتها استحداث واستنباط مصطلحات علمية في مجال دراسة الأصوات كالمماثلة، والنبر، والتزمين والتنغيم إلى غير ذلك.والأصل في اللغة أن تكون منطوقة ،"يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "([٢٨٣]).

والتنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة أمّا التراكيب المقروءة فقد استعاضت عنه ببعض رموز وعلامات الترقيم لتدل بها على الاستفهام والتعجب والاستغاثة والدهشة وغير ذلك(٢٨٤)، والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة،أو ربما كان ذلك لأن مايستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات: كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثر وربما كان ذلك سبب آخر،إذ لم يكن للعرب نظام الترقيم كالذي نعرفه الآن،فلقد كانت اللغة العربية الفصحى في عصرها الأول ككل لغات العالم وربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالاً على التعليق بالنغمة،فكان من الممكن مثلاً أن نفهم معنى الدعاء:"لا، وشفاك الله"، بدون الواو اتكالاً على مافي تنغيم الجملة من وقفة واستئناف،ومع ذلك لم يكن ثمة مفر لمن دونوا التراث من الاحتفاظ دائماً بهذه الأدوات بسبب عدم وجود ذلك الترقيم أو التنغيم في الكتابة فكان لابدّ لهم من ضمان أمن اللبس في المعنى بواسطة اطراد ذكر الأدوات"([٢٨٥]).

٢٨٢- مناهج البحث في اللغة، ص١٦٦.

٢٨٣- الخصائص،١/:٣٣.

٢٨٤- التنغيم في التراث العربي، ؛ لعليان الحازمي، ص٤

٢٨٥- اللغة العربية معناها ومبناها ص٢٠٦.

فمن مظاهر التنغيم أنه يزيل اللبس عن معنى الجملة وبه يدرك الفرق بين المعاني. وهذا يتأتى بإتقان مجموعة طرق الأداء في النطق تتمثل في النبر، والوقف، والسكت والإيقاع، ووصل بعض الكلام، واختلاس بعض الأصوات والاستغناء عن بعضها ومد بعضها لتكون واضحة . هذه الأمور هي علامات بارزة وهي ما يكوّن التنغيم،"فالمتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتابَ ، أو الاستحثاثَ ، أو لفتَ النظرِ، أو الامتعاضَ إلى غير ذلك"([٢٨٦]).

"ويعتبر التنغيم من الفونيمات فوق التركيبية أو الإضافية التي تصاحب نطقنا للكلمات والجمل،ويعني المصطلح الارتفاع أو الانخفاض في طبقة أو درجة الصوت،ويرتبط هذا الارتفاع والانخفاض بتذبذب الوترين الصوتيين اللذين يحدثان النغمة الموسيقية،أي أن التنغيم بهذا المفهوم يدل على العنصر الموسيقي في نظام اللغة"([٢٨٧]).

النبر:

النبر في عرف علماء اللغة المحدثين وضوحٌ نسبيٌّ(أو إبراز الصوت)يتميز به صوت،أو مقطع من بقية الأصوات أو المقاطع الأخرى التي تجاوزه في البنية التركيبية،ويسخر المتكلم لتحقيق هذه الحالة جهداً عضلياً أعظم([٢٨٨])، ويعد (الضغط)الذي يصاحب عملية النّبر،عاملًا مساعدًا من بين مجموعة عوامل أخرى،لكنه يبقى الأقرب،لأن النبر في حد ذاته يُعرف بدرجة الضغط على الصّوت أكثر ممّا يُعرَف بأي شيء آخر،أو لأنّ الضغط في صورتيه:صورة الضغط وصورة النّغمة يتسع مجال تطبيقه على النّبر أكثر ممّا يتّسع مجال العوامل الأخرى([٢٨٩]).

ويعتبر النبر أكثر شيوعا في اللغات الغربية منه في العربية،بحيث يمكن أن يتغير معنى الكلمة في تلك اللغات بتغيير موقع النبر فيها؛ولذلك يهتم اللغويون بتحديده في قواميس تلك اللغات.أمّا في العربية فإنَّ "النبر لايُغيّر المعنى،ولكنه يساعد السامع

٢٨٦- التنغيم في التراث العربي،ص٥.

٢٨٧- دراسات لغوية في التراث القديم، لصبيح التميمي، ص٤٤.

٢٨٨- مناهج البحث في اللغة،ص١٩٤.

٢٨٩- المصدر السابق ،ص١٩٤.

على الفهم"([290])؛ لذلك يرى جلُّ الدارسين المعاصرين أنّ العرب القدامى لم يهتموا بهذا النوع من الدراسة،وأنّ اللغة العربية غير منبورة([291])، وبالرغم من أنّ النبر في العربية لايؤثر غالبًا في تحديد معاني الكلمات من الجمل إلّا أنّ له دورًا لايمكن إهماله في ذلك.ولعل من أبسط الأمثلة وأوضحها التي تبين طبيعة النبر وأهميته في تحديد المعاني أنّ التقطيع العروضي لتركيب(مدرِّسُ العربية)،وتركيب (مدرِّسو العربية) من قولنا : (جاء مدرِّسُ العربية)،و(جاء مدرِّسو العربية)،هو تقطيع واحد،وهو(مُ درْ رسلْ عَ رَ بيْ يَ ةِ)فإذا قلت لشخص (جاء مدرِّسو العربية) - دون استعمال النبر- فلن يعلم أنّك تتحدث عن جمع من المدرسين،بل يظنك تتحدث عن مدرس واحد.وهنا يأتي النبر ليفرق بين الجملتين:فإذا أردت الأولى أي المفردة فيجب أن يكون النبر على مقطع"درِّ"وربما يضعه البعض على"رِّ"،أمّا إذا أردت الجملة الثانية أي الجمع فيجب أن يكون النبر على المقطع(سُل)؛ليدل على أصلها(سول)،ولكن حذفت الواو لمنع توالي الساكنين على الواو واللام،فتلفظ (سُلْ) في الجملة.

النبر ملمح في جرس الصوت(فوق تركيبي)أي ليس من جرم الصوت نفسه،بل صفة مصاحبة له،جرّاء اهتزاز الوترين الصوتيين،ومايصحب ذلك من تغيير في عدد الذبذبات الصوتية،(درجة الصوت) ،وقوة الجهد المبذول المرتبطة بارتفاع الصوت (شدة الصوت)،والفترة الزمنية لانتشاره أو امتداده (كمية الصوت) فتلك عوامل تجعل مقطعا من الكلمة واضحاً سمعياً أكثر من غيره وليس ثمة لغة خالية من النبر،وهو في اللغات الأوربية وظيفي ودلالي،فأمّا في العربية فليس وظيفياً ودلالياً،فليس باليد ثنائيات لغوية اكتسب كل منها معنى مختلفاً بسبب النبر. على أنّ النبر غير العفوي أي القصدي من شأنه أن يحدث تغيرات في نسيج الكلمة العربية،فتطول بسبب موضع للنبر في إحدى مقاطعها،وقد نقصر للعلة نفسها.ومن ثم يتحول النبر ههنا إلى أداة من أدوات التوليد اللغوي،وخلق تنوعات صرفية مختلفة ولكل منها وزنها الصرفي الخاص بها.ومن ذلك أنّ المد والقصر في القراءات القرآنية،ومثله التخفيف والتثقيل إنّما يُفسر بسبب تغير موقع النبر من الكلمة

٢٩٠- العربية الفصحى، فليش؛هنري، نحو بناء لغوي جديد،ترجمة عبدالصبور شاهين، ص٤٩.

٢٩١- التطور النحوي للغة العربية، "برج شتراسر" إخراج وتصحيح رمضان عبدالتواب، ص٧٣.

ونسوق ههنا قراءة (مَلْك،مَلِك،مَلِيك)،فهي في (مَلْك) وزن (فَعْل) قراءة تخفيف من مقطع واحد ونبر على عين البنية.وهي في (مَلِك) وزن (فَعِل) قراءة تثقيل من مقطعين ونبر على فاء البنية،وهي في (مليك) وزن (فعيل) قراءة تثقيل بانتقال النبر إلى الوراء فطال المقطع . ومعنى ذلك أن حجم الكلمة طولًا وقصرًا يتغير بتغير النبر، وفي هذا التغير تُفهم أحياناً خصائص لهجية تمتاز بها قبيلة عن غيرها .

من أمثلة أثر النبر:-

- تقصير مقطعي في الكلمة: "تَمَامًا"١٥٤/٦ في سورة الأنعام،قُرِئَت"تَمْتَماً"،"ومِدَاداً"١٠٩/١٨في الكهف،قُرِئَت "مِدَداً"،انتقل النبر من الثاني إلى الأول(تقدم)فقصر المقطع.

- تطويل مقطعي قراءة"مِلِك"٤/١ في النَّاس،قُرِئَت "مَلِيْك"،و"مَعَارِج"٣٣/٧٠ في المعارج، قُرِئَت"مَعَارِيْج"،تأخر النبر فطال المقطع.([٢٩٢])

وبالمحصلة فكلاهما التنغيم والنبر تقنيات صوتية فوق تركيبية أي ليسا من جرم البنية الصرفية،ويصح القول هما من تطريزات الكلام ومن اللغة غير اللفظية المقاربة من لغة الإشارة في بعض استعمالاتهما.

ب-الصمت:

إنّ موضوع الصمت في اللغة موضوع ذو أهمية بالغة، لكونه يشغل حيزا مهما من اللغة التعبيرية (لغة الجسد) بتنوعها ودلالاتها، فالصمت يعد أداة تعبيرية مهمة من لغة الإنسان التي تستعمل الأدوات المختلفة لتوصيل المعاني من وسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية.

[٢٩٢] – الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٨٥/١٦.

وإذا كانت للغة المنطوقة نظام يتكون ويتشكل من مستويات تعبيرية يتواصل الناس بها ويحصل الإفهام والتفاهم بينهم بقواعد وضوابط صوتية محددة، فإن الأشكال التعبيرية الأخرى من رموز وإشارات صامتة والتي نطلق عليها "لغة البدن" ما هي إلا ترميز وتصوير للمنطوق يأتي منفردا ومصاحبا ومساعدا ومبينا يقول دي سويسر: "اللغة مخزن للصور السمعية والكتابة الشكل الملموس لهذه الصور"([٢٩٣])، ومن هنا يمكن للإنسان أن يستخدم القالب الذي يراه مناسبا للتعبير عن أفكاره ومشاعره وأحاسيسه وكل ما يختلج بصدره ونقله من الداخل إلى الخارج، سواء نقلها ناطقا أو صامتا، المهم أن يعبر عن غرضه ومقصوده بما يفهمه الناس من حوله وهذه هي وظيفة اللغة كما يراها ابن جني -رحمه الله-: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"([٢٩٤])، وكما صرح به دي سوسير في تعريفه للغة بأنها: "نظام إشارات تعبر عن الأفكار" ([٢٩٥]).

إنّه من خلال جولة من التصفح والتتبع لكتب الدلالة ومعاجم اللغة يمكن القول بأن الصمت: هو وسيلة للتعبير عن نقل الدلالة النفسية، والحالة التعبيرية التي يعيشها الصامت حال صمته، سواء كان الصمت سكوتا وانقطاعا مطلقا عن الحديث ، أو تعبيرا عن حالة نفسية مؤقتة من الدهشة والغلبة، أو كان منعا وحجزا للنفس عن الكلام خلال موقف ما .

وهناك بعض المقامات التي لا يناسبها ولا يعبر عنها إلا حالة بيانية من الصمت وترك النطق مطلقا ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم في شأن البكر: "وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا"،"أي صمتُهَا عن الكلام إِذْنِهَا، فَجعل صُمَاتَ البكر إيذانا بموافقتها شَرْعًا ثُمَّ جُعِلَ إِذْنًا مَجَازًا ثُمَّ قُدِّمَ مُبَالَغَةً" .([٢٩٦])

وإذا كان الغاية من اللغة بيان المراد والتعبير عما في الضمير، وكان البيان هو الكشف عن المعنى المقصود، فقد اعتبر الأدباء والبلاغيون الصمت من أهم وسائل

٢٩٣- البنيوية، روبرت شولز ص٣٢ .

٢٩٤- الخصائص،١/٣٣.

٢٩٥- البنيوية، ص ٢٨ .

٢٩٦- المصباح المنير للفيومي:،٥/٢٥٥.

التعبير عما في الضمير وإفهام الآخر مطابقة لمقتضى الحال بالنسبة لبعضهم،أو على كل حال بالنسبة لآخرين، وقد حفلت كتب الأدباء والبلاغيين واستطراداتهم وأشعارهم وأقوالهم بمدح الصمت،والتمدح به والتنويه بشأنه تصريحا ، أو تلميحا عن طريق ذكر جنايات اللسان،وكلومه،وطيشه،حتى قال بعضهم إن الصمت أفضل من الكلام مطلقا،واستدل لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم "وَهَل يُكِبُّ النَّاسَ على وجوهِهِم في النَّارِ،إلَّا حصائدُ ألسنتِهِم"([٢٩٧])، ولا يزال الأدباء والبلاغيون يسترسلون في ذكر محاسن الصمت وبلاغته،يقول الجاحظ: "واعلم أن الصمت في موضعه ربما كان أنفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه، وعند إصابة فرصته.([٢٩٨])

وَقد اعتبر أستاذ البلاغة الكبير عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله- " أَنَّ الصمت عما يُدرك بالقرائن أو الإشارات، ممّا يرفع مستوى الكلام إلى مراتب عاليةٍ في البلاغة والإبداع والجمال البياني، قال في كتابه " دلائل الإعجاز ":"والصَّمْتَ عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجِدُكَ أنْطَقَ ما تكونُ إذَا لَمْ تَنْطِقْ ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لمْ تُبَيِّنْ".([٢٩٩])

ونرى الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني يشير إلى بعض دواعي الصمت، ودلالاته، وأسبابه فيقول: " تجد بعض الناس ميالين إلى قلّة الكلام،وإيثار الصّمت إلاَّ عند الحاجة الماسّة، بسبب

ضابطٍ حكيمٍ من عقولهم،أو بسبب شعورهم بالعجز عن استدعاء الكلماتِ المعبّرات عمّا يُريدون من المعاني،إذْ لا تُساعدهم ذاكرتُهُمْ على اختيار الكلمات المناسبات لما يُريدون التعبير عنه، أو يُصابون بالْعِيّ والْحَصَرِ في مواقف الرَّغبةِ أو الرَّهبة، أو اضطراب النفس وقَلَقِها لأمْرٍ ما، فيَتَعَثَّرون في الكلام".([٣٠٠])

٢٩٧- سر الفصاحة، للخفاجي:١/٦٢.

[٢٩٨] - الرسائل للجاحظ، ١/٢٦.

٢٩٩- دلائل الإعجاز، للجرجاني:٢/٤٢.

٣٠٠- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لحبنكة الميداني:١/٤٧٥.

وقد تبارى الشعراء والأدباء من قديم الزمان، في استنطاق الصامت من البشر، والأزمنة، والديار، والآثار وعدوا ذلك من أبلغ وسائل البيان والإيضاح والتعبير،معتبرين أن الصمت أبلغ في المعنى والدلالة من النطق،فالصامت بطبعه بليغ موجز يعجبك صمته فتستحسنه، كما تغبطه على تمكنه من قلبه، ولسانه ،وتعقله، وإنما تظهر زيادته أو نقصانه عن غيره عند خروجه عن صمته كما قال زهير.([٣٠١])

وكائِنْ تَرَى مِن صامِتٍ لكَ مُعْجِبٍ زِيادَتُهُ أو نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ

لِسانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلا صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

كما اعتبر كثير من الشعراء والبلاغيين الصمت أبلغ تعبير عن كمال الفطنة،ورجحان العقل،وخير ملجأ تهرب إليه النفوس والعقول السليمة،من سقط القول وسفه التعبير؛ ولهذا قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: " إذا تم العقل نقص الكلام"([٣٠٢])، كما اعتبروا الصمت والاقتصاد في الكلام،من شروط الرشد في الأقوال،والأفعال في العبادات والمعاملات .

سأل حفص بن سالمٍ عمرَو بنَ عبيد عن البلاغة : فقال ما بَلّغَك الجنة ، وباعدك عن النار ، وبصرك مواقع رشدك ، وعواقب غيك ، قال : ليس عن هذا أسأل ، فقال كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ، ولا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت([٣٠٣])، وقد عبر عن هذا المعنى الإمام محمّد بن سالمٍ الحفنيّ بقوله([٣٠٤]):

إذا لم يَكنْ في السَّمْعِ مِنّي تَصامُمٌ وفي بَصَرِي غَضٌّ وفي مَنْطِقي صَمْتُ

فحَظِّي إذاً مِنْ صَوْمِيَ الجُوعُ والظَّمَا فإنْ قُلْت يوماً إنَّني صُمْتُ ما صُمْتُ

٣٠١- ديوان المعاني، للعسكري:ص٢٢.

٣٠٢- ربيع الأبرار، للزمخشري:١/١٢٠.

٣٠٣- زهر الأداب وثمر الألباب، للحصري، ١/١٠٦.

٣٠٤- تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي:٤/٥٩٠.

وتتسع دلالات الصمت لتشمل مفاهيم مختلفة يشكل فيها الصمت بنية أساسية للتعبير عن معاني متعددة تنضوي داخل الصمت كالغموض، والكبرياء، والوقار، أو التأمل، والذكريات، والحنين. أو العزلة، والخوف، وغيرها من الرموز الدلالية العديدة، من هنا كان للعرب أمثال وأقوال وأشعار كثيرة تتعلق بالصمت ودلالاته وفوائده،منها"الصمت حكمة"([٣٠٥])،و"الصمت أوجد للمراد من النطق"([٣٠٦])، و"الصمت أجلب للمودة"([٣٠٧])، و"الصمت علامة الرضا"،و"الصمت حبسة"([٣٠٨])، وما ذلك إلّا لأنه ند للقول في الكشف عن المعنى، كما أنّه أقلّ تبعات وأخف كلفة على الإنسان من القول، ولهذا أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم كنظير للقول ومقابل له في التعبير بقوله : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".([٣٠٩])

وقداشتهرت الحكم والآثار المشهورة عند الناس عن الصمت على ألسنة العلماء والزهاد والوعاظ كقولهم: "إِنْ كَانَ الْكَلاَمُ مِنْ فِضَّةٍ فَالصَّمْتُ مِنْ ذَهَبٍ"([٣١٠])،وكقول أبي حنيفة رحمه الله: "إذا اجتمعت الإشارة والعبارة تعتبر الإشارة"([٣١١])،وهذه الحكم والآثار تدل على أن للصمت قصة مغزاها كبير، ومعانيها جمة.فهو القصيدة في جوف شاعر، وهو الحكمة عند من جرب، وهو الكلمة التي عجزت الشفاه عن البوح بها.

وقد يكون للصمت والإمساك عن الكلام دلالة واضحة على معنى الموافقة والقبول لما يعرض من رأي أو مسألة ومن هذا القبيل قول النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال

٣٠٥- "الصّمت حكمة وقليل فاعله"،هي أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي من حكم لقمان الحكيم عليه السلام. انظر حسن السمت في الصمت المزهر للسيوطي،١٦/٢.

٣٠٦- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي:١٨٢/١.

٣٠٧- البصائر والذخائر،٢٠٦/١.

٣٠٨- البيان والتبيين.

٣٠٩ - صحيح البخاري، كتاب الأدب حديث رقم:(٥٦٧٢)، صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم:(٤٧)،مسند أحمد بن حنبل (٢٦٧/٢).

٣١٠- الصمت لابن أبي الدنيا:،ص ٣٦، ونقله عن الأَوْزَاعِيّ رَحِمَهُ اللهُ وأنه من قول سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليهما السلام.

٣١١- البحر الرائق لابن نجيم الحنفي،١١٨/٣، وهذه قاعدة فقهية من قواعد أبي حنيفة.

:"الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا ، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا"([٣١٢])،قال ابن نجيم الحنفي رحمه الله: "لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا – يعني الأيم والبكر- فِي اشْتِرَاطِ الِاسْتِئْذَانِ وَالرِّضَا وَإِنَّ رِضَاهُمَا قَدْ يَكُونُ صَرِيحًا ، وَقَدْ يَكُونُ دَلَالَةً غَيْرَ أَنَّ سُكُوتَ الْبِكْرِ رِضًا دَلَالَةٌ لِحَيَائِهَا دُونَ الثَّيِّبِ".([٣١٣])

وقد يدل الصمت دلالة أخرى وذلك على العزلة الكلامية من أجل التعبد والتوجه إلى الله تعالى والتربص عند إرابة الأمر وعندئذ يطلق عليه الصوم: وبه فُسِّر قَوله تَعالَى حكاية عن مريم عليها السلام:"إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا"،قال ابن عباس رضي الله عنهما:"صمتا".([٣١٤])

وقد يدل الصمت كذلك دلالة أخرى تصب في التقوى والخوف من اللسان وعطب الجوارح أو لحوق الأذى بالنفس أو بالآخرين، ولهذا نجد أن كثيرا من العباد والزهاد يتحدثون عن الصمت ويحثون عليه ويبرزون أهميته ويعدونه من صفات الحكمة والحلم وحسن الخلق والشجاعة، معتبرين أنه باب يطرقه العقلاء و يستخدمونه في حياتهم الشخصية بطرق شتى، ويرونه قفل الحكمة، إذ أنه يولد لدى الآخرين الذين هم أعداء الإنسان شعورا بالغيظ لأنهم يرون فيه هجوما مستترا فيكون هو الأقوى من دون كلام أو تعب.

ومن الصمت ما يكون تأملًا واعتبارًا في ملكوت السماوات والأرض وفكرا في بديع صنع الله في خلقه وتصريف الليل والنهار، فيكون الصمت عندها دليلا على النظر والاتعاظ والشعور بالفناء ومن هذا المنحى قول الشاعر:([٣١٥])

قَدْ رَأَيْناَ دِيَارَكُمْ وَعَرَفْنَا أثراً منْ عفاتكمْ مهجورُ

وسألنا أطلالكم فأجابت ومن الصمت واعظ ونذير

٣١٢- أخرجه مسلم:٢ / ١٠٣٧.

٣١٣- البحر الرائق،١١٨/٣.

٣١٤- الصحاح في اللغة،٤٠١/١.

٣١٥- ديوان عبد الله الخفاجي الحلبي:ص٩٩.

وقد يكون الصمت أحيانا دلالة على العجز عن المواجهة والخوف وانقطاع الحجة، وذلك حين لا يجد الإنسان جوابا مقاوما ولا مقاما مناسبا أو حالا مسعفة فيبقى حائرا صمتا لا يحير جوابا، وما حال الكافر الذي حاج إبراهيم في ربه حين انقطعت حجته وصمت بين يديه إلا مثال من هذا المعنى من الصمت قال الله تعالى: "قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ"([٣١٦])،قال الشيخ رشيد رضا: "أَدْرَكَتْهُ الْحَيْرَةُ وَأَخَذَهُ الْحَصْرُ مِنْ نُصُوعِ الْحُجَّةِ وَسُطُوعِهَا فَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا"([٣١٧])،وقال الألوسي رحمه الله: "أي غلب وصار مبهوتا منقطعا عن الكلام متحيرا لاستيلاء الحجة عليه ، فغلبه إبراهيم عليه السلام وأسكته".([٣١٨])

وأخيرا فإنّ الحديث عن لغة الصمت هو حديث عن لغة الإنسان والزمان والمكان، لغة ذات دلالات ومعاني متعددة ومتنوعة،تظهر أحيانا وتخفى أحايين أخر، فهي لغة كأي لغة لها مدلولاتها ومعانيها،فمرة تشير إلى الحكمة والإيمان والعقل،ومرة تدل على الوحدة والعزلة والتحنث،وكما أنّها لغة الشجاعة والحلم والقوة،فهي كذلك قد تعبّر عن العجز والطيش والضعف،كلّ ذلك عبر الرموز والإشارات الذهنية الصامتة، وعن طريق الأساليب الصمتية المتنوعة التي تفتح بابا مهمًا من اللغة التعبيرية لفهم الإنسان والحياة ألا وهو باب اللغة التي نسميها "لغة الإشارة الصامتة".

ونختم هذا المقام بالقول إنّه لكثير ما يواجه الإنسان في حياته اليومية مواقف يكون الصمت فيها معبرًا تعبيرًا أبلغ من التعبير باللفظ، وبذلك أصبح الرمز الصامت يعبر أحيانا بشكل أعمق وأدق من الكلام.

٣١٦- البقرة ،آية ٢٥٨.

٣١٧- تفسير المنار لرشيد رضا: ،٣٩/٣.

٣١٨- روح المعاني للألوسي:،٢٠/٢.

ج-الجهر والهمس:

تندرج مسألتا"الجهر والهمس"ضمن مسائل التنوعات الصوتية النغمية الجرسية،لا الصوتية الوظيفية،من تلك التي تؤدي دلالات مصاحبة،تساعد في تتميم وتكميل عملية التواصل الاجتماعية.ووجودها له تعلق بكلا طرفي التخاطب(المتكلم،والمتلقي)،فالأول منتج له وعنده المقصدية في إبرازها وتنشيط فعلها،والآخر عنده المقبولية في فك رموزها بالنّحو الذي يرتئيه ويفهمه ([٣١٩]).

هكذا الحال في مجموعة المظاهر الصوتية المصاحبة للمباني الصرفية الأساسية،والتي يكثر وصفها بالعناصر"فوق التركيبية"وتشتمل على:الإمالة، والتفخيم، والمفصل[الوقف]، والإشباع[التطويل]، والنبر، والقلقلة، والجهر والهمس، فعمل الجميع مقارب كثيراً لعمل اللسانيات الإشارية المصاحبة للنطق مثل الضحك، والبكاء، وباقي الأفعال السلوكية غير اللفظية، وأدناه سوف نتكلم بشكل أوسع عن الجهر والهمس([٣٢٠]).

إنّ الحديث عن الجهر والهمس في علم الصوتيات يقتضي الغوص في أبعاد دلالية متنوعة، وحقب تاريخية متفاوتة، من خلال تاريخ اللغة وأطوارها، فهما محوران أساسيان في علم الأصوات اللغوية في كل اللغات الإنسانية،كما أنهما أثران صوتيان مهمان اعتمد عليهما كل من القدماء والمحدثين في توزيع الأصوات العربية وكيفية تتبع النطق،يقول الدكتور أحمد حساني: "من المعروف أن علم الصوتيات هو أحد شعب اللسانيات، وفي تراثنا العربي ما يدل على عناية العلماء بالصوتيات منذ عهد الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه إلى عهد ابن جني الذي عني بعلم الأصوات عناية خاصة وعقد لها كتابا خاصا سماه "سر صناعة الإعراب"، الذي تضمن مباحث متنوعة تناولت الصوت من الناحية العضوية والناحية الوظيفية".([٣٢١])

---

[٣١٩] – البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، نسرين العلواني، ص٣١٢.

[٣٢٠] – المصدر السابق ، ص٣١٧.

٣٢١– مباحث في اللسانيات لأحمد حساني، ص٦٣.

تعريف الجهر :

يقول الزمخشري: "جهُر الشيء إذا ظهر، وأجهرته أنا، وأجهَر فلان ما في صدره، ورأيته جهرةً أي عياناً. وجهر بكذا: أعلنه. وقد جهر بكلامه وقراءته: رفع بهما صوته"([٣٢٢])، ويقول سيبويه : " معنى الجَهْرِ في الحروف أَنها حروف أُشْبِعَ الاعتمادُ في موضعها حتى منع النَّفَس أَن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت"([٣٢٣])،وهذه الحروف كما يقول الرضي: "يحصل فيها إشباع الاعتماد وارتفاع الصوت،والجهر هو ارتفاع الصوت ولذلك سميت بالمجهورة، ومن علامتها أن ترى الصوت فيها يجري ولا ينقطع ولا يجري النفس إلا بعد انقطاع الاعتماد وسكون الصوت، وأمّا مع الصوت فلا يجري ذلك لأن النفس الخارج من الصدر يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف إذ الاعتماد على موضع من الحلق والفم يحبس النفس وإن لم يكن هناك صوت"([٣٢٤])، ومصطلح الجهر من مصطلحات سيبويه إلا أن الزجاج نسب هذا المصطلح إلى الخليل فقد قال الزجاج: "وهذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة وهي فيما زعم الخليل ضربان:فالمجهور حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجري معه والمهموس أضعف الاعتماد في موضعه وجرى معه النفس" .([٣٢٥])

وإذا ماتناولنا الجهر عند المحدثين: فنجدهم لا يختلفون كثيرا في تصنيفهم للأصوات المجهورة والمهموسة مع القدماء إلا في أصوات محددة هي: (الطاء)،و(القاف)،و(الهمزة)،أمّا إذا اتجهنا إلى اصطلاحات علماء اللغة فالجهر عندهم: هو اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت، والصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان ؛فالحروف المجهورة إذن هي التي يهتز معها الوتران الصوتيان في الحنجرة، ولهذا فالجهر من الصفات القوية وحروفه مجموعة في قولك: "عَظُمَ وَزْن قارئ ذي غضّ جِدّ طَلَب" ([٣٢٦]).

٣٢٢- أساس البلاغة،٦٩/١.

٣٢٣- كتاب سيبويه،٤٣٤/٤.

٣٢٤- شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي:، ٣ / ٢٥٨.

٣٢٥- معاني القرآن وإعرابه للزجاج:،١،٤١٩.

٣٢٦- شرح الجزرية للشيخ سليمان الحربي:١٠/١.

مفهوم القدماء في تعريفهم للجهر كان غامضا عسير الفهم ,ولذا فقد كرر العلماء عبر عصور طويلة تعريف سيبويه للجهر دون تبديل في العبارة. أما المحدثون فلم يضيفوا إلا عبارة اهتزاز الوترين الصوتيين , وقد ساعدتهم في ذلك وسائل التقنية المستجدة , من خبرات علمية وآلات حديثة استعملت للكشف عن الأصوات, ومن هذه الآلات آلة تستعمل لإثبات الجهر تعرف بآلة (تسوند بيرجيت). فالوتران الصوتيان هما المتسببان في إنتاج النغمة الموسيقية التي تسمى (الجهر) ([٣٢٧]).

دلالة الجهر وما يشير إليه:

وإذا كان الجهر من أصله واشتقاقه يدل على الإظهار والإعلان والمبالغة في ذلك كما مر معنا في التعريف اللغوي،فإنّه من الناحية الإشارية الدلالية لا يخرج عن عموم دلالة أصله،ومفهوم اشتقاقه،وإن توسعت معانيه ودلالاته،واختلفت مفاهيمه وإشاراته، سواء كان ذلك عن طريق النطق الصوتي بالحرف ولغة اللسان،أو عن طريق إشارات من لغة الجسد الأخرى التي تعبّر عن الفكرة والمفهوم الدائر في الذهن،فالجهر بالتعبير سواء كان ذلك التعبير حرفا أو كلمة أو إشارة يقتضي التعبير والإعلان عن فكرة ما،كما يدل على أهمية وتكبير الفكرة ذاتها التي يراد إعلانها ورفعها من خلال التعبير عنها بلغة الجهر التي تتضح لكل الناس،فلغة الجهر في المقام الأول تقتضي في دلالتها المكاشفة والمعاينة لما يخفى على الناس ولا يدركونه إلا بعد الجهر به والإعلان عنه ألا ترى قول بني إسرائيل لنبي الله موسى -عليه السلام- "أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً"([٣٢٨]),أي اكشف مابيننا وبينه،ومن دلالة الجهر كذلك الإفصاح عما في القلب وكشف خفاياه ومنه قول العرب : "جاهر بالعداوة" إذا كاشف الناس وصارحهم بما في قلبه من الضغينة والعداوة،ولا يشترط أن يكون ذلك عن طريق القول باللسان،بل قد يكون بأي لغة تقتضي ذلك وتدل عليه،ومن ذلك قولهم في المثل: "لبس له جلد النمر"([٣٢٩]),وهو يضرب للتنكر وإظهار العداوة وكشفها،ومن

٣٢٧- الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس،ص١٢٣و١٢٤.

٣٢٨- النّساء:آية ١٥٣.

[٣٢٩]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير:٢٢٧/١ .

دلالة الجهر ومعناه كذلك العظم وحسن المنظر،فإنّك إذا رأيت الرجل وأكبرته وعظمته واستحسنت منظره وهيئته فقد جهرته،ومن هذا المعنى كما قال ابن الأثير قول علي رضي الله عنه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: "من رآه جَهَره"، "أي عَظُم في عَيْنه . يقال جَهَرْت الرجُل واجْتَهَرتُه : إذا رأيتَه عَظِيم المَنْظر"([٣٣٠])، ومن دلالة الجهر ومعناه ما يتعلق برفع الصوت مطلقا، وهو إشهاره وإعلانه حتى يتبينه الناس ويرتفع بينهم، وبهذا المعنى فهو ند وضد للمخافتة ويقابله الإسرار،وأدناه حينئذ إسماع الإنسان غيره،كما أن أدنى المخافتة إسماع نفسه ومنه الجَهر بِالصلاة،والقراءَة،والدعاء،أي رَفع الصوْت به .وبه فسر قوله تعالى: "ولا تَجْهَر بصَلاتِكَ ولا تُخافِت بها وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا"([٣٣١])،وهو يطلق حديثا على جِهاز منظار لرؤية الأجسام البعيدة وتكبيرها تصْدرُ عنه ذَبْذَباتٌ صَوْتِيَّة جَهِيرَة بفعلِ الذَبْذَبات الكَهْربائيَّة ([٣٣٢]).

تعريف الهمس:

تعريف الهمس في معاجم لغة العرب كلها تشير إلى أن الهمس هو الصوت نفسه ولكنه مخفي بحيث لا يكاد يسمع،والهمس لغة وكلام، إذ الصوت جزء من الكلام، والكلام جزء من اللغة، فهو تعبير داخل اللغة ولكنه قد يكون في المنطوقة المسموعة،وقد يكون في المفهومة المتجسدة من لغة الإشارة.

قال الفيروزآبادي:"الهَمْسُ:الصوتُ الخَفِيُّ وكُلُّ خَفِيّ،وأخْفَى مايكونُ من صَوتِ القَدَمِ،ومَضْغُ الطعامِ،والسَّيْرُ بالليل بلا فُتورٍ،وحِسُّ الصَّوْتِ في الفَمِ ممَّا لاإشْرابَ له من صَوْتِ الصَّدْرِ ولا جَهارَةَ في المَنْطِقِ" ([٣٣٣]).والهَمُوْسُ الأسَد الشديد الوَطْء على الأرض،ومنه قول رؤبة:([٣٣٤])

---

[٣٣٠]- النهاية في غريب الأثر لابن الأثير:،٨٤٩/١.

[٣٣١]- الإسراء:آية١١٠، وانظر لسان العرب، ٣٠/٢.

[٣٣٢]- المعجم الوسيط،٩٣٢/٢.

[٣٣٣]- القاموس المحيط،١/ ٧٥٠.

[٣٣٤]- العباب الزاخر،٢١٩/١.

لَيْثٌ يَدُقُّ الأسَدَ الهَمُوْسا والأقْهَبَيْنِ الفِيْلَ والجاموسا

والقدماء حين تحدثوا عن الهمس كان ذلك من خلال ملاحظة الحرف وطريقة النطق به مع النظر إلى ضده،اعتبر سيبويه أنّ في المهموس اعتمادا كما في الجهر،ولكنّه اعتماد ضعيف لأنه يقول: "فأمّا المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس"([٣٣٥])،قال بعض النحويين:وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري النفس نحو: (سسسس، ككككك، هههه)،ولو تكلفت ذلك في المجهور لما أمكنك،وقال ابنُ جني:فأَمَّا حُرُوفُ الهَمْسِ فإِنَّ الصَّوْتَ الّذي يَخْرُجُ معه نَفَسٌ،ولَيْسَ من صَوْتِ الصَّدْرِ،إنّما يَخْرُج مُنْسَلاً.([٣٣٦])

والحروفُ المَهْموسَةُ التي تحدث القدماء من خلالها عن الهمس وتتبعوا طريقة النطق بها عشرةٌ يجمعها -كما معروف- قولك: " حَثَّهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ"، وإنما سميت مهموسة أخذا من الهمس الذي هو الإخفاء.

أما الهمس في اصطلاحي المحدثين فهو:عدم اهتزاز الوترين الصوتيين،فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان،ولا يسمع لهما رنين حين النطق به،"والأصوات المهموسة:ت، ث،ح،خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، ه".([٣٣٧])

دلالة الهمس وما يشير إليه:

إنّنا إذا نظرنا إلى الهمس ودلالته وما يشير إليه ويدور حوله من خلال ما مر معنا في التعريف، ومن خلال استنطاق الإشارات الدلالية المتنوعة، واستكناه المعاني والإيحاءات المختلفة لأبعاد الهمس في كتب اللغة العربية نجد أنها ترجع كلها إلى مجموعة من المعاني تدور على الخفاء وعدم الظهور،سواء كان ذلك في الصوت والكلام،أو في الحركة والملاحظة،فالهمس أحيانا يعني التخافت بالكلام والإسرار به دون جهر وإظهار للصوت، وفي هذه الحال قد يشير ويدل الهمس على الخوف

[٣٣٥]- الأصوات اللغوية،ص١٢٣و١٢٤.

[٣٣٦]- المحكم،٤/٣٢٤.

[٣٣٧]- أصوات اللغة،ص ١٣٢.

والرهبة في موقف يقتضي الخشوع والسكينة،فلا يجرؤ الإنسان أن يرفع صوته فيه، ولا أن يتكلم إلا همسا،خوفا من ظهور كلامه،ومن هذا المقام قوله تعالى واصفا موقف المحشر الممتلئ بالجماهير -والذي هو في الأصل مظنة للضوضاء وارتفاع الأصوات- : (وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً)،ومن لغة الهمس كذلك إشارة هامسة بصوت أو حركة إيمائية لا يصحبها الكلام،ومع ذلك فهي ذات دلالة مهمة توحي بكتمان الشيء وعدم إعلانه أو البوح به، فيستعاض عن العبارة اللسانية بالإشارة الخفية لحاجة في نفس الهامس،ومن هنا سميت النميمة همسا قال ابن سيده : "النميمة صوت همس الكلام الذي لا يفهم"([٣٣٨])،وَقد يقصد به صَوْت الْأَقْدَامِ أو غيرها من الجوارح، كَصَوْتِ أَخْفَافِ الْإِبِلِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي فِيهَا يَابِسُ النَّبَاتِ،أو حس المضغ الذي لا يفغر به الفم،وَهذا كله مِنْ دلالة الهمس في صوت الجوارح قَال الرَّاجِزِ:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسًا إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسًا

وهذا النوع من الهمس هو صوت الحركة الخفي الذي لا يظهر ولا يدرك إلا بالانتباه له ويبقى خفيا كالسر،ومن هذا المعنى هَمَس الشَّيْطَانُ في الصَّدْرِ:وهُو ما يُوَسْوِسُه في صدُور الناس،ومن هذا المعنى:تَهامسَ القوم: تساروا فيما بينهم،قال الشاعر:([٣٣٩])

فَتهامَسوا سِراً وقالوا عَرّسوا ** في غيرِ تَمئِنَةٍ بغيرِ مُعَرَّسِ

الفرق بين الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين:

يقول سيبويه - رحمه الله- مفرقا بين الجهر والهمس:"وأنت تعرف الفرق بين الجهر والهمس إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه ، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين

[٣٣٨]- المخصص،٢٢٣/١.

[٣٣٩]- لسان العرب،٦،٢٥٠، وتاج العروس،٤٣/١٧.

والمد بما فيها ، وإن شئت أخفيت"([٣٤٠])،أمّا الدكتور إبراهيم أنيس فيقول:"الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل كلام مجهورة،ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقى ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت والجهر من الهمس والإسرار"([٣٤١]).

ومن هنا نشير إلى أن الجهر عند المحدثين قد اتخذ مفهوما مختلفا عن الهمس ولكنهما اتفقا من حيث المضمون،إذ ارتبط مفهوم كل منهما بحركة الوترين الصوتيين من عدمهما ولهذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس مستخلصا ومعرفا الجهر :"الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان. وعكس الجهر في الاصطلاح الصوتي هو الهمس. فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان"([٣٤٢]).

ولا بد أن أقول في الختام إن محاولة سيبويه ومن تبعه من علماء التراث تفسير الجهر والهمس ظل قانونًا سار عليه جميع من جاء بعده من النحاة والقراء ،إلى أن جاءت بحوث المحدثين فصدقت كثيرا مما ذكروه في هذا الباب،مع إضافتها لحقيقة ارتباط الجهر والهمس بالحنجرة ،وتذبذب الوترين الصوتيين في حالة الجهر،وعدم تذبذبها في حالة الهمس.

د-الترقيق والتفخيم:

الترقيق في المعاجم:

الترقيق في اللغة مصدر رقق المضعف وأصله من الرقة، قال الفيومي في المصباح المنير: "رَقَّ الشَّيْءُ يَرِقُّ مِنْ بَابِ ضَرَبَ خِلَافُ غَلُظَ فَهُوَ رقِيقٌ "([٣٤٣])،"والرَّقِيقُ ضد الغليظ والثخين وقد رَقّ الشيء يرِق بالكسر رِقَّةً ورَقَّقَهُ تَرْقِيقا وتَرَقَّقَ واستَرَقَّ

---

[٣٤٠]- الكتاب،٤/٤٣٢.

[٣٤١]- الأصوات اللغوية،ص٢١.

[٣٤٢]- المصدر السابق ،ص٢١.

[٣٤٣]- المصباح المنير،٣/٢٣٨ .

الشيء ضد استغلظ ومَرَاقُّ البطن بفتح الميم وتشديد القاف ما رق منه ولان ولا واحد له"([٣٤٤])،والرقيق: الدقيق اللطيف من الأشياء،والرقيق كذلك الماء القليل الخفيف في البحر أو في الوادي،والأرض اللينة المتسعة،قال ابن منظور: "الرَّقِيقُ نقيض الغَلِيظ والثَّخِينِ والرِّقَّةُ ضدُّ الغِلَظ رَقَّ يَرِقُّ رِقَّة فهو رَقِيقٌ ورُقاقٌ وأَرَقَّه ورَقَّقه والأُنثى رَقيقةٌ،واسْترقَّ الشيءُ نقيض استغلظَ،ورَقَّ جِلد العِنب لَطُفَ،والضعف يقال رجل فيه رقق وفي عظامه رقق:أي ضعف ومنه قول الشاعر:([٣٤٥])

من ناقةٍ خَوَّارةٍ رَقِيقهْ تَرْمِيهمُ ببَكَراتٍ رُوقَهْ

المعاني الاصطلاحية للترقيق:

إذا أردنا أن نتعرف على الترقيق في معانيه الاصطلاحية فإنّنا لن نخرج بعيدًا عن دائرة التعريف اللغوي، الذي يدور -حسب المعاجم - على معان عدة متقاربة في المعنى، متفاوتة في الدلالة، أهمها النحافة،واللطف والدقاقة،واللين،والتحسين، والتزيين،والضعف،والحزن([٣٤٦])،فالنحافة ضد السمن وهو في الأصل الاصطلاحي عبارة عن إنحاف ذات الحرف ونحوله حال خروجه والنطق به، واللطافة والدقاقة يدلان على الرأفة والرفق مع النحافة، وغير بعيد من ذلك: اللين،فهو يدل على السهولة وسلاسة النطق،والتحسين والتزيين يدلان كذلك على تجميل وتهذيب الصوت وحسن إخراجه عند النطق به،وكذا الضعف فهو نقيض القوة،وهو يدل على الرقة والهزال،والحزن كذلك حالة نفسية من التأثر تدل على رقة القلب وضعفه حال تأثره،وهكذا فإن الترقيق في معانيه المتنوعة،وأبعاده الدلالية يشير إلى كل تلك المعاني إشارة دقيقة المعنى،لطيفة الإيحاء([٣٤٧])،وإذا تأملنا ما يسوقه علماء اللغة والقراء في سياق الحديث عن الترقيق والتفخيم وخصائص كل منهما،نجد أنهم بينوا أن صفتي التفخيم والترقيق ليستا صفتين أصليتين في الصوت اللغوي لأنهما تحملان جرسا مختلفا في حال نطق بعض الحروف كاللام –مثلا- في حالة

---

[٣٤٤]– الصحاح في اللغة،١/٢٦٥.

[٣٤٥]– لسان العرب،١٠/١٢١، وتاج العروس،١٥/٣٥٥.

[٣٤٦]– تاج العروس،٢٥/٣٥٩.

[٣٤٧]– العمدة،١/٥٨.

السكون،فاعتبروهما من العلامات التي تتصل بأوصاف الحروف وتحفظ لنا صورتها كما هي، دون تدخل في جوهر الكلمة([٣٤٨])،وهكذا فالصوت اللغوي بطبيعته سواء كان ترقيقا أو تفخيما له هويته وقيمته الصوتية الخاصة،وهذا يجعل الترقيق ذو أهمية قصوى لأنّه صفة تتصف بها كل أصوات العربية ما عدا أصوات الإطباق والاستعلاء.([٣٤٩])

ولا بأس هنا أن نورد تعريف الترقيق عند علماء القراءاتحتى يكون في ذلك زيادة بيان وقبس إيضاح،لأنه لا ينفك عن تعريفات اللغويين واصطلاحاتهم.

إنّ من أشمل تعريفات الترقيق عندهم هو أنه: "نَحَالَةٌ تطرأ على الحرف فلا يكون له صَدَىً في الفم"،ويُطَبَّقُ بتضييق التجويف الداخلي للفم مع انخفاض اللسان من أقصاه إلى قاع الفم، وفتح ما بين الشفتين أفقياً،فعندئذٍ إذا خرج الصوت من مخرجه فإنه يجد الطريق أمامه سالكاً إلى الخارج،فلا يصطدم بشيء،ولا يحدُث صَدَىً".([٣٥٠])

وقد انقسمت الحروف الهجائية من حيث الترقيق والتفخيم إلى ثلاثة أقسام كان النصيب الأكبر منها للترقيق وهي:

١-حروف تفخم دائما وفي كل حال :وهي حروف الاستعلاء التي يجمعها قولك: (خص ضغط قظ).

٢-حروف تفخم تارة وترقق تارة أخرى حسب المقام :كالألف، والراء، ولام لفظ الجلالة، وغنة الإخفاء.

٣-حروف مرققة دائما وتسمى حروف الاستسفال: وهي باقي الحروف الهجائية،فكلها مرققة لايجوز تفخيم شيء منها إلا اللام والراء في بعض أحوالهما.([٣٥١])

المعنى الدلالي والإشاري للترقيق:

---

[٣٤٨]- الخصائص،٣٧١/٢.

[٣٤٩]- معجم اللسانيات الحديثة، لسامي عياد وآخرون ، ص١٠٩.

[٣٥٠]- منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات، للدمياطي:١٢٥/١.

[٣٥١]- منتهى الأماني والمسرات،١٢٥/١.

إذا أردنا أن نتوسع في المعاني الحقيقية والمجازية للترقيق وأبعادها المتنوعة،ودلالاتها المتفاوتة حسب المقام والهيئة فإننا سنجد أنّ النحافة والخفة واللطافة من الأمور الجلية في دلالة الترقيق والدائرة في معظم معانيها،فإذا أردت التعبير عن دقة عظام الإنسان أو الحيوان أو نحافته أو لطافة جسمه أو عظامه تقول: "رق جسمه،أو هو ذو جسم رقيق، ورقت عظامه،أو عظامه رقيقة دقيقة".([٣٥٢])

ومن هذا المعنى قول عمر رضي الله عنه: "اللّهُم كَبِرَتْ سِنِّي،ورَقَّ عَظْمي،فاقْبِضني إِلَيْكَ غَيْرَ عاجِزٍ ولامَلُومٍ"([٣٥٣])، قال المناوي: "والرقة كالدقة لكن الرقة تقال اعتبارا لمراعاة جوانبه والرقة اعتبارا بعمقه فمتى كانت الرقة في جسم يضادها الصفاقة نحو ثوب رقيق وصفيق،ومتى كانت في نفس يضادها الجفوة والقسوة،ومن استعمالها في المحسوس قول الشاعر:([٣٥٤])

فبات له دون الصّبا وهي قرّة لحاف ومصقول الكساء رقيق

وغير بعيد من هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في ابن مسعود رضي الله عنه:"مايضحككم من دقة ساقيه؟والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من أحد"([٣٥٥])، "فالدقة كالرقة وزنا ومعنى،وهكذا يستعمل في المجاز كما استعمل في الحقيقة،فكل رقيق من المعاني فهو لطيف المأخذ والسماع،خفيف الحال والهيئة ومن هذا المعنى قولهم: عيش رقيق،.ورقت حاله. وهو رقيق الدين،ورقيق الحال والمال"([٣٥٦])،وقد جمع أبو نواس بين هذين الاستعمالين في بيت واحد يصف فيه الخمر:([٣٥٧])

رقت ورقت مذقة من مائها ... والعيش بين رقيقتين رقيق

ومن دلالة الترقيق كذلك التحسين والتزيين والتليين،فكلّ ذلك متقارب المعنى متداخل في الدلالة والفحوى،يشير إلى حقل دلالي واحد،فتَرْقِيقُ الكلام والصّوتِ بمعنى تحسينه وتليينه وتنغيمُهُ، فإذا حسن صوته وزينه وحبره وأَخْرجَه أحْسَنَ

---

[٣٥٢]- أساس البلاغة،١/١٧٩.

[٣٥٣]- تاج العروس،٢٥/٣٥٥.

[٣٥٤]- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي:١/٣٧١.

[٣٥٥]- مسند الإمام أحمد،١/٤٢٠، رقم الحديث٣٩٩١.

[٣٥٦]- أساس البلاغة،١/١٧٩.

[٣٥٧]- البديع لابن المعتز:١/١٣.

مَخْرَجٍ فقد رققه،ومنه المثل العربي المشهور: "أعَنْ صَبُوحٍ تُرَقّقُ" وهو مثل يضرب للإنسان يريد الشيء فيعرّض به ولايصرح بذكره وإنما يرققَ،أي يكني لأن الترقيقَ تحسين وتزيين وإذا كنّيْتَ عن شَيء فهو ألطف من التصريح فكأنه قيل :عن صبوح تكني،ومن ثم قيل للشعر في الغزل الرقيق"([٣٥٨])، ومن هذا المعنى كذلك رقة القلب وخفة الروح أي لطفه ولينه وحسن خلقه،يقال رجل رقيق القلب خفيف الروح،وهو الذي يميل إلى الرفق بالناس والشفقة واللطف بهم،ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف أهل الجنة: "وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ "([٣٥٩])، فكأن قلبه شفاف لطيف يتملكه الرفق والشفقة،وتنفذ إليه الرحمة والرأفة بالخلق أكثر من الآخرين، ويمتزجان به امتزاج الماء باللبن،وهذا معنى لطيف وجميل من معاني الترقيق والتليين.

ومن معاني الترقيق ودلالته كذلك ما يرجع إلى الضعف والحزن وهو حالة من البث تصيب القلب فتعبر عما في النفس من الحزن والأسى نتيجة لخوف أو طمع وغير ذلك ممّا يرق له القلب ويتحرك له الوجدان،قال ابن دريد"يقال رجل به رَقَقٌ أي ضَعْف،وفي عَظْمه رَقَقٌ أي رِقَّة الضُّعْف"([٣٦٠])، وهذان المعنيان راجعان إلى رقة القلب وحزن النفس،ومنه كذلك حزن القلب على شيء فقده أو يطلبه،أو يخافه أو يطمع فيه،ومن هذا المعنى قولهم "حزن القارئ في قراءته إذا رقق صوته بها،ورقق فلانا أحزنه "([٣٦١])، قال اللحياني : خَوّفنا،أي : رَقّق لنا القرآن والحديثَ حتى نَخاف([٣٦٢])، ومن معنى ترقيق الحزن عند الشعراء ما يكون حالة تعبيرية عمّا في النَّفْسِ من مشاعر الرّثاء وَالبثِّ،تجعل الشاعر يرق على المندوب فينادي القبر ليبثه حزنه ومشاعره في حالة من الترقيق تنتقل من الشاعر إلى السامع بالعدوى كقول الشاعر:

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ والْبَحْرُ مُتْرَعاً

---

[٣٥٨]- جمهرة الأمثال للعسكري:،٢٩/١.

[٣٥٩]- صحيح مسلم،١٥٨/٨، الحديث رقم: ٧٣٨٦.

[٣٦٠]- جمهرة اللغة، للأزدي:٦٦/٢.

[٣٦١]- المعجم الوسيط،١٧١/١.

[٣٦٢]- لسان العرب،٩٩/٩.

التفخيم في اللغة:

إنّنا حين نتصفح معاجم اللغة العربية بحثا عن المعاني التي أو ردوها للتفخيم نجد أن عباراتهم وإشاراتهم تدور أساسا حول معان لغوية متعددة راجعة كلها إلى خمسة معان لهذا المعنى الذي هو مشتق من الفخامة وهذه المعاني هي :

الجزالة،والعظم،والتبجيل،والاستعلاء،والرفع، قال ابن فارس "الفاء والخاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على جَزَالةٍ وعِظَم. يقال: منطِقٌ فَخْم: جزل. ويقولون: الفَخْم من الرِّجال:الكثير لحم الوجْنَتين"([٣٦٣])،ويقال "فَخُمَ الرَّجُلُ فَخَامَةً،فهو فَخْمٌ: عَبْلٌ نَبِيْلٌ. وفلان يُفَخِّمُ فلاناً:أي يُبَجِّلُه.ويُفَخِّمُ الكلامَ. والرَّفْعُ: التَّفْخِيْمُ.والفُخَمِيَّةُ:من التَّعَظُّم والاسْتِعلاء"([٣٦٤])، ويقول الفيروزآبادي في قاموسه: "فَخُمَ ككرُمَ : ضَخُمَ . والفَخْمُ :العظيمُ القَدْرِ ومن المَنْطِقِ: الجَزْلُ.والتَّفْخيمُ:التَّعْظيمُ وتَرْكُ الإمالة،والفَيْخَمانُ كزَعْفرانٍ:المُعَظَّمُ يُصْدَرُ عن رأيِه ولايُقْطَعُ أمْرٌ دونَهُ"([٣٦٥])،والتَّفْخِيمُ:التَّعْظِيمُ،يُقالُ:أَتَيْنَا فُلانًا فَفخَّمْناهُ أي:عَظَّمْنَاهُ ورفَعْنَا مِنْ شأْنه".([٣٦٦])

وقال الجوهري:"وتَفْخيمُ الحرف: خلاف إمالته"([٣٦٧])،وتفخيم الحرف هو عبارة عن تغليظ الحرف وتسمينه وتكبيره، وهو صفة تطلق على الأصوات الغليظة،وهي صفة ناتجة عن الاستعلاء والإطباق،ولذلك فإن كل أصوات الاستعلاء والإطباق مفخمة دائما في العربية،وهي: (خ...ص ... ض ... غ ... ط ... ق ... ظ)،وقد عرفه علماء المقرئ بأنّه:"عبارة عن سمن يدخل على الحرف فيمتلئ الفم بصَدَاه أي صوته، ويُطَبَّقُ بتوسيع التجويف الداخلي للفم مع استعلاء اللسان من أقصاه إلى الحَنَك الأعلى،وتضييق فتحة الشفتين،فعندئذٍ إذا خرج الصوت من مخرجه فإنَّه يصطدم باللسان،فيتجه في تجاويف الفم والشفتين،والتفخيم،والتسمين،والتغليظ بمعنى واحد".([٣٦٨])

---

[٣٦٣]- المقاييس في اللغة،٤/٤٨١.

[٣٦٤]- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد:١/٣٦٨.

[٣٦٥]- القاموس المحيط،١/٤٤٨.

[٣٦٦]- لسان العرب،١٢/٤٤٩.

[٣٦٧]- الصحاح في اللغة،٢/٣٦.

[٣٦٨]- الإضاءة في بيان أصول القراءة، الضبّاع، ص٢٢.

المعنى الدلالي والإشاري للتفخيم:

لم يستخدم القدماء مصطلح التفخيم في تناولهم لعلم الأصوات إلا قليلا وعلى رأس هؤلاء سيبويه، فقد استخدم سيبويه مصطلح التفخيم مرة واحدة عند تعداده للأصوات المستحسنة فذكر منها ألف التفخيم، لكن سيبويه وإن لم يكرر هذا المصطلح إلا أنه تحدث عن الأصوات المطبقة والمستعلية والتي هي أصوات مفخمة قال سيبويه:" فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء...." وأما الاستعلاء فذكره سيبويه عند حديثه عن الأصوات الممانعة للإمالة يقول: "لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى"([٣٦٩]).

إنّ المتأمل في معاني ودلالات التفخيم حسب ما توردها كتب اللغة كما مر معنا، وحسب ما تشير إليه تلك الدلالات من المعاني والاصطلاحات فسيجد أنها تدور على مجموعة متقاربة من المعاني تدور في معظمها على المعاني الخمسة التي مرت بنا وهي: الجزالة،والعظم،والتبجيل، والاستعلاء، والرفع، فالتفخيم ضد التوفيق الذي مر معنا في بداية المبحث، وهو يدل في المقام الأول على تغليظ الشيء وجزالته أوتعظيمه وتبجيله، وهي معان متقاربة تشير وتوحي كلها بتفخيم الشيء وتكبيره في النفس أو العين أو الفم ، فإذا أردت تغليظ الشيء سواء كان حرفا أو كلمة من الكلام أو هيئة من الهيئات تقول فخَّمتُه أو رأيتُه فخما قال الزبيدي: "وفَخَّمه وتَفَخَّمه أجَلَّه وعظَّمه" ومن هذا المعنى قول كثير:([٣٧٠])

فأنتَ إذا عُدّ المكارم بَيْنه وبيَن ابن حَرب ذي النُّهى المُتفخِّمِ

وغير بعيد من هذا المعنى حديث هند ابن أبي هالة في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما([٣٧١])،أَيْ : عَظِيمًا مُعَظَّمًا في الصَّدُورِ والعُيونِ مهيبًا مبجلًا في النفوس.ولم تَكُن خِلْقَتُه في جِسْمِه الضَّخَامَة،وقيل :الفَخَامَةُ في وَجْهِه:نُبْلُه وامتِلاؤُه معَ الجَمالِ والمهابة".([٣٧٢])

---

[٣٦٩]- الأصوات اللغوية،ص٢٠.

[٣٧٠]- تاج العروس،٣٣/٢٠٠.

٣٧١- رواه الطبراني:٢٦/١٦، والبيهقي:في الدلائل،٢٨٦/١.

٣٧٢- لسان العرب،٤٤٩/١٢.

ومن معاني التفخيم كذلك ودلالاته: الجزالة فإذا جزل الشيء في عيون الناس وعظم شأنه وقدره عدوه مفخما سواء كان محسوسا ملموسا كقولهم:"فَخُمَت الدار فَخامَةً،أي جزلت،ومنطقٌ فخمٌ،أي جَزْلٌ"([٣٧٣])، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

فَويهًا لِقِدْرِكَ وُيْهًا لَها إذ اخْتيرَ في المَحْل جَزْلُ الحَطَبْ

أو كان كذلك من الهيئات المعنوية كعظمِ القدرِ ورفعةِ الشأن ومن هذا المعنى قولهم: "فلانٌ جَزْلُ الرأي. وامرأةٌ جَزْلَةٌ بيّنةُ الجزالَةِ،إذا كانت ذاتَ رأي".([٣٧٤])

ومن معاني التفخيم الاستعلاء والرفع، كما مر معنا وهما: معنيان متقاربان يدل عليهما التفخيم فإذا فخمت الشيء فكأنّما استعليت به ورفعته على غيره؛"فالاسْتِعلاءُ: هو رفعُ الكلام وتَفخيمه، وألفٌ مُفَخَّم يضارعُ الواو، ومن هذا المعنى كذلك : تَرْكُ الإمالَةِ في الحُروفِ وهو لغة أهْلِ الحِجازِ ، كمَا أَنَّ الإمالَةَ لِبَنِي تَمِيمٍ، ومنه الفُخَمِيَّةُ: وهي التَّعْظِيمُ والاسْتِعلاءُ".([٣٧٥])

٣٧٣- المصدر السابق ،١٢/٤٤٩.

٣٧٤- الزاهر، لابن الأنباري:٢/٨٣.

٣٧٥- تاج العروس،٣٣/٢٠٠، وكتاب العين،٤/٢٨١، وأساس البلاغة،١/٣٤٦.

الفصل الثاني:

أنساق الإشارة وإيحاءات الدلالة في أحاديث مسلم:

أولًا-لغة اليد.

-الصور والاغراض.

ثانيًا-لغة العين.

-الصور والاغراض.

ثالثًا-لغة الفم.

-الصور والاغراض.

رابعًا-لغة الرأس.

-الصور والاغراض.

أنساق الإشارة وإيحاءات الدلالة في أحاديث مسلم.

يقول ناصر صلاح الدين: "مما لا شك فيه أن هناك ثمة علاقة بين الاهتمام بدراسة الجسد وطبيعة النظام السياسي في الحضارة الإسلامية على مختلف مراحل تطور الدول والدويلات التي شكلت أساسها من أموية وعباسية وفاطمية وغيرها. وهذه العلاقة وإن لم تكن واضحة للعيان ولكن بتتبع مسار دراسة الجسد في الفكر الإنساني بصفة عامة نجد أنّ استدعاء مفهوم الجسد وطبيعته وخصائصه إلى دائرة الفكر والمعرفة الإنسانيين يستدعي استحضار مفهوم العقل وإشكالية العلاقة بينهما من خلال فعل الإحالة المستمر، وذلك في محاولة الإنسان تفسير طبيعة الأنا المتجسدة وعلاقتها بالله والعالم والآخر".([٣٧٦])

وكذلك "فإن البحث في طبيعة هذه العلاقة يتدرّج حتى يتم استدعاء مفاهيم لازمة مثل الإرادة والحرية.التي بدورها تحيل المنظور الشخصي أوتسقطه إلى المنظور الـ"الاجتماعي"،من خلال البحث عن طبيعة الآخر، والآخر الجمعي؛فالمنظور الديني ثم السياسي، وبالتالي فإن التعمق في دراسة الجسد أو إهماله يؤثر على تشكيل الوعي الشخصي والثقافي الاجتماعي والديني والسياسي لأي حضارة وبصورة غائية تنطلق من الأنطلوجي مروراً بحصيلة المعرفة التراكمية حول الجسد، وحتى الجانب الأخلاقي الذي يمثّل محور إشكالية إهمال الجسد في الفكر الإسلامي وخصوصاً في

[٣٧٦] – جدلية الجسد،الدين، السلطة السياسية، د.ناصر صلاح الدين، جامعة النيلين السودان، مع تصرف يسير، رابط:
http://histoirphilo.yoo7.com/t1376-topic

مراحل تطوره واضطلاعه على الفكر السابق له من يوناني ومسيحي والمراحل التي تلت ذلك".([٣٧٧])

علم الإشارة:

هو أحد العلوم الحديثة والذي يعنى بدراسة وتفسير مايصدر عن الإنسان بتحليل لغة بدنه،وهذا العلم ذو جذور عريقة في التراث العربي والإسلامي وهو رسالة الحوار غير المنطوقة أي أنه لغة يستطيع الجسد أن يبوح بها عما في نفسه ويعبر عما بداخله دون أن يتكلم.أو هو الإطار الذي يضم مختلف صور التواصل باستخدام حركات البدن أو الإيماءات بدلًا من الأصوات.

ويعبر عنها فؤاد إسحاق الخور بأنّها: "اتصال غير شفهي، له لغة قائمة بحد ذاتها،لها نماذجها المستقلة عن لغة اللسان وإن ترافقت معها في كثير من الأحيان.حيث يستعمل الناس الإشارات والحركات الجسدية إمّا كمرادف لما يقولونه شفهيا،أو لإخفاء شعور باطني،أو للإيحاء باتجاه معين.أو هي تلك الحركات التي يقو م بها بعض الأفراد مستخدمين أيديهم أو تعبيرات الوجه أو أقدامهم أو نبرات أصواتهم أو هز الكتف أو الرأس؛ ليفهم المخاطب بشكل أفضل المعلومة التي يريد أن تصل إليه"([٣٧٨]).

"إنّ لغة الإشارة في أصلها واستخداماتها ليست بالشيء الجديد،فقد وجدت مع أول وجود وحوار بين البشر،حيث وردت الكثير من الإشارات إلى ذلك في نصوص القرآن والسنة،وفي لغة الخطاب بين البشر على كافة الأصعدة،لكن الاهتمام بها كعلم لم يظهر إلا في منتصف القرن الماضي،حيث أطلق عالم الأنثروبولوجيا(بيردويستل)مسمى علم حركات وإيماءات الجسد وذلك عام ١٩٥٢م،

---

[٣٧٧] – المصدر السابق.

٣٧٨– لغة الجسد، فؤاد إسحاق الخور، ص١.

وأول كتاب في هذا العلم كان بعنوان لغة الجسد ألفه دجوليوس فاست في مطلع عام ١٩٧٠م" ([٣٧٩]).

ومن هنا فلغة الجسد هي كل مايصدر عن الجسد من حركات وإيماءات وإشارات وأوضاع وأصوات غير لفظية يمكن تفسيرها،وتعبر عن الحالة النفسية والمزاجية. فأدوات الجسم بالتواءاته وانفعالات الوجه والأيدي والأصابع والدموع،جميع هذه الأدوات تتشارك في التعبير وليس الصوت فقط وهذا مايطلقون عليه لغة الجسد أو لغة الإشارة.

وتشير بعض الأبحاث والدراسات المتوفرة أن "لغة الجسد هي الجزء الأهم وهي تحتوي:العينان،الحاجبان،الأنف،والأذن،الجبين،الكتفان،الأصابع،الدموع،ا لوجنتان،ملابس الشخص،ونظراته،وتوتره،وانفعالاته، وماإلى ذلك.وتشير دراسة بريطانية إلى أن لغة الجسد لها أكبر الأثر للمتلقي فـ ٣%لنبرات صوته و٧%لمضمون الحديث٩٣%لتعبيرات الجسد".([٣٨٠])

تنقسم الحركات والإيماءات إلى فطرية ومكتسبة :

١-الحركات الفطرية: وهي أصيلة في الإنسان مغروسة فيه أو هي بمثابة الجوهر الذي يؤلف حقيقة الإنسان ليصير كائناً مفضلاً متميزاً.

وعلى ضوء ذلك يتبين لنا أن الفطرة شيء نحس به داخلنا ولكننا لا نفهم كنهه فالايماءات والحركات ليست مكتسبة على إطلاقها ،كما أنها ليست موهوبة على

٣٧٩- لغة الجسد، ليلى شحرور، ص٥.

٣٨٠- دراسة حول لغة الجسد ودورها في التواصل مع الآخرين،على الشبكة العنكبوتية رابط:
http://iraq.iraq.ir/vb/showthread.php?t=112902

إطلاقها ، وإنما تتضافر الفطرة السليمة مع دلالة العقل التام السوي في إدراك وتقرير جانب من الأخلاق ثم يأتي دور الشرع ليكمل الفطرة([٣٨١]).

وقد دلت أحاديث كثيرة أن الناس يتباينون فيما بينهم ويتمايزون ويتفاضلون في أصل تكوينهم،ومنها مارواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا، والأرواح جنود مجندة،فماتعارف منها ائتلف،وماتناكر منها اختلف "([٣٨٢]),فهذا الحديث دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية، وفيه يثبت الرسول– صلى الله عليه وسلم–أنّ خيار الناس في التكوين الفطري هم أكرمهم خلقا،وهذا التكوين الخلقي يرافق الإنسان ويصاحبه على جميع أحواله.

٢-الحركات المكتسبة:وكما أن هناك من الحركات والايماءات ماهو فطري،"هناك ماهو مكتسب وقد كان للشرع،والحضارة العريقة،والفتوحات الإسلامية،والحركات السياسية،والطبيعة المجاورة،أكبر الأثر على الشعراء والأدباء،فأيُّما إنسان يستطيع أن يكتسب حركاته ولغته الجسدية بالتربية المقترنة وبالإرادة والقيم.والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل كلهم بما وهبه الله من استعداد عام لتعلم الفنون العلمية والعملية".([٣٨٣])

ثمّ إنّ الناظر في أحاديث المصطفى،وبعد الاطّلاع على تفسيرها،يدرك بكل وضوح،ورود الكثير من المصطلحات الدالة على لغة الجسد،يقول الدكتور مهدي العرار:"يلقى القارئ في التنزيل العزيز آيات كريمات على أوصاف من الحركات الجسدية المؤدية إلى معان،وقد تكون الحركة سبيلاً من سبل وصف المعنى وتشكيله،ويكون سبيلها الكناية كتقليب الكفين في مقام الندم في التنزيل،أو تقديم رجل وتأخير أُخرى في مقام الحيرة والتردد في كلامنا اليومي"([٣٨٤]),يقول الدكتور أسامة ربابعة: "تبين أنّ القرآن الكريم حافل بالأمثلة الكفيلة بإثبات أنّ قناة

---

[٣٨١] – من مقال "ما هي الفطرة وما دورها في الأخلاق"، المنتدى الإسلامي بنصرف، رابط المنتدى: http://samaka.ahlamontada.com/t1953-topic).

٣٨٢– صحيح مسلم،٢/١٢١٨.

٣٨٣– التواصل غير اللغوي في القصص القرآني، نزيهة روينة، ص١٢.

[٣٨٤] – البيان بلا لسان، مهدي أسعد عرار، ص٣٧.

الاتصال غير اللفظي التي هي قيد الدّرس،يمكن فهمها من خلال القرآن الكريم،بمعزل عن الدراسة الحديثة، ففي بعض الأحيان يزودنا القرآن الكريم بنواة لمعجم عن مفردات قناة اتصالية غير لفظية بعينها"([٣٨٥])،وماذكر عن لغة الجسد الواردة في القرآن الكريم ينطبق تماما على الحديث الشريف في صحيح مسلم الذي نحن بصدد البحث عنه فكلاهما لهما صفة القدسية.

ولغة الجسد من المنظور العصري كما يقول ربابعة: "لا تبتعد كثيراً عمّا جاء في كتاب الله تعالى،فإنّ الباحث في هذا الفن يجد التقارب والاتفاق بين المنظور القرآني والمنظور العصري في الكلام عن دلالات لغة الجسد،وتجد الباحثين في كلا الاتجاهين يبحثون وينقبون للوصول إلى مدلولات الحركات الجسدية سواء أكانت مستقلة في الهيئة أم مرافقة للغة المنطوقة.فترى العلماء الذين تكلموا في لغة الجسد يؤكدون على أهميتها في التواصل الإنساني وتوصيل المعلومة والمعاني غير المنطوقة للمتلقي".([٣٨٦])

إنّ من أهم خصائص الاتصال عن طريق لغة الجسد،أنّه أمر لايمكن تحاشيه أو الهروب منه؛فعندما لايقول المرء شيئاً ويظل صامتاً،فإنّه في الحقيقة لم ينقطع عن الاتصال،بل هو عكس نموذجاً من نماذجه،وإذا استطاع أن يكف عن الكلام فإنّه لايستطيع أن يكف عن الحركة وعن التعبير عن ذاته بوسائل أخرى.كحركات الجسم واليدين وتعبيرات الوجه.

ولهذا يمكن الإشارة إلى أهم مزايا الاتصال عن طريق لغة الجسد في النّقاط الآتية:

---

[٣٨٥] – لغة الجسد في القرآن، ص٢١.

٣٨٦– المصدر السابق، ص٢٢، بتصرف يسير.

أولاً: أنّه يعبر عن معلومات(وجدانية)في مقابل تعبير لغة الجسد عن معلومات تتصل بالمضمون،يمكن من خلالها ايصال الحب،والبغض،والكره،والاهتمام،والثّقة والرغبة،والدهشة،والموافقة.([٣٨٧])

ثانياً: أنّ الاتصال عن طريق لغة الجسد ينطوي أيضا على معلومات متصلة بمضمون الرسالة اللفظية،فهو يمدنا بأدوات لتفسير الكلمات التي نسمعها، وينطبق ذلك على نبرة الصوت مثلاً والتوكيد فضلا عن أنّه يوفر المعلومات التي تفيد في فهم طبيعة العلاقة بين الأطراف المشتركة في عملية الاتصال.([٣٨٨])

ثالثاً: رسائل لغة الجسد تتميز بصدقها،ويحتاج الإنسان عادة إلى نماذج كثيرة للسلوك غير اللفظي التي يصدرها الآخرون حتى يثق بهم، ومن هنا يمكن القول: "إن مفردات الخطاب غير المنطوق في أحاديث صحيح مسلم تتنوع وتتوزع موظفة الحركة الجسمية بتفاصيلها، منظورة وغير مرئية، بفعل إرادي أو بغير إرادي.([٣٨٩])

أولاً -لغة اليد:

لقد جعل الله مجموعة من وسائل التواصل بين بني البشر للتعبير عن رغباتهم المتنوعة وايصال رسائل دلالية إلى الآخرين لتحقيق مايجول في أعماقهم ومن تلك التعابير لغة اليد بما تحمله من دلالات، وإشارات اليدين من أوضح حركات لغة الجسد وأكثرها وضوحاً، تعميماً واستعمالاً بين الناس. لذا، علينا أن نتقنها من

---

[٣٨٧] – ينظر الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين ، د.عودة عبدالله، ص١٠.

٣٨٨– المصدر السابق ، ص١٠. مع تصرف .

[٣٨٩] – ينظر الاتصال الخطابي غير المنطوق، في ديوان عمر بن أبي ربيعة، وسمية المنصور، ص٣.

منطلق السيطرة على تعبيرنا الشخصي وفهم أفكار وطروحات الآخرين، فاليد لها حركات دلالية لتبليغ رسائل يفهمها المتلقي في أحوال مختلفة.

وأعضاء الجسم وهيئات وضعها، كلها تعبر تعتبرا يدل دلالة معينة، ولكن اليد أكثر أعضاء البدن تعبيرا عما يراد، جاء في "لغة الجسد أسرار وحكايات" تفصيل جميل: "...فمثلاً عندما يمسك الشخص يده، فهو يقيد نفسه لإتاحة الفرصة للشخص الآخر للتكلم،وعندما يكون غاضبا يتبع تلك الطريقة للتوقف عن القتال، فعندما يقبض الشخص يده ويمسكها بيده الأخرى فهو يقاوم الرغبة بضرب أحدهم،والأشخاص الكاذبون يحاولون عدم تحريك أيديهم أو وضعها خلف ظهورهم،وعندما يضع الشخص يده على فمه أثناء التكلم قد يكون ذلك دلالة على الكذب،أو عدم التأكد من صحة ما يقوله،حك الوجه دلالة على الشعور بالقلق،حك الأنف أو الذقن دلالة على التفكير ومحاكمة الأمور ومحاولة اتخاذ قرار،وشبك الأصابع معا أيضا يشير إلى أن الشخص يفكر،وإذا وضع يده على ذقنه أو فمه قد يكون ذلك إشارة إلى أنه ينوي أن يقول شيئا ما، لكنه غير مستعد حاليا للبوح بذلك الشيء، وفرك اليدين يشير إلى الانتظار أو التوتر،وحك العين أثناء الحديث يشير إلى الشك، ولمس الأنف مع إغماض العينين إشارة إلى تقييم سلبي، وكثرة لمس الشعر تدل على الشعور بعدم الاطمئنان وفقدان الأمان،و لمس الأذن يشير إلى التردد والحيرة،ووضع اليد فوق الشفة العليا دليل على أنه يحاول إخفاء شيء ما،وتعرق الجبين يشير إلى الخوف الشديد،مسح الجبين يشير إلى الشعور بالخوف،حك الجبين ببطء يشير إلى حالة من التفكير العميق حك الصدغين يشير إلى القلق، ،ووضع اليدين خلف الظهر أو في الجيب أو تحت الطاولة يشير إلى عدم الرغبة بالتواصل،أو عدم الموافقة على ما يقال وقد تشير إلى أن الشخص يريد الإصغاء لما يقال ولا يرغب بالكلام".([٣٩٠])

والإشارة باليد هي الأكثر بروزًا من غيرها ويتجلى ذلك في عدة مظاهر سواءً من حيث الصور أم الأغراض بل من حيث اتجاه حركة اليد بنحو مايعرضه الجدول المرفق:

٣٩٠- لغة الجسد أسرار وحكايات، أونلاين، ترجمة سماح الشرابي، ص٨٠ ومابعدها، رابط الكتاب:
http://www.lahaonline.com/articles/view/%D9%84%D8%B

١-أفعال الحركة الموضعية العامة لإشارة اليد.

٢-الأغراض والمضامين.

٣-حركة إشارة اليد واتجاهاتها.

أ-أفعال الحركة الدالة على اتجاه اليد إلى أعلى.

ب-أفعال الحركة الدالةعلى اتجاه اليدإلى أسفل.

ج- أفعال حركة اليد الإشارية الدّالة على الذّهاب.

د- أفعال حركة اليد الإشارية الدّالة على الجمع.

هـ-أفعال وصور إشارية عامة ومختلفة الدّلالة.

٤-أهم مظاهر الحركة الإشارية.

١-أفعال الحركة الموضعية العامة لإشارة اليد:

تتميز أفعال الحركة الموضعية العامة لإشارة اليد باشتراكها في ثلاثة مظاهر دلالية أساسية هي: الحركة ، والموضعية، وكونها باليد ، ثم تأتي إلى جانب ذلك مظاهر دلالية أخرى للتمييز بين كل فعل من أفعال هذه المجموعة،وفيما يلي مسرد بالأفعال الدالة على الحركة الموضعية لدلالات اليد المختلفة وهي: (أعطى:أعطاني نعليه(١٥٦)،ذهب:اذهب بنعلي(١٥٦)،ضرب:فضرب عمر بيده بين ثديي(١٥٦)،أشار:أشار بيده صلى الله عليه وسلم نحو اليمن(١٩٠)،أدخل:أدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا(٢٩٥)،مد:ثمّ مدّ يده إلى المسجد(٣٢١)،بسط:فبسط يمينه(٣٣٦)،قبض:فقبضت يدي(٣٣٦)،ضرب:فضرب رسول الله-صلى الله عليه

وسلم-بيده بين عنقي وكتفي(٣٩٨)،أخذ:ثمّ أخذ بيدي فعرج بي(٤٣٣)،أشار:أشار لنا سفيان بن عيينه(٧٧٤)،تقول:يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا(٨٤٤)،خطّ:فَخَرَجَ.. وَهُوَ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ فِي الأَرْضِ(٩٦٤)،أشار:فَأَشَارَإِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ (٩٧١)،أشار:وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبَيْنِ (٩٩٨٠)،وضع:ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ،ثُمَّ قَالَ: "تَحَوَّلْ". فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ (١٠٧٨)،أشار: وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ (١١٢٦)،فرّج:كَانَ إِذَا صَلَّى فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ بَيَاض إِبْطَيْهِ (١١٣٣)،دفع:فَدَفَعَ فِي نَحْرِهِ... فَعَادَ فَدَفَعَ فِي نَحْرِهِ أَشَدَّ مِنَ الدفعة الأُولَى (١١٥٧)،غمز:فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي فَقَبَضْتُ رِجْلَي وَإِذَاقَامَ بَسَطْتُهُمَا (١١٧٣)،اختلف:فَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى اخْتِلاَفِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم- فَأَرَاهُمْ (١٢١٩)،رمى:فرماني الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ (١٢٢٣)،ضرب:فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ (١٢٢٧)،وضع:وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ (١٣٣٥)،أومأ:فَأَوْمَأَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنْ:مَكَانَكُمْ (١٣٩٨)،أشار:وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا (٢٠٠٦)،قال:أَنْ يَقُولَ بِيَدِهِ هَكَذَا. وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبِّحَةِ"(٢٠٥٣)،رأى:حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ (٢١١٣)،أشار:فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ إِلاَّ تَفَرَّجَتْ (٢١١٦)،ضرب:فَضَرَبَ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ الأَرْضَ (٢٢٣٨)،قال:يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ (٢٣٦٠)،قال:يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلاَتَوَسَّعُ (٢٤٠٧)،أشار:لايَجُوزُ هَذَا مِنْهُمْ وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ (٢٥١٧)،أشار:قَدْ أَقْبَلَ مِنْهَا هُنَا–وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ (٢٦١٤)،عقد:ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ (٢٥٥١)،صوّب:وَصَوَّبَ يَدَهُ وَرَفَعَهَا (٢٥٩٣)،حكى:وَحَكَاهُ حَمَّادٌ بِيَدَيْهِ قَالَ يَعْنِي مُعْتَرِضًا (٢٥٩٨)،أشار:فَأَشَارَ عُمَرُ بِيَدِهِ إِلَى يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ تَعَالَ (٢٨٥٧)،نزع:فَنَزَعَ زِرِّي الأَعْلَى ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الأَسْفَلَ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَي (٣٠٠٩)،قال:فَقَالَ بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا (٣٠٠٩)،شبك:فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم- أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الأُخْرَى (٣٠٠٩)،قال:فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ (٣٠٠٩)،قال:وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى (٣٠٠٩)،وضع:فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم- يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ (٣٠٠٩)،أَهْوَى رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ (٣٤٠٧)،أخذ:فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ

(٣٤٥٣)،حصب: كَفًّا مِنْ حَصًى فَحَصَبَهُ بِهِ (٣٧٨٣)،أشار:فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ (٤٠٦٧)،أشار:وأَشَارَ أَبُو سَعِيدٍ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ (٤١٣٩)،طعن:حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي (٤٢٣٥)،وضع:وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ (٤٥٣٣)،خمر:خَمَّرَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ (٤٧٦٠)،جمع:وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ (٤٧٦٩)،رفع:ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رئي بَيَاضُ إِبْطَيْهِ (٤٨٤٥)،ألقى:فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ (٥٠٢٢)،هوى:فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ (٥١٤٦)).

ومن خلال هذه الأمثلة التي ذكرنا من أحاديث صحيح مسلم،يتبين وضوح الدلالة فيما تشير وترمي إليه لغة اليد عند النبي صلى الله عليه وسلم من الدلائل والإيحاءات والإيماءات التي تحدد وتبين المقصود بالبرهان الإشاري الذي يزيل اللبس ويكشف الغموض،ويساعد على فهم المعنى،وتأكيد المراد .

٢-الأغراض والمضامين:

تعتبر لغة الإشارة باليد كأي لون من ألوان التعبير الأخرى،لها أغراضها ومضامينها التي ترمي إليها وتعبر عنها تعبيرًا مناسبا، يتماشى مع مقصود المشير وغايته،أيًا كان ذلك الغرض أو المضمون فالإشارة تعطي هدفا ودلالة زائدة مهمة،تقترن به لتفصح تمام الإفصاح،أو تصدق أحسن التصديق أو تؤكد أو تبين أحسن البيان،وهذا ماسنبيه من خلال الإشارات والعناوين الآتية:

الإشارة الأولى:قرينة تصديق.

١٥٦ - عن أبي هريرة؛ قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ . .... في هذا الحديث: وأعطاني نَعْلَيْهِ قَالَ: "اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ".([٣٩١])

١– صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١/٤٤، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرُمَ عَلَى النَّارِ.

إن هذه الإشارة الأولى معنا في هذا الحديث من كتاب الإيمان في صحيح مسلم إشارة مهمة أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم على يد أبي هريرة رضي الله عنه، وصورتها انه أعطاه نعليه وأرسله بهما بينة وبرهانا ساطعا على تصديقه صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة فيما سيخبر به عنه من أمر، وهي إشارة وقرينة حسية ذات طابع نفسي مهم، يدفع المتلقي إلى التصديق المطلق واعتبار البينة الحسية، قال القرطبيُّ رحمه الله: "وفي دفع النبيِّ صلى الله عليه وسلم . لأبي هريرة نعلَيْه: دليلٌ على جوازِ عَضْدِ المُخْبِرِ الواحد بالقرائن؛ تقويةً لخبره وإنْ كان لا يُتَّهَمُ، وفيه : اعتبارُ القرائنِ والعلامات، والعملُ على ما تقتضيه من الأعمالِ والأحكام"(٣٩٢).

الإشارة الثانية:زجر وتعنيف.

١٥٦ - قال أبو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- في الحديث الآنف الذكر: "فضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لإِسْتِي".

هذه إشارة أخرى من إشارة اليد الصريحة البينة استخدمها عمر رضي الله عنه وسيلة لتقوية ما يرمي إليه ويقصده، ألا وهو الزجر والنهي عما ينويه أبو هُرَيْرَةَ من إعلان القضية التي حمل النعلين من أجلها، كإشارة مجسدة في حركة يدوية وكناية نفسية مهمة توحي له بالتخلي والتريث فيما يريده، وقد أحدثت له حالة نفسية عميقة من الإرباك والتردد جعلته يرجع مسرعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بما حدث ويَبُتُّ له في الأمر،فكان وكزه في صدره ووقوعه على استه؛ زجرا وتعنيفا ، والله تعالى أعلم (٣٩٣).

الإشارة الثالثة:بيان وتوضيح.

٢- المفهم، للقرطبي:١/١٢٤.

٣- المصدر السابق ،١/١٢٥.

١٩٠- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "أَشَارَ النبي -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ".([٣٩٤])

هذه إشارة أخرى من إشارات اليد التي أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة، مشيرًا بيده إلى جهة اليمن إشارة لا تترك بعدها لبسًا في المراد، فكانت تلك الحركة اليدوية علامة واضحة وعاملًا نفسيًا مهمًا في تحديد الجهة ورفع اللبس عن المكان المقصود، وإشارة عاطفية مهمة لجهة الإيمان توحي بأنه موجود بتلك الناحية، وهذه الإشارة بيده تبقي تعبيرًا راقيًا مهمًا، وصورة حية تجسد الغاية، وتفسر الدلالة، وتفي بالمراد، قال الحافظ ابن حجر: "هذه الإشارة رد على من زعم أن المراد بقوله: يمان يعني: الأنصار، لكون أصلهم من أهل اليمن لأن في إشارته إلى جهة اليمن ما يدل على أن المراد به أهلها حينئذ لا الذين كان أصلهم منها وسبب الثناء على أهل اليمن إسراعهم إلى الإيمان وقبولهم له"(٣٩٥).

الإشارة الرابعة: اختبار.

٢٩٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ "فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً".([٣٩٦])

إنّ الإشارة في هذا الحديث كما وصفها أبو هريرة رضي الله عنه هي عبارة عن إدخال النبي صلى الله عليه وسلم ليده في صُبْرَةِ الطعام ليجربه ويختبر صلاحه من فساده فطنة وانتباه منه صلى الله عليه وسلم، ، وقد جاء لفظ الأصابع بالجمع الذي أقله ثلاثة، أو كانت أربعة، ولم يدخل الكف كلها، إذ يصدق من الناحية الدلالية أن يقال أدخل يده وهو لم يدخل إلّا الأصابع وجزء يسيرًا من الكف فقط، وهذه الإشارة لها عدة أبعاد ومعان أولها البعد النفسي حيث نبه وغير هذا المنكر بطريقة النهي غير المباشر عن طريق السؤال:"مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ"، والعرض والتحضيض: "أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كي يَرَاهُ النَّاسُ"،هذا الأسلوب التنفيري التحضيضي وما صَاحَبَه من تواضع وحسن خلق وطيب سريرة،لذلك له وقعها

---

[٣٩٤] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ٥١/١، باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ.

٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني: ٣٥٢/٦.

[٣٩٦] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١/ ٦٩، باب قَوْلِ النَّبِيِّ – صلى الله تعالى عليه وسلم – « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ».

النفسي والاجتماعي في النفوس وله تأثيره في القلوب، قال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله:"هذه جولة في الأسواق ليرى أحوال الناس؛ لأنه مسئول عن ذلك، ويختبر الباعة، فمن وجده جاهلاً بأحكام البيع، والربويات، والمكاييل، والموازين علمه ونهيه لذلك"([٣٩٧]).

الإشارة الخامسة:تأكيد وإثبات.

٣٢١- جاء في الحديث قَالَ الْحَسَن رحمه الله: "ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ".([٣٩٨]) هذه إشارة أخرى من إشارة اليد العامة قد أطلقها هذا التابعي الكريم الحسن البصري رحمه الله تعالى ليعضد من خلالها روايته عن هذا الصحابي الجليل حيث مَدَّ يَدَهُ بعد تحديثه مشيراً إِلَى الْمَسْجِدِ مؤكداً للحاضرين والسامعين مكان سماعه لهذا الحديث الشريف ليُكَوِّن من خلال تلك الحركة والإشارة قرينة توحي إلى نفس السامع بصحة ماحدّث به، وتدفعه دفعًا عاطفيًا ونفسيًا مهمًا لقبول الخبر والتمسك به، وهي إشارة واضحة الدلالة،بينة المضمون فيها ترمي إلى غاية ومقصد.

الإشارة السادسة:تثبت وتبين.

٣٣٦- قال عَمْرو بْنَ الْعَاصِ في هذا الحديث: "فَبَسَطَ يَمِينَهُ - قَالَ–فَقَبَضْتُ يدي".([٣٩٩])

إنّ هذا الحديث وردت فيه إشارتان مهمتان من إشارات اليد العامة، فالأولى بسط النبي -صلى الله عليه وسلم- ليمينه قاصدا المبايعة من عمرو، وهي من الناحية العاطفية إشارة تودد وقبول منه عليه الصلاة والسلام لعمرو، كما أنها توحي في نفس الوقت من الناحية النفسية بقوة تأكيد العقد والالتزام بما سيجري بينهما من المبايعة،أمَّا إشارة عمر بن العاص رضي الله عنه فهي ذات بعد دلالي آخر ومغزى نفسي يحمل معنى التثبت والتيقن من ما سيقدم عليه.

---

[٣٩٧] – شرح بلوغ المرام، للصنعاني:١٩٣/٦.

[٣٩٨]– صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١/ ٧١، باب غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ.

[٣٩٩] – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١/ ٧٨ باب كَوْنِ الإِسْلاَمِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةُ وَالْحَجُّ.

الإشارة السابعة:تنبيه وتأديب.

٣٩٨- عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ أَنَّهُ قَالَ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ،.... "فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ بَيْنَ عُنُقِي وَكَتِفِي".([٤٠٠])

هذه إشارة مهمة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم لسعد حيث ضرب بَيْنَ عُنُقِه وَكَتِفِه بِيَدِهِ الزكية الشريفة،أي في أعلى الكتف بين المنكب وأصل العنق، وهي إشارة تنبيه توحي في المقام الأول بضرورة الانتباه لقبول ما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم وعدم مراجعته فيما يقول ويفعل،كما أنها من الناحية النفسية تعتبر حركة تأديبية مهمة للمتلقي حيث جمعت له بين الإجابة عن السؤال الملح في ذهنه، والتأديب على مثل هذه المراجعة لأمر الله ورسوله، فجسد له ذلك بحركة ملموسة لا يبقى بعدها شيء في النفس مما تلبست به فرب إشارة أبلغ من عبارة، قال بدر الدين العيني رحمة الله تعالى معلقا على هذا الحديث: "أتقاتل قتالا أي أتعارضني فيما أقول مرة بعد مرة كأنك تقاتل وهذا يشعر أنه كره منه إلحاحه عليه في المسألة".(٤٠١)

الإشارة الثامنة:إرشاد وتوجيه.

٤٣٣- قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : "ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَنِي".([٤٠٢])

هذه حالة تعبيرية أخرى من لغة الإشارة ، فلم يبين كيفية هذا الأخذ ولم تذكر يد جبريل عليه السلام إلا ضمنا فيما يفهم من الأخذ الذي الغالب فيه أن يكون اليد باليد، ولكن الأخذ مع ذلك محمول على أن جبريل أخذ يد النبي صلى الله عليه وسلم بيده، ليدله ويتوجه به إلى الجهة التي أمره ربه -سبحانه- أن يصطحبه إليها، وكما أن هذا الأخذ باليد يوحي بدلالة العناية والتمسك والهداية، فهو كذلك يدل

---

[٤٠٠] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ٩٢/١، باب تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يَخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ

١- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: ٢٩/١٤.

[٤٠٢] - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١٠٢/١، باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ.

على التهيؤ والاستعداد لأمر ووجهة مهمة خطيرة، قال العيني رحمة الله "وظاهر هذا يدل على أنّ جبريل كان دليلًا يهديه ماقصد له"[٤٠٣].

الإشارة التاسعة: توضيح وإفهام.

٧٧٤-جاء في هذا الحديث: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء "وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَان بنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ".([٤٠٤])

في هذا الحديث إشارة يدوية توضيحية مهمة كما نقلها الرواة وقد أراد من خلال النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرب ويبين بلغة الإشارة بيده إشارة تدل وتعبر عن ذلك الحياء والاستتار، عن طريق حجب جزء من وجهه بيده، وفي رواية أخرى: "فاستحيى وأعرض بوجهه"،وعلى هذه الرواية فتعبير النبي صلى الله عليه وسلم كان بإشارة الوجه أي تحويله وصرفه حياء، فعبر سفيان وكني عن ذلك بإشارة يدوية لطيفة معبرة، إلّا أنّ كناية النبي صلى الله عليه وسلم وإشارته ألطف تعبيرًا وأحسن بيانًا من كلّ إشارة وكل عبارة قال النووي رحمه الله: "وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب اِسْتِعْمَال الْكِنَايَات فِيمَا يَتَعَلَّق بِالْعَوْرَاتِ"[٤٠٥].

الإشارة العاشرة: بيان وتعليم.

٨٤٤-قَالَ النبي -صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : "يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا".([٤٠٦])

في هذا الحديث من البيان والتوضيح بلغة الإشارة ما لا يخفى، حيث بين صلى الله عليه وسلم بين طريقة التيمم وجسدها لعمار رضي الله عنه تجسيدًا حيًا بضربةٍ واحدةٍ بيديه مبسوطتين على الأرض،وعبّر عن هذا الفعل بدلالة القول باليد عن طريق الإشارة، حيث تعانقت فيه العبارة والإشارة، فبينت وأكدت المقدار والكيفية والحكم، بطريقة سلسة لطيفة قربت المقصود إلى الذهن حتى فهمه الرائي والسامع

---

[٤٠٣] – عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: ٨٠/٢٥.

[٤٠٤] – صحيح مسلم، كتاب الطهارة، ١٧٩/١، باب اسْتِحْبَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُغْتَسِلَةِ مِنَ الْحَيْضِ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فِى مَوْضِعِ الدَّمِ.

[٤٠٥] – شرح صحيح مسلم، للنووي:٣٦/٢.

[٤٠٦] – صحيح مسلم، كتاب الطهارة ١٩٢/١، باب التَّيَمُّمِ.

على حد سواء، قال الشيخ عطية بن محمد سالم رحمه الله معلقًا على هذه الإشارة: "أي: أن تفعل هكذا، والقول قد يأتي محل الفعل، يقال: قال بيده هكذا وفعل، وقال برجله هكذا ودفع الأمر، وقال برأسه هكذا، أي: أشار وفعل".([٤٠٧])

الإشارة الحادية عشر:توديع ورحيل.

٩٦٤-قَالَتْ عَائِشَة في هذا الحديث: "فَخَرَجَ وَيَدٌ لَهُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ العَبَّاس وَيَدٌ لَهُ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ وَهُوَ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ في الأَرْضِ".([٤٠٨])

في حديث عَائِشَة هذا إشارات ودلالات من لغة الإشارة تتعلق بمرض النبي صلى الله عليه وسلم، وهي إشارة إلى شدة المرض، وأنّه قد أثقله حتى أوصله إلى هذه الحال -بأبي هو وأمي- ، كما أنها إشارة توحي أيضا بتوديعه ورحيله عن الدنيا، ولهذا أثرت كثيرا هذه الهيئة والإشارة في نفسيات وعواطف أصحابه صلى الله عليه وسلم وخاصة زوجه الحبيبة الصديقة عائشة التي روت هذه القصة، وقد بلغت هذه الإشارة من نفوسهم مبلغا عظيما جعلهم يصفونها وينقلونها بأسلوب باك مؤثر يدمع العين ويحزن القلب، وكان ذلك الحدث أحق بقول الشاعر:

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ فليسَ لعينٍ لم يفضْ ماؤُها عذرُ

الإشارة الثانية عشر:تقديم وتثبيت.

٩٧١-قال أَنَس بْن مَالِكٍ في هذا الحديث:"وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْه لِيَصِلَ الصَّفَّ"،ثمّ قال بعد ذلك: "فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ".([٤٠٩])

إنّ في هذا الحديث الشريف إشارتين اثنتين هما ما بين القوسين،الأولى من الصديق رضي الله عنه، في إشارة منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتقدم ليصلّي بالناس، وتعبيرا لنفسه ولأصحابه أنّه لا ينبغي لأبي بكر ولا غيره أن يتقدم

---

[٤٠٧] – شرح بلوغ المرام، للصنعاني:٣٥/٢.

[٤٠٨] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢١/٢، باب اسْتِخْلاَفِ الإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا

[٤٠٩] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢٤/٢، باب اسْتِخْلاَفِ الإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا

على النبي صلى الله عليه وسلم،وصورة النُكوصُ: أن يرجع القهقري إلى جهة ظهره وعقبيه من غير أن يوجه وجهه عن جهة القبلة، وهذه الإشارة توحي نفسيًا بعظمة الموقف وهيبة القادم،كما توحي عاطفيًا بالاغتباط برؤية الحبيب الغائب صلى الله عليهوسلم، والاطمئنان على حياته،وأمّا الإشارة الثانية فهي من النبي صلى الله عليه وسلم حيث أطلق إشارة يدوية للصدّيق ولأصحابه للثبات في أماكنهم ومواصلة الصلاة،فكان موقفا مؤثرًا جمع لهم بين الفرحة والدهشة "فالتفتوا فجأة،ولولا التفاتهم إليه مارأوا إشارته"([٤١٠]).

الإشارة الثالثة عشر: حكاية السلام.

٩٩٨ – قَالَ جَابِر بْن سَمُرَةَ في هذا الحديث : "وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبَيْنِ".([٤١١])

إن الإشارة هنا تعبر عن المقصود والمراد، حيث أشار جابر بْن سَمُرَةَ –رضي الله عنه- مسلمًا بلسانه ومشيرًا بيده إلى اليمين إشارة مصاحبة توضح كيفية السلام من الصلاة، وهي حركة تحكي سنة التفات المصلي بوجهه إلى الجهتين إيماء بالخروج من الصلاة والانتهاء منها، وهي من الناحية النفسية توحي برجوع المصلي إلى عالم الأرض والناس بعد انقطاعه وغيابه عنهم مناجيًا ربه ومتوجهًا إليه، وهذه الإشارة لاتنبغي للمصلي لأن فيها شيئًا من عدم السكينة والوقار ، فهي شبيهة بحركات بعض البهائم التي لا تعقل وأوضح لهم أنّ المراد بيان المقصود مع الهدوء والسكينة وترك اليد في محلها الذي هي فيه -أثناء التشهد للسلام- حفاظًا على الخشوع والطمأنينة في الصلاة، فكانت إشارته -صلى الله عليه وسلم- وافية كافية لا لبس فيها ولا غموض، جمعت بين العبارة والإشارة،بأسلوب بياني حصري غاية في الروعة والجمال."وَالْإِيمَاء :الْإِشَارَة أَوْمَأَ يُومِئُ إِيمَاء وَهُمْ يُومِئُونَ مَهْمُوز"([٤١٢]).

الإشارة الرابعة عشر: علاج مشكلة.

١٠٧٨- قال ابْن أَبِي الْعَاصِ في هذاالحديث: "فَجَلَّسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ،ثُمَّ قَالَ: "تَحَوَّلْ". فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ".

---

[٤١٠] – شرح صحيح البخاري، لابن بطال:٢،٣٦٧.

[٤١١] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢/٢٩، باب الأَمْرِ بَالسُّكُونِ فِى الصَّلاَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الإِشَارَةِ بِالْيَدِ...

[٤١٢] – عون المعبود على سنن أبي داوود، شمس الحق العظيم آبادي، ٣/٢٩٩.

في هذا الحديث الشريف إشارة نبوية مهمة وصورتها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وضع كَفَّهُ على صدر عثمان الثقفي رضي الله عنه وبين ثدييه كما يفعل الطبيب بالمريض حين يشخصه ويعالجه، وهذه الحركة والإشارة توحي من الناحية النفسية بالمعالجة التامة من طبيب القلوب صلى الله عليه وسلم لهذا الصحابي وذهاب ما يجد في نفسه وقلبه من ضعف عن التقدم أو وسوسة أو كبر أو غيره،كما أنها تؤهله وتدفعه دفعا نفسيًا وعاطفيًا إيمانيًا قويًا لهذه المهمة التي انتدب لها وأريد منه القيام بها، قال النووي رحمه الله محللًا لمعنى ودلالة هذه الإشارة : "أَرَادَ الْخَوْف مِنْ حُصُول شَيْء مِنْ الْكِبْر وَالْإِعْجَاب لَهُ بِتَقَدُّمِهِ عَلَى النَّاس فَأَذْهَبَهُ اللَّه تَعَالَى بِبَرَكَةِ كَفِّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُعَائِهِ".([٤١٣])

الإشارة الخامسة عشر:تمثيل وبيان.

١١٢٦ – جاء في هذا الحديث : "وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ".([٤١٤])

إنّ في هذا الحديث إشارة مهمة جاءت مصاحبة لتعليم الحكم في هيئة السجود وبيان الأماكن والأعضاء التي ينبغي السجود عليها، ومنها الجبهة والأنف، ولا تعارض بين العبارة والإشارة كما قد يتوهم، وإنّما قصدًا معًا في أعضاء السجود،وجعلا بمثابة العضو الواحد في النص، إلّا أنّ الجبهة قد نصّ عليها بالعبارة، والأنف نصّ عليها بالإشارة، قال الخطيب التبريزي رحمه الله:"وأشار بيده على أنفه،فإنّه سمّى الجبهة وأشار إلى الأنف،والتسمية إذا تعارضت بالإشارة فالعبرة عند الحنفية بالإشارة،فإنّها أبلغ في التعيين".([٤١٥])

ومن الناحية النفسية كانت الإشارة إلى الأنف فيها من الإيماء النفسي والشعوري بأهمية إرغامه لله الواحد الأحد، فالجمع بين الجبهة والأنف في السجود -وهما أشرف وأرفع ما في الإنسان- فيه من إرغامهما للخالق المعبود ما فيه،كما فيه من تمام التذلل والإقرار بالخضوع له ربًا واحدًا معبودًا لاشريك له،وفيه كذلك من

---

[٤١٣] – شرح مسلم، النووي،٢/٢١٧.

[٤١٤] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢/٥٢، باب أَعْضَاءِ السُّجُودِ وَالنَّهْيِ عَنْ كَفِّ الشَّعْرِ وَالثَّوْبِ وَعَقْصِ الرَّأْسِ فِى الصَّلاَةِ.

[٤١٥] – شرح مشكاة المصابيح، للتبريزي:٣/٢٠٦.

الناحية العاطفية والوجدانية إيحاء بعظم المعبود والتفاني في مرضاته والشعور بعظمته ووحدانيته.

الإشارة السادسة عشر:كيفية السجود.

١١٣٣ - قال ابْن بُحَيْنَةَ: "كَانَ إِذَا صَلَّى فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ".([٤١٦])

إنّ الإشارة في هذا الحديث تجسدت في مجافاة اليدين والمرفقين، حيث كان صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سجوده يجافي ويباعد مِرْفَقَيْهِ وَعَضُدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ إمعانًا في تمكين أعضاء السجود كلّها من الأرض قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:"لم يضم مرفقيه إليه بل باعد بينهما، وهذه سنة السجود أي نحّى كل يد عن الجنب الذي يليها"([٤١٧])،وهذه الإشارة من الناحية النفسية أبلغ في التواضع وأكثر أثرًا في النفس حيث توحي للساجد بأن أعضاءه كلها خاشعة مشاركة في السجود نشطة مقبلة على الله،وهي إشارة وحركة عاطفية تعبر عن حالة فائقة من الإقبال على الله بالقلب والجوارح والشعور والوجدان مع التفاني في مرضاته سبحانه قال ابن حجر في فتح الباري: " قال بعض العلماء: "هو أشبه بالتواضع وأبلغ في تمكين الجبهة والأنف من الأرض مع مغايرته لهيئة الكسلان".([٤١٨])

الإشارة السابعة عشر:دفع وزجر.

١١٥٧- قال أَبو صَالِحٍ السَّمَّان في هذا الحديث:" فَدَفَعَ فِي نَحْرِهِ... فَعَادَ فَدَفَعَ فِي نَحْرِهِ أَشَدَّ مِنَ ... الأُولَى".

إنّ الإشارة التي أطلقها أبو سعيد -رضي الله عنه- في هذا الحديث واضحة الدلالة بينة المعنى والغاية فيما ترمي إليه وتقصده، وصورتها أنّ أبا سعيد دفع بيده في نحر الشاب الذي أراد أن يمر بينه مع سترته دفعة قوية قاصدا رده وزجره عن المرور والاجتياز أمامه،وهي تعبير قوي من التعبير غير اللفظي شرعه الشارع الحكيم في هذا المقام دون غيره من التعبير اللفظي أو الكلام،إذ الكلام أثناء الصلاة محظور

---

[٤١٦] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٥٣/٢، باب مَا يَجْمَعُ صِفَةَ الصَّلاَةِ وَمَا يُفْتَتَحُ بِهِ وَيُخْتَمُ بِهِ

[٤١٧] – فتح الباري ،٢٩٤/٢.

[٤١٨] – فتح الباري ٢٩٤/٢.

وغير مسموح به،فلذلك كان هذا من المقامات التي لا يشرع فيها إلّا لغة الإشارة، ولا يعبّر عنها إلا هيئة وحركة بيانية من الإشارة المغلظة الصامتة، والتي توحي نفسيًا بعظم شأن الصلاة وحرمتها،كما تشير عاطفيًا إلى قوة الاتصال بالله والشعور بالوقوف بين يديه وبرقابته التي لا تغيب،قال القاضي عيّاض رحمه الله :"فَدَفَعَ فِي نَحْرِهِ أي :بالإشارة ولطيف المنع في الأولى .. . .. ويزيد في دفعه الثانية ، ويشتدّ في مدافعته ، ويغلظ له ، كما فعل أبو سعيد".([٤١٩])

الإشارة الثامنة عشر: إشعار.

١١٧٣-قالت عائشة في هذا الحديث: "فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي فَقَبَضْتُ رِجْلَي وَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا".([٤٢٠])

هذه إشارة أخرى من لغة التعبير بالإشارة وصورتها أنّه كان صلى الله عليه وسلم يعبّر للصديقة رضي الله عنها في إشارة لطيفة حين يريد أن تفسح وتوسع له في المكان ليسجد، فيغمزها بيده أو رجله على خلاف بين العلماء في ذلك، قال بدر الدين العيني: "والمراد ههنا الغمز باليد"،([٤٢١]) وسواء كانت الإشارة باليد أو الرجل إلّا أنّها تبقى لها دلالتها التي أراد منها النبي صلى الله عليه وسلم أن توسع وتفسح له، وإخبارها بذلك عن طريق لغة الإشارة لا لغة العبارة، ويشعرها بتلك الحركة اللطيفة الخفيفة بيده أو قدمه الشريفة، وهي حركة لها أثرها العاطفي بين زوج مليء بالعطف والرحمة، والعاطفة المتدفقة بالحب والحنان، ومن الناحية النفسية كذلك فهي تشعرها بسعادة غامرة وطمأنينة فائقة لقربه والأنس به والاطمئنان عليه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "فكان يغمزها لتكف قدميها فيسجد في موضعهما، فلم يكن يدرك التنبيه منه بإشارة مرئية ونحوها، فلذلك احتاج إلى

---

[٤١٩] – المفهم ،٥/٣٤.

[٤٢٠] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢/٦٠، باب الاِعْتِرَاضِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّى.

[٤٢١] – عمدة القاري ،٦/ ٣٠٨.

غمزها، كل تلك المعاني وغيرها قد اقتضتها تلك الحركة والإشارة حاجيا ونفسيا وعاطفيا".([٤٢٢])

الإشارة التاسعة عشر:تمثيل.

١٢١٩-قال عَبْداللَّهِ بْن مَسْعُودٍ:"فَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى اخْتِلاَفِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- فَأَرَاهُمْ".([٤٢٣])

هذه إشارة نبوية تعبيرية أطلقها رَسُول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- بحضرة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فحملها عنه ووعاها وأدّاها،وهي إشارة تتعلق بهيئة الركوع في الصلاة بحيث يجعل المصلي الذراعين على الفخذين،ويجعل الكفين بين الركبتين مطبقتين، قال بدر الدين العيني رحمه الله: "وضع يديه بين رجليه وحنى،وضرب يدي على ركبتي،وقال هكذا وأشار بيده".([٤٢٤])

وإن كان هذا التطبيق قد نسخ بهيئة وصفة أخرى إلا أنّ دلالة الإشارة في هذا الحديث تبقى شاهدًا مهمًا على التعبير بلغة الجسد واليد بالذات متى ما دعت الحاجة إلى ذلك، ومن الناحية النفسية،فإنّ اختلاف أصابع النبي صلى الله عليه وسلم وتعبيره بهذه الإشارة بقي عالقًا في نفس وذاكرة ابن مسعود وكأنّه ينظر إليه في تلك اللحظة التي يحدث فيها، ومن الناحية العاطفية فإنّها حركة وإشارة لا يزال ابن مسعود يتذكر بها حبيبه وصاحبه،كلما حدث عن الركوع وهيئته،فلا يزال يبلغها ويعلمها للنّاس ما وجد إلى ذلك سبيلا.

الإشارة العشرون:إنكار.

١٢٢٧ - عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: "فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ".([٤٢٥])

---

[٤٢٢] – عمدة القاري ،٢،٧٢٩.

[٤٢٣] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٦٨/٢، باب النَّدْبِ إِلَى وَضْعِ الأَيْدِى عَلَى الرُّكَبِ فِى الرُّكُوعِ وَنَسْخِ التَّطْبِيقِ.

[٤٢٤] – شرح سنن أبي داود، للعيني:٧٢/٤.

[٤٢٥] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٧٠/٢، باب تَحْرِيمِ الْكَلاَمِ فِى الصَّلاَةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ.

إنّ الإشارة في هذا الحديث إشارة يقصد بها الإنكار والزجر،حيث أنكر هؤلاء المصلون على معاوية رضي الله عنه لتشميته العاطس، فجعلوا يضربون أفخاذهم بأيديهم تعبيرًا عن ذلك، وهذا الضرب للأفخاذ له بعده ودلالته وإيحاؤه في النهي والزجر والإسكات.

كما له تأثيره النفسي على المنهي والسامع والرائي على حد سواء،ولهذا أثرت هذه الحركة في نفسية هذا الصحابي حتى رأى أنه قد أتى جرمًا عظيمًا فصاح قائلا: "وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ"،فكان لذلك أثر نفسي بالغ استولى عليه وامتلأ به كيانه ووجدانه حتى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأزاح وأزال عنه كل ذلك برفقه وحسن تعليمه وأدبه، فملأ قلبه طمأنينة وسكينة.

الإشارة الحادية والعشرين:هيئة وضع اليدين في الصلاة.

١٣٣٥-عن عَامِر بْن عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ أنّ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- "وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ".([٤٢٦])

هذه إشارة أخرى تتعلق بهيئة وحالة المصلي إِذَا جلس في الصلاة وكيفية وضع اليدين على الفخذين،وصورتها أن يضَعَ المصلي إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى محلقا بهما،ويشير بإصبعه المسبحة "السبابة "،وهي التي تلي الإبهام، وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ، قال النووي رحمه اللهُ: "وَالْحِكْمَة فِي وَضْعهَا عِنْد الرُّكْبَة مَنْعهَا مِنْ الْعَبَث، وَهو مُجْمَعٌ عَلَى اِسْتِحْبَابه"([٤٢٧])،وهذا الوضع فيه الإشارة إلى تمام السكينة والطمأنينة النفسية في هذا الموقف وأخذ كل عضو مكانه المناسب لذلك، وأمّا الإشارة بالمسبحة ففيه تعبير ودلالة على توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وحده، كما يوحي تحريكها عند الإشارة بها إلى حالة نفسية وعاطفية مهمة من تكرير الإقرار

[٤٢٦] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢/٩٠، باب صِفَةِ الْجُلُوسِ فِى الصَّلاَةِ وَكَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْيَدَيْنِ عَلَى الْفَخِذَيْنِ.

[٤٢٧] – النووي ،٥/٨١.

بالوحدانية والتسليم لله والتعلق به،قال النووي رحمه الله: "وليس المقصود بالإشارة أنها ثابتة لا تتحرك، بل يحركها في التشهد ويحركها عند الدعاء".([٤٢٨])

الإشارة الثانية والعشرين:تثبيت.

١٣٩٨-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- فَقَامَ مَقَامَهُ"فَأَوْمَأَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنْ مَكَانَكُمْ".([٤٢٩])

في هذا الحديث الشريف أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم أثناء الصلاة، وذلك حين كبّر للصلاة وذكر أنّه لم يغتسل فأشار إليهم أن مكانكم بالنصب على الإغراء أي:الزموا مكانكم،قال ابن بطال رحمه الله: "فعرفوا بإشارته مايعرفونه من نطقه،أي إيماء وإشارة،فإنه عليه الصلاة السلام،كبّر للصلاة وذكر أنّه لم يغتسل،فصحّ أنّه يعقل من الإشارة مايعقل من النطق"([٤٣٠])،وقال ابن حجر رحمه الله: "فيه إطلاق القول على الفعل فإنه أشار بيده أن مكانكم ويحتمل أن يكون جمع بين الكلام والإشارة"([٤٣١]).

وهذه الإشارة من الناحية النفسية توحي للصحابة رضي الله عنهم بأمره لهم بالاستقرار على ما هم عليه، ورجوعه إليهم، فتدفعهم إلى الطاعة ولزوم تلك الحالة.

الإشارة الثالثة والعشرين:التقليل.

٢٠٠٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ في حديثه: "فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ .... " (وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا).([٤٣٢])

---

[٤٢٨] – المصدر السابق ،٨١/٥.

[٤٢٩] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ١٠١/٢، باب مَتَى يَقُومُ النَّاسُ لِلصَّلاَةِ.

٤٣٠ – فتح الباري لابن رجب الحنبلي ،٤٥٩/٧.

٤٣١ – المصدر السابق ،٣٨٤/١.

[٤٣٢] صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٥/٣، باب فِى السَّاعَةِ الَّتِى فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

أشار النبي-صلى الله عليه وسلم-في هذا الحديث بيده معبراً بذلك لأصحابه عن تقليل وتقصير ساعة الجمعة التي يستجاب فيها الدعاء،قال ابن رجب في رواية "يزهدها من التزهيد وهو التقليل"([٤٣٣]).

أمّا من الناحية النفسية فإنّ الإشارة اليدوية التي عبّر بها رسول-صلى الله عليه وسلم-هنا ذات أبعاد نفسية ودلالات عاطفية روحية توحي بضرورة اغتنامها وسرعة فواتها،كما تنبه لتحريها والاستعداد النفسي لها،كما توحي من الناحية العاطفية بالحث على التعلق بالله والبحث عن أماكن القرب منه،واغتنام أوقات ساعات الإجابة، قال ابن المنير رحمه الله: "فيه الإشارة لتقليلها والترغيب فيها والحض عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها".([٤٣٤])

الإشارة الرابعة والعشرين:بيان وتوضيح.

٢٠٥٣–عَنْ عُمَارَةَ بِنْ رُؤَيْبَةَ قَالَ في حديثه .. "يَقُول بِيَدِهِ هَكَذَا. وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبِّحَةِ".([٤٣٥])

إنّ الإشارة في هذا الحديث،مفادها هنا أن عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ أشار بإصبعه المسبحة أي التي يسبح بها وهي السبابةَ التي تَلِي الإِبهامَ، فَرَفَعَ السَّبَّابَةَ وَحْدَهَا إنكارًا منه على بشر بن مروان حين رأى أنّه خالف السنة برفع يديه للدعاء في الخطبة.

ومن الناحية النفسية كانت هذه الإشارة لها تأثيرها ووقعها على السامعين والرائين لما تعلّقت به من وصف خطبة النبي-صلى الله عليه وسلم-كيف كان يفعل فيها،كما

---

٤٣٣ – فتح الباري لابن رجب،٥/٥٠٥.

٤٣٤ – تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، للسيوطي:١/١٠٠.

٤٣٥ صحيح مسلم، كتاب الصلاة ١٣/٣، باب تَخْفِيفِ الصَّلاَةِ وَالْخُطْبَةِ.

تأثرّ في عواطف ومشاعر السامعين والمسلمين من بعدهم تأثيرًا مهمًا يدفعهم إلى الاقتداء والاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

الإشارة الخامسة والعشرين:إيضاح وتعبير.

٢١١٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ في حديثه .. "حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ".

هذه إشارة في هذا الحديث نقلها أنس بن مالك خادم رسول-الله صلى الله عليه وسلم-عنه حين يلح في الدعاء والاستسقاء، وذلك حين يرفع يديه فوق الصدر وحذو الأذنين داعياً مستسقياً؛قال الحافظ ابنَ حجر رحمه الله: "المرادُ به مدّ اليدين وبسطهما عند الدُّعاء،والمبالغة في الدعاء إلى أن صارت اليدان في حذو الوجه حتى أمكن بذلك حينئذ أن يرى بياض ابطيه هو به حينئذ يرى بياض إبطيه".([٤٣٦])

وهي توحي من الناحية النفسية بالتفاني في مرضاة الله وقوة الإلحاح في دعائه والتضرع إليه، كما تشير من الناحية العاطفية قوة الشعور بكرمه سبحانه وعظمته قال ابن بطال:"وذلك العمل،هو الرَّغَبُ وهو معنى قول الله،تعالى:"ويدعوننارغبًاورهبًا"،أي خوفًا وطمعًا".([٤٣٧])

الإشارة السادسة والعشرين:استصحاء.

٢١١٦ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ في حديث الاستسقاء:"فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ إِلاَّ تَفَرَّجَتْ".([٤٣٨])

إنّ الإشارة في هذا الحديث الشريف مفادها أنّه-صلى الله عليه وسلم-أشار إلى نواحٍ متعددة،وجهاتٍ مختلفة من نواحي المدينة،وهذه الإشارة من الناحية الدلالية القصد منها هو "استصحاء المطر عن طريق الدّعاء مصحوباً بالإشارة المعبّرة عن

---

[٤٣٦] – فتح الباري لابن حجر ٥١٧/٢.

[٤٣٧] – شرح صحيح البخاري لابن بطال،١٧/٥.

[٤٣٨] صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢٥/٣، باب الدُّعَاءِ فِي الاِسْتِسْقَاءِ.

النواحي التي يوجد فيها هذا المطر،أوْ النواحي التي يريد أن يسوقه الله إليها من الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر"([٤٣٩])، ومن الناحية النفسية كانت هذه الحركة والإشارة هنا عاملا مهما يخفف وطأة الخوف، ويوحي إلى نفوس أصحابه والناس عموما بالانفراج والصحو بعد الشدة والكرب الذي عانوه من المطر المتواصل، كما يوحي من الناحية العاطفية بقرب استجابة الدّعاء وقوة الرجاء لقربه من ربه.([٤٤٠])

الإشارة السابعة والعشرين:ندم وتحسر.

٢٢٣٨ - عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وفي حديثه .. "فَضَرَبَ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ الأَرْضَ".([٤٤١])

هذه إشارة أخرى عبّر بها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- حين بلغه خبر عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لم يكن وصله من قبل أطلقها نادمًا على ما فاته ممّا أعدّ الله من الأجر للمصلي على الجنازة والمتّبع لها، فكانت دلالتها الحسرة والتّأسف على فوات ذلك الأجر العظيم والخير العميم الذي فاته، فرمى بالحصى إشارة وعبارة عن ذلك، وهي حركة نفسية توحي بالندم والأسى على ما فات، كما توحي بالحرص والعزم على استدراك ما يأتي، كما تشير من الناحية العاطفية إلى حب ابن عمر امتثال أمر النبي-صلى الله عليه وسلم-والوقوف على ترغيبه ولزوم سنته وهديه فيما أرشد إليه،قال بدر الدين العيني:"فيه دلالة على فضيلة ابن عمر من حرصه على العلم وتأسفه على مافاته من العمل الصالح".([٤٤٢])

الإشارة الثامنة والعشرين:بذل وتفريق.

---

٤٣٩ – شرح صحيح البخاري لابن بطال ،١٠/٥.

٤٤٠ – مشارق الأنوار، للقاضي عيّاض:٢١٦/١.

٤٤١ – صحيح مسلم كتاب الجنائز ٥٢/٣، باب فَضْلِ الصَّلاَةِ عَلَى الْجَنَازَةِ وَاتِّبَاعِهَا.

٤٤٢ – عمدة القاري،٤٢٣/١٢.

٢٣٦٠-عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه في حديثه .. أنّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:"فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذي قَرَابَتِكَ شيء فَهَكَذَا وَهَكَذَا".([٤٤٣])

في هذا الحديث أشار النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى تنوع الصدقة وتفريق المال في سبيل الله مشيرًا إلى جهات متعددة من بين يديه وعن يمينه وعن شماله،رامزًا ومعبرًا بذلك عن تفريقه وتبديده في أوجه الخير والبر المختلفة،كما تقتضي الإشارة كذلك إنفاقه بكثرة وسخاء لما يقتضيه تكرر الإشارة وتعدد جهاتها وأنحائها، قال النووي رحمه الله:"وَمِنْ فوائد هَذا الحديث أَنَّ الْأَفْضَل فِي صَدَقَة التَّطَوُّع أَنْ يُنَوِّعهَا فِي جِهَات الْخَيْر وَوُجُوه الْبِرّ بِحَسَبِ الْمَصْلَحَة ، وَلَا يَنْحَصِر فِي جِهَة بِعَيْنِهَا".([٤٤٤])

ومن الناحية النفسية فإن إشارة النّبي-صلى الله عليه وسلم-هذه لها تأثيرها النفسي وبعدها الروحي حيث تُقلِلْ في نفوس الناس من شُّح النُّفوس وحب المال، كما أنّ كذلك من الناحية العاطفية إشارة تدفع النّاس إلى حب الخير والبذل والمواساة كما طبَّقها هو-صلى الله عليه وسلم-أمراً واقعيا في حياته، قال المناوي:"كنّى بتلك الإشارة عن تكثير الصدقة وتنويع جهاتها وليس المراد حقيقة هذه الجهات المخصوصة".([٤٤٥])

الإشارة التاسعة والعشرين:تجسيد وتمثل.

٢٤٠٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ في حديثه .. "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَوَسَّعُ".([٤٤٦])

إنّ الإشارة في هذا الحديث كانت إشارة تمثيلية من النبي-صلى الله عليه وسلم-حيث أراد أن يَحْكِي بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ هَيْئَةَ تَوْسِعَةِ الْبَخِيلِ الْجُنَّةَ التي يلبسها من البخل فَلَا تَتَّسِعُ،وهذا ضرب للمثل برجل بخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت وضاق صدره وغلت يداه،قال القاضي عياض رحمه الله : "الْحَدِيث جَاءَ عَلَى التَّمْثِيل لَاعَلَى

---

[٤٤٣] – صحيح مسلم، كتاب الزكاة ٧٨/٣، باب الاِبْتِدَاءِ فِى النَّفَقَةِ بِالنَّفْسِ ثُمَّ أَهْلِهِ ثُمَّ الْقَرَابَةِ.

[٤٤٤] – النووي ،٨٣/٧.

[٤٤٥] – فيض القدير شرح الجامع الصغير،للمناوي، ٩٩/١.

[٤٤٦] – صحيح مسلم، كتاب الزكاة ٨٩/٣، باب مَثَلِ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ.

الْخَبَر عَنْ كَائِن،والإشارة هنا تمثيل منه صلى الله عليه وسلم بالعيان للمثل الذي ضربه".([٤٤٧])

ومن الناحية النفسية فإن هذه الإشارة لها وقعها في نفوس الناس حيث صور لهم النبي صلى الله عليه وسلم البخيل مغلول اليدين ضيق الصدر بخيل الكف، فجمع لهما بين الصورتين الحسية والمعنوية مما كان له الأثر البالغ في نفوسهم، ولهذا بقيت صورة الإشارة وهيئتها عالقة في نفس وذهن أبي هريرة يحدث به كجزء مهم من هذا الحديث.

الإشارة الثلاثون:تأكيد وبيان.

٢٥١٧-عَنْ عُبَيْداللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ في حديثه.. "يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لاَ يَجُوزُ هَذَا مِنْهُمْ وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ".([٤٤٨])

إنّ في هذا الحديث إشارة صُورتها أنَّ علياً رضي الله عنه- أشار إلى حلقه مبيناً بذلك ومشيرا باسم الإشارة (هَذَا) وأداتها الغالبة فيها التي هي اليد في نفس الوقت،موجهاً كلّ ذلك إلى حلقه ولسانه ليؤكد في نفس السامع والرائي قول النبي-صلى الله عليه وسلم-الّذي سمعه ووعاه حق الوعي وهو: أنّ الحق الذي يقوله هؤلاء الخوارج بألسنتهم لا يتجاوزها،ولا يلبس على من عرف وصفهم من المصطفى-صلى الله عليه وسلم-الّذي لاينطق عن الهوى، ومن الأبعاد النفسية لهذه الإشارة كذلك تثبيت الإيمان بالنبي-صلّى الله عليه وسلم-ومعجزاته الصادقة التي لا تزال تشاهد وتتحقق.

الإشارة الحادية والثلاثون:إيضاح.

٢٦١٤ - عَنِ ابْنِ أَبِى أَوْفَى - رضي الله عنه - قَالَ في حديثه .. "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ ".([٤٤٩])

---

[٤٤٧] – شرح صحيح مسلم للنووي،١٠٩/٧.

[٤٤٨] – صحيح مسلم، كتاب الزكاة ١١٦/٣، باب الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ.

[٤٤٩] – صحيح مسلم، كتاب الزصيام ١٣٢/٣، باب بَيَانِ وَقْتِ انْقِضَاءِ الصَّوْمِ وَخُرُوجِ النَّهَارِ.

إنّ الإشارة في هذا الحديث إشارة أطلقها النبي-صلى الله عليه وسلم-بيده الشريفة ليُبَيّن ويؤكد من خلالها وقت إفطار الصائم،فأشار بيده نحو مشرق الشمس قائلا: "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا" فاصطحبت في تعبيره العبارة والإشارة، ليوضح من خلالهما أنّ الظلمة تأتي من جهة الشرق أول ما تأتي،وأنّ الليل يُقبل من تلك الجهة والناحية، فإذا جاء وأقبل فذلك وقت إفطار الصائم.

وهذه الإشارة والحركة من الناحية النفسية تعتبر عاملا نفسيا مهما يزيل الوسوسة التي قد تصيب المتحير الذي لم يتأكد من حلول الليل بعد، كما أنّها إيماءة توحي بالنظر إلى تلك الجهة والناحية، فجعل النظر إليها ورؤيتها مقياساً للتوقيت يعرف من خلاله متى يفطر الصائم ويحل الليل على الناس.

الإشارة الثانية والثلاثون: حساب وبيان.

٢٥٥١ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أ في حديثه .. " الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا- ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِى الثَّالِثَةِ ".([٤٥٠])

في تعبير النبي-صلى الله عليه وسلم-بالإشارة في هذا الحديث دلالات مهمة تُوضِّح وتُبيّن قدر وعدد أيام الشهر العربي وكيف تدور بين ثلاثين وتسع وعشرين؛فأطلق صلى الله عليه وسلم تلك الإشارة البيانية الموضحة التي يفهمها عنه كل الناس،قال الحافظ ابن حجر:"يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين يعني تمام الثلاثين أي أشار أولًا بأصابع يديه العشر جميعًا مرتين وقبض الإبهام في المرة الثالثة وهذا المعبر عنه بقوله تسع وعشرون وأشار مرة أخرى بهما ثلاث مرات وهو المعبر عنه بقوله ثلاثون".([٤٥١])

ومن الناحية النفسية كانت الإشارة تقريرًا وحلًا مُهماً في نفوس النَّاس لحالة من التردد تقع دائما للمسلمين إزاء الشهور التي تلقت بها عباداتهم ومعاملاتهم، فهي ذات دلالة حكمية ونفسية مهمة قال القاضي عيّاض رحمه الله: "في إشارته بيده

---

[٤٥٠] صحيح مسلم، كتاب الزكاة ١٢٢/٣، باب وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلاَلِ وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الْهِلاَلِ.

٤٥١- فتح الباري،٢٧٧/١.

إلى ثلاثين وتسع وعشرين حُجَّة الحكم بالإشارة،وأنّها تقوم مقام النطق في الطلاق والبيوع والوصايا وغيرها،ويدُّل على صحة الاعتداد بها".([٤٥٢])

الإشارة الثالثة والثلاثون:توضيح وبيان.

٢٥٩٣ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - في حديثه .. "لَيْسَ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا وَهَكَذَا - وَصَوَّبَ يَدَهُ وَرَفَعَهَا - حَتَّى يَقُولَ هَكَذَا". وَفَرَّجَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ.([٤٥٣])

إنّ حركة اليد التي قام بها النبي-صلّى الله عليه وسلم- في هذا الحديث إشارة واضحة مقصدها ومفادها التمييز بين الفجرين الأول والثاني حيث "صَوَّبَ يَدَهُ وَرَفَعَهَا"،وَفَرَّجَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ مشيراً بذلك إلى تباين الفجرين والفرق بينهما،قال القرطبيُّ رحمه الله: "والذي يطلع طويلًا هو المسمى: بالفجر الكاذب،وأمّا الفجر الصادق:فهو الذي أشار إليه النبي-صلى الله عليه وسلم-حيث وضع المسبِّحَة على المسبحة،ومدَّ يديه،وهو إشارة إلى أنّه: يطلع مُعْترضًا،ثم عمَّ الأفق ذاهبًا فيه عرضًا ويستطير؛أي : ينتشر".([٤٥٤])

ومن الناحية النفسية تعتبر هذه الحركة وهذا البيان الإشاري حافزاً مهماً يُزيل ما يخطر في النّفس من الوسوسة من ذلك الفجر الأول الكاذب، فمقتضى الإشارة والعبارة النبوية أن يلتفت إليه، ومن الناحية العاطفية كانت الإشارة توحي برحمته وشفقته صلى الله عليه بأمته وحبّه للخير والرفق بها،ذلك ما اقتضته دلالة الإشارة والعبارة، قال النووي رحمه الله:"فِي هَذا الْحَدِيث بَيَان الْفَجْر الَّذِي يَتَعَلَّق بِهِ الْأَحْكَام،وَفِيه أَيْضًا الْإِيضَاح بالْإِشَارَة لِزِيَادَةِ الْبَيَان فِي التَّعْلِيم".([٤٥٥])

الإشارة الرابعة والثلاثون:تجسيد وحكاية.

٤٥٢- إكمال المعلم للقاضي عيّاض،٨/٤.

[٤٥٣] - صحيح مسلم، كتاب الزكاة ١٢٢/٣، باب بَيَانِ أَنَّ الدُّخُولَ فِى الصَّوْمِ يَحْصُلُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ

٤٥٤- المفهم ١١٧/٩.

[٤٥٥] - شرح صحيح مسلم، للنووي،٢٠٤/٧.

٢٥٩٨-عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رضي الله عنه - في حديثه: "وَلاَ بَيَاضُ الأُفُقِ الْمُسْتَطِيلُ هَكَذَا حَتَّى يَسْتَطِيرَ هَكَذَا"،وَحَكَاهُ حَمَّادٌ بِيَدَيْهِ قَالَ يَعْنِى مُعْتَرِضًا.([٤٥٦])

إنّ الإشارة في هذا الحديث هي من قبيل الإشارة في الحديث السابق من حيث المضمون والشكل العام،فيُقال فيها مايُقال فيها فلا داعي لتكرار ما قيل من قبل، إلّا أنّ حمّاد بن زيد هو المشير هنا وقد حكى الإشارة بيديه،كأنّه يصف بذلك اعتراض الصبح في الأفق،ويقول لا يغرنكم هذاالبياض حتى يبرق الفجر أو ينفجر الفجر ويتضح وينتشر ضوءه،قال ابن رجب رحمه الله معلقاً على الحديثين معًا هذا والذي قبله: "وأمّا تفريق النبي-صلى الله عليه وسلم-بين الفجرين،فإنه فرّقَ بينهما بأنَّ الأول مستطيل،يأخذ في السماءِ طولاً؛ولهذامدَّ أصابعه ورفعها إلى فوق وطأطأها أسفل،والثاني مستطير،يأخذُ في السماءِ عرضاً،فينتشر عن اليمين والشمال".([٤٥٧])

الإشارة الخامسة والثلاثون:نداء.

٢٨٥٧ - عَنِ صَفْوَانَ بْن يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قال في حديثه: "فَأَشَارَ عُمَرُ بِيَدِهِ إِلَى يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ تَعَالَ".([٤٥٨])

في هذا الحديث إشارة أخرى من لغة الإشارة خاطب بها عمر الفاروق يعلى بن أمية رضي الله عنهما قاصداً منها تنبيهه على أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم-قد جاءه الوحي والجواب من الله-سبحانه وتعالى- على سؤاله الذي سأله فأشار إليه عمر: أن تعال لترى وتسمع الجواب، وفيها إيحاء من عمر رضي الله عنه إلى نفس السامع والرائي بأنّ النّبي-صلى الله عليه وسلم-عنده الجواب الشافي والكافي الّذي ينتظر، فهو حلاَّلُ عويصات المُعضلات والمسائل؛لأنّه مُرسل تَتَنزل عليه الأجوبة من لدن حكيم خبير، ولو تأخر الجواب قليلاً، إلّا أنّه سيأتي لا محالة، قال الحافظ ابن حجر: "فقال له عمر حينئذ تعال فانظر وكأنّه علم أنّ ذلك لايشق على النبي صلى الله عليه وسلم".([٤٥٩])

---

[٤٥٦] – صحيح مسلم، كتاب الصوم ١٢٢/٣، باب بَيَانِ أَنَّ الدُّخُولَ فِى الصَّوْمِ يَحْصُلُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ

[٤٥٧] – فتح الباري لابن رجب ٥١٨/٣.

[٤٥٨] – صحيح مسلم كتاب الحج ٢/ ٨٣٧، باب مَا يُبَاحُ لِلْمُحْرِمِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ وَمَا لاَ يُبَاحُ وَبَيَانِ تَحْرِيمِ الطِّيبِ عَلَيْهِ.

[٤٥٩] – فتح الباري لابن حجر،٣٩٦/٣.

الإشارة السادسة والثلاثون: ملاطفة.

٣٠٠٩ - عَنْ جَعْفَر بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِقال في حديثه: "فَنَزَعَ زِرِّي الأَعْلَى ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الأَسْفَلَ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَي".([٤٦٠])

أنّ الإشارة هنا عبارة عمّا قام به جابر بن عبد الله رضي الله عنه مع جعفر بن محمد رحمه الله حيث وضع كفه في صدره بين ثدييه في إشارة مفادها وغايتها التعبير عن فرحه به وترحيبه وتقريبه وتقديره له لقرابته من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ومن الناحية النفسية تعدّ إيماءة مهمة للحاضرين والسامعين بضرورة تقدير آل النّبي-صلى الله عليه وسلم-وتعظيمهم في نفوس الخاصة والعامة.

ومن النّاحية العاطفية كذلك كان لهذه الحركة بعدها العاطفي حيث تذكر جابر بن عبد الله حبيبه ومعلمه وقدوته،ومن دلالة هذه الإشارة ما ذكره النووي في تعليقه عليها قال النووي رحمه الله : "فِيهِ إِكْرَام أَهْل بَيْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،وَمِنْهَا مُلَاطَفَة الزَّائِر بِمَا يَلِيق بِهِ وَتَأْنِيسه ،وَهَذَا سَبَب حَلّ جَابِر زِرَّيْ مُحَمَّد بْن عَلِيّ وَوَضْع يَده عليه".([٤٦١])

الإشارة السابعة والثلاثون: حساب

٣٠٠٩ - عَنْ جَعْفَر بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ فِي حديثه: "فَقَالَ بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا".([٤٦٢])

إنّ الإشارة هنا تعبر عن المقصود والمراد حيث إنّ جابر بن عبد الله رضي الله عنه عقد بيده تسعة أصابع قاصداً عدد السنين التي مكثها النبي–صلى الله عليه وسلم- بالمدينة بعد مجيئه مهاجراً إلى المدينة لميحج فيها،وهذه الإشارة العددية وصفها السيوطي رحمه الله بقوله: "وهوالعقدالمشهوربأنّ تضم رؤوس الأنامل الثلاث الخنصر والبنصر والوسطى بوسط راحة كفه اليمنى وتضع رأس السبابة في أصل الإبهام"([٤٦٣]).

---

[٤٦٠] – صحيح مسلم، كتاب الحج ٣٩/٤، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم

[٤٦١] – شرح صحيح مسلم للنووي:،١٧٠/٨.

[٤٦٢] – صحيح مسلم، كتاب الحج ٣٩/٤، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم

[٤٦٣] – شرح سنن ابن ماجه للسيوطي:،٢٢١/١.

ومن الناحية النفسية تعتبر حركة مصاحبة للخبر الذي أخبر به جابر تعطي بعداً وإيحاءًا نفسيًا مهمًا مؤكدًا يفهمه السامع والرائي على حد سواء.
كما أنّها من الناحية العاطفية توحي كذلك بحب جابر للنبي-صلى الله عليه وسلم- وتتبعه له وإحصائه لسنته بالمدينة التي لم يحج فيها، وقبضه ليده على تلك المعلومة وذلك العدد بدقة متناهية وتفاصيل محققة لا يتطرق إليه الاحتمال أو النسيان.

الإشارة الثامنة والثلاثون: تلاحم.

٣٠٠٩ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ في حديثه: "فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الأُخْرَى".([٤٦٤])
إنّ الإشارة في هذه الحديث للتأكيد المعنوي والتمثيل الحسّي الذي حملته دلالتها وصورتها إلى القارئ والسامع والرائي على حد سواء،قال النووي رحمه الله: "الْمَقْصُود بِهَا بَيَان إِبْطَال مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّة تَزْعُمهُ مِنْ اِمْتِنَاع الْعُمْرَة فِي أَشْهُر الْحَجّ، وَبيان أنّ الْعُمْرَة دَخَلَتْ فِي أَفْعَال الْحَجّ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة"([٤٦٥]).
ومن الناحية النَّفسية كان لهذه الإشارة وقعها وتأثيرها فقد أزالت ما في نفوس الناس من امتناع العمرة في أشهر الحج، وأنهما متداخلان ومتشابكان اشتباك الأصابع، كما كان لها وقعها النفسي والعاطفي في ذلك الموقف العظيم والجم الغفير والجو الرباني الذي امتلأت منه النفوس هيبة وإجلالاً، قال الخطيب التبريزي: "فيه إشارة إلى اشتراك كل الأعوام في ذلك بدون اختصاص، ويدل عليه تشبيك الأصابع".([٤٦٦])

---

[٤٦٤] – صحيح مسلم، كتاب الحج ٣٩/٤، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم
[٤٦٥] – شرح صحيح مسلم للنووي:،١٦٥/٨.
[٤٦٦] – مشكاة المصابيح،٣٢/٩.

الإشارة التاسعة والثلاثون:تبليغ وإشهاد.

٣٠٠٩-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ قَالَ في حديثه:"فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ".([٤٦٧])

في هذا الحديث إشارة مهمة أطلقها رَسُولُاللَّهِ –صلّى الله عليه وسلم- تعبيراً دلالياً وتأكيداً بيانياً لتبليغه وأدائه الأمانة التي حمله الله تعالى إيّاها وأشهد الله رب العالمين والناس على ذلك، وأشار بسبابته إلى السماء وإلى الناس إيحاءًا وتعبيرًا عن ذلك،قال الخطيب التبريزي رحمه الله: "فقال بإصبعه أي أشار بالسبابة أي رافعًا إيّاها،وينكتها إلى الناس،أي يشير بها إليهم كالذي يضرب بها الأرض،والنكت ضرب رأس الأنامل إلى الأرض".(٤٦٨)

ومن الناحية النفسية والعاطفية كانت الإشارة إيماءة لكمال الدين وتمام الوحي وتبليغ الرسالة، ولهذا أثرت تأثير بالغا في أصحابه ومحبيه المصطفى صلّى الله عليه وسلم، ففهموا منها كل ذلك حين استشهدهم بأصبعه وقلبها مشيراً إليهم، قال النووي رحمه الله: "مَعْنَاهُ يُقَلِّبهَا وَيُرَدِّدهَا إِلَى النَّاس مُشِيرًا إِلَيْهِمْ"(٤٦٩).

الإشارة الأربعون:صرف نظر.

٣٠٠٩-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ في حديثه:"فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّل الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلّى الله عليه وسلم- يَدَهُ".([٤٧٠])

إنّ الإشارة في هذا الحديث من التعبير النبوي البليغ والبيان بلغة الإشارة التي قد تكون أبلغ من التعبير الكلامي والخطاب اللساني، حيث صرف وجه الفضل رضي الله عنه بيَده الشريفة ليصرف نظره خوفا عليه من الوقوع في الفتنة وما حرم الله عليه، ومن دلالة هذه الإشارة كذلك: تغييره للمنكر بيده الشريفة بطريقة لطيفة لا

---

[٤٦٧] صحيح مسلم، كتاب الحج ٣٩/٤، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم

١- مشكاة المصابيح،٥٣/٩.

٢- شرح صحيح مسلم للنووي،١٨٤/٨.

[٤٧٠] – صحيح مسلم، كتاب الحج ٣٩/٤، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم

عنف فيها ولا صخب، قال النووي رحمه الله "ووضع رسول الله-صلّى الله عليه وسلم-يده على وجه الفضل : إنّما كان خوفًا من الفتنة عليه".(٤٧١)
ومن النّاحية النّفسية والعاطفية كانت هذه الحركة إيحاء وإشارة إلى ضرورة صرف النّظر عن متع الدنيا وإيثار أمر الله، فطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف، والحكمة، والرفق، وأمر الله، والتغيير باليد،وجمع كل ذلك بإشارة من يده الشريفة.

الإشارة الحادية والأربعون:تحديد وتأكيد.

٣٤٠٧ - عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ:(أَهْوَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ).([٤٧٢])
في هذا الحديث الشريف إشارة توضيحية بيانيةتوكيدية،أطلقها النبي-صلى الله عليه وسلم-بيده الزكية الشريفة قاصداً بها مدينته الحبيبة المنورة،موضحاً بها مكانتها بين قرى ومدن الأرض كلها،مبيناَ هيبتها وحرمتها عند الله ورسوله.
ومن الناحية النفسية والعاطفية كان لهذه الإشارة وقعها وتأثيرها فقد ظلّ المسلمون يعظمون المدينة النبوية ويقدسونها ويحبونها ويقصدونها لجوار الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فظلت مكانتها وهيبتها ومكانتها تزداد على مر الليالي والأيام، كلُّ ذلك انطلاقا من دلالة ومعنى تلك الإشارة وتلك العبارة.

الإشارة الثانية والأربعون:تحديد وبيان.

٣٤٥٣-عنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري قال في حديثه:"فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ ثُمَّ قَالَ: "هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا".([٤٧٣])
في هذا الحديث النبوي إشارة لها مدلولها ، حيث عبّر بها النبي-صلى الله عليه وسلم-عن تعيينه وتأكيده للمسجد الذي أسس على التقوى حين سئل عنه، فأجاب بهذه الإشارة المصحوبة بالعبارة، فعبّر بتلك الحصباء وضرب الأرض بها عن تحديده

١- شرح صحيح مسلم للنووي، ١٩٠/٨.
[٤٧٢] - صحيح مسلم، كتاب الحج ١١٨/٤، باب التَّرْغِيبِ فِى سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى لأْوَائِهَا.
[٤٧٣] - صحيح مسلم، كتاب الحج ١٢٦/٤، باب بَيَانِ أَنَّ الْمَسْجِدَ الَّذِى أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى هُوَ مَسْجِدُ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- بِالْمَدِينَةِ.

وتعيينه لما سئل عنه، كما تعتبر تلك الضربة والحركة تأكيداً مهماً لذلك البيان والتعيين الذي أراده صلى الله عليه وسلم.
كما تعدّ من الناحية النفسية دليلاً مهماً له وقعه وأثره على السامع والمشاهد يقوي ويُؤكد في نفسه أنّ المسجد النبوي أوّل مسجد أسس على التقوى قال النووي رحمه الله: "هذا نصب أن المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن المسجد النبوي،وأمّا أخذه-صلى الله عليه وسلم-الحصباء وضربه في الأرض فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنّه مسجد المدينة".(٤٧٤)

الإشارة الثالثة والأربعون:زجر واعتراض.

٣٧٨٣-عَنْ الشَّعْبِيِّ رحمه الله قال في حديثه: "فَأَخَذَ الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ كَفًّا مِنْ حَصًى فَحَصَبَهُ بِهِ".([٤٧٥])

في هذا الحديث إشارة من نوع لغة الإشارة السابقة، حيث أخذ الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ كَفًّا مِنْ حَصًى فَرمى بِهِ الشعبي رحمهما الله تعالى، وتلك إشارة لها معناها، وذلك أنه حين داخله شك مما حدث به رماه بكف الحصباء ذلك، وكأنّه أراد بذلك الإنكار عليه أو تنبيهه للتثبت مما يحدث به، وكأنّه رأى أنّه مخالف لكتاب الله تعالى،أو أنه خطأ أو غلط منه أو من الصحابية رضي الله عنهم جميعا.

ومن الناحية النفسية والعاطفية كذلك كان لها من الدلالة ما لا يخفى حيث وقعت تلك الإشارة من السامع والرائي موقعا مهمًا يعني التثبت والتيّقن والتمحيص لما يريد الشعبي رحمه الله أو غيره التحديث به وبثه بين النّاس وتبليغه عن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا يتهاون ويتجرأ على التحديث بكل شيء عنه، فكان في ذلك زجراً وتهييبا وردعاً نفسياً مهماً.

الإشارة الرابعة والأربعون:طرح وصلح.

١- شرح صحيح مسلم للنووي،١٦٩/٩.

[٤٧٥] - صحيح مسلم، كتاب الطلاق، ١٩٨/٤، باب الْمُطَلَّقَةُ ثَلاَثًا لاَ نَفَقَةَ لَهَا.

٤٠٦٧ – عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قال في حديثه: "فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ".([٤٧٦])

هذه إشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة بيّنة مشيراً بها إلى صاحبه كعب بن مالك رضي الله عنه وطالباً من خلالها نقص النصف من دينه الذي يطالب به ابن أبي حدرد، حتى يتمكن الأخير من أدائه، وهي واضحة المعنى بينة الدلالة فيما ترمي إليه، ولهذا فهم كعب رضي الله عنه مقصد النبي صلى الله عليه وسلم ومراده منها، وهي من خطاب لغة الإشارة دون العبارة، قال القرطبيُّ رحمه الله:"فيه دليل: على أنّ الإشارة بمنزلة الكلام إذا فُهِمَت؛لأنّها دلالة على الكلام كالحروف والأصوات".(٤٧٧)

وهي من الناحية النفسية والعاطفية حركة وإشارة فيها إيحاء بالدعوة إلى الصلح والتقارب النفسي بينهما ولو اقتضى ذلك ترك شيء من المال بالنسبة لكعب مقابل واسطة وصلح الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم، ومقابل قبول ابن أبي حدرد لأداء دينه فوراً وبدون تأخير، فكانت إشارة صلح وحب وإخلاص، ولذلك استجاب لها كل منهما، "وهذا منه صلى الله عليه وسلم أمر على جهة الإرشاد إلى الصلح"(٤٧٨).

الإشارة الخامسة والأربعون:تأكيد وبيان.

٤١٣٩ –عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري قال في حديثه: "وأَشَارَ أَبُو سَعِيدٍ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ".([٤٧٩])

إنّ الإشارة في هذا الحديث الشريف إشارة تأكيد وبيان وتبليغ الخبر الذي نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان لا يتهم في شيء ذلك، ولكنه مع ذلك أشار بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى عَيْنَيْهِ وفي ذلك تأكيد وبيان لرؤيته وحضوره وسماعه للنبي-صلى الله

---

[٤٧٦] – صحيح مسلم، كتاب المساقاة ٣٠/٥، باب اسْتِحْبَابِ الْوَضْعِ مِنَ الدَّيْنِ

١– المفهم،٦٤/١٤.

٢– المصدر السابق ،٦٤/١٤.

[٤٧٩] – صحيح مسلم، كتاب البيوع ٤٢/٥، باب الرِّبَا.

عليه وسلم-حال روايته عنه، ومن دلالة هذه الإشارة كذلك تمام العلم والوعي والضبط والانتباه لما نقله. ([٤٨٠])

ومن الناحية النفسية فإنّ أبا سعيد-رضي الله عنه- أراد أن يقع هذا الحديث وما يتضمنه من الأحكام وضرورة تجنب الربا في المعاملات موقعاً بليغاً من نفوس النّاس حتى ينتبهوا للربا وخطورته، جامعاً بينَ القول باللسان والإشارة باليد، مخبراً بذلك عن تمام إدراكه بحواسه لما أخبر به ونهى عنه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الإشارة السادسة والأربعون: علاج شك.

٤٢٣٥ - عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قال في حديثه:"حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ في صَدْرِي".([٤٨١])

تعتبر الإشارة من التعبير النبوي البليغ حيث طَعَنَ النبي-صلى الله عليه وسلم- بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِ الفاروق-رضي الله عنه-حين راجعه كثيراً وألحّ عليه في شأن الكلالة، وقد وقعت الإشارة إلى القلب وعليه بالتحديد، لأنّه محل العلم والقبول،ومحل الشك والتردد والإدراك والانتباه وكل ذلك،قال القرطبي رحمه الله: "هذا الطَّعن مبالغة في الحث على النظر والبحث،وألّا يرجع إلى السؤال مع التمكُّن من البحث والاستدلال ليحصل على رتبة الاجتهاد،ولينال أجر من طلب فأصاب الحكم،ووافق المراد".([٤٨٢])

ومن الناحية النفسية كان في هذه الإشارة دلالة على زوال ما نفسه وقلبه من الشك والتردد.في هذا الأمر الذي رابه كثيرا واستغلق عليه، فأزالت تلك الإشارة والعبارة معاً ما بقي عالقاً في النّفس من شبهات، ومن حيث العاطفة فإن لمس يد وإصبع الحبيب-صلى الله عليه وسلم-وقربه وتعليمه ولطفه فيه من الرحمة وتنمية العاطفة ومنحها ما لا يخطر على بال ولا يدور بخيال،وظلت إشارة الحبيب وعبارته

---

[٤٨٠] – ينظر موسوعة التخريج، رقم الحديث ١٧٧٤٠.

[٤٨١] – صحيح مسلم، كتاب الفرائض ٦١/٥، باب مِيرَاثِ الْكَلاَلَةِ.

٤٨٢– المفهم،٣١/١٥.

تجول في صدره وخياله: "يَا عُمَرُ! أَلا يَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ ؟".(٤٨٣)

الإشارة السابعة والأربعون: جحود وعاطفة.

٤٥٣٣-عَنْ بن عُمَرَ قال في حديثه: "وَضَعُ الْفَتَى اليهودي الَّذِي يَقْرَأُ التوراة يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ" ...."فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ".([٤٨٤])

إنّ في هذا الحديث إشارتين اثنتين أولاهما من لغة إشارة اليد وهي: "وَضَعُ الْفَتَى اليهودي الَّذِي يَقْرَأُ التوراة يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ"،والثانية من لغة البدن العامة وهي كون اليهودي الذي رجم مع اليهودية كان: "يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ"، ففي الإشارة الأولى أراد الفتى اليهودي أن يخفي آية الرجم التي في التوراة من خلال وضع يده على موقعها من التوراة، لئلاً يطلع عليها النبي-صلى الله عليه وسلم-والحاضرون معه،ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن سلام عرف وأدرك مقصده ومراده، فأمره أن يرفع يده ليتضح الأمر وتتبين الآية التي أخفاها والتي فيها حكم الله،قال الخطابي رحمه الله:"أشار عليهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إلى ما كتموه من حكم التوراة ثم حكم عليهم بحكم الإسلام على شرائطه الواجبة فيه"(٤٨٥).

أمّا الإشارة الثانية فقد تجسدت في انحناء اليهودي على اليهودية ليقيها ببدنه وجسمه من رجم الحجارة التي تنهال عليهما من الرامين لها، فكلما رأى الحجارة مصوبة إلى جهة حاول التعرض لها بنفسه حتى لا تصل إليها، وفيها من العاطفة والحنو من اليهودي على اليهودية ما لا يخفى، حيث كان يفديها بنفسه ويموت دونها حتى آخر نفس ورمق.

٣- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك،١٨٤/٣.

[٤٨٤] - صحيح مسلم، كتاب الحدود ١٢١/٥، باب رَجْمِ الْيَهُودِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِى الزِّنَا.

١- معالم السنن، للخطابي:٣٢٦/٣.

الإشارة الثامنة والأربعون:كبر ونفاق.

٤٧٦٠- عَنْ أُسَامَةَ بْنَ قال في حديثه:"خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ"، ثُمَّ قَالَ لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا.([٤٨٦])

في هذا الحديث من لغة الإشارة إشارة فريدة وحيدة من نوعها فيما مر بنا من لغة الإشارة، وهذه الإشارة كما وصفها الراوي هي عبارة عن تغطية عبد الله بن أبي لأنفه بردائه حين مرّ النبي-صلى الله عليه وسلم-بالمجلس الذي هو فيه،وأمّا دلالتها فهي تدل في المقام الأول على الكبر وفساد الفطرة،وذلك أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم- كان أطيب ريحاً وعرفا من المسك الذكي بل كان عرقه أطيب من كل مسك.

ولا شك أنّ هذه الإشارة لها أبعادها النفسية ودلالتها العاطفية فمن أبعادها النفسية: الكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس، فلا يرى ابن أبي إلا نفسه ونفسه وحده،ومنها امتلاء نفسه وروحه بالحقد والضغينة على الإسلام وأهله ودعواه العزة والكرامة الزائفة الكاذبة،ومن الناحية العاطفية كانت عاطفة ابن أبي جافة يابسة كالصفوان لا تتأثر بما يؤثر في النفوس من المواقف أو العلاقات والإحسان أو الروائح الزكية بحال،ولو أسلم أبناؤه وبناته وعشيرته، فإنّه باقٍ على كفره ونفاقه وشقاقه، كما أنّ حركاته واختياره ينبئ عن سوء ذوقه وفساد طويته وخبث سريرته، كل ذلك جعله يغطي أنفه المرغمة عمّا مرّ بمجلسه من رائحة الإيمان والخير واليمن والبركة، فجاءت تلك الحركة والإشارة تعبيراً وافياً كافياً عن باطن هذا المنافق الموتور الذي منعه الحسد والحقد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الانقياد للحق،والإسلام لله رب العالمين.(٤٨٧)

الإشارة التاسعة والأربعون:إزالة لبس.

٤٧٦٩-عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ قَالَ في حديثه:" كَذَبَ مَنْ قَالَهُإِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ". وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ.([٤٨٨])

في هذا الحديث جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين إصبعيه في إشارة تعبيرية من لغة الإشارة المبينة المؤكدة أراد النبي صلى الله عليه وسلم من خلالها أن يؤكد

---

[٤٨٦] – صحيح مسلم، كتاب المغازي ١٢١/٥، باب فِى دُعَاءِ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى اللَّهِ وَصَبْرِهِ عَلَى أَذَى الْمُنَافِقِينَ.

١– منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص٢٢.

[٤٨٨] – صحيح مسلم كتاب المغازي ١٨٥/٥، باب غَزْوَةِ خَيْبَرَ.

الأجرين الذين صرح بهما في صريح الكلام، فجاءت الإشارة بالجمع بين الإصبعين ليبين من خلالها أن ذينك الأجرين اجتمعا لعامر بن الأكوع رضي الله عنه في آن واحد،وفي قرن النبي-صلى الله عليه وسلم-بين إصبعيه إيحاء نفسي مهم للناس عامة، وخاصة الذين زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ، فجاءت الإشارة من النبي-صلى الله عليه وسلم-مصحوبة بالعبارة لتأكد وتبيّن بما لا يترك مجالًا للشك، وتزيل ما نفوس العامة والخاصة، فهي إيماءة وحركة لطيفة من يده الشريفة الزكية، لها وقعها في نفوس الناس ومدلولها في ضمائرهم وواقع حياتهم، قال بدر الدين العيني رحمه الله "قوله إنّ له لأجرين هما أجر الجهد في الطاعة وأجر المجاهدة في سبيل الله واللام فيه للتأكيد".(٤٨٩)

الإشارة الخمسون:تبليغ وتنفير.

٤٨٤٥-عَنْ أَبِي حُمَيْدٍالسَّاعِدِي قَالَ في حديثه:"ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رئي بَيَاضُ إِبْطَيْهِ".([٤٩٠])

إنّ الإشارة التي في هذا الحديث الشريف بيّنة الدلالة واضحة المعنى وهي عبارة عن رفع النبي-صلى الله عليه وسلم- ليديه إلى السماء متجهًا إلى ربه ليشهد الله والنّاس على تبليغ ما أمر به معلنًا ذلك للناس، ومؤكداً له حتى ظهر بياض إبطيه من رفعه ليديه،قال الحافظ بن حجر رحمه الله: "والمراد-يعني من هذه الإشارة- بلغت حكم الله إليكم امتثالًا لقوله تعالى له بلغ،وإشارة إلى مايقع في القيامة من سؤال الأمم هل بلغهم أنبياؤهم ماأرسلوا به إليهم"([٤٩١])

ومن الناحية النفسية تعتبر هذه الإشارة المصاحبة لهذا الأسلوب ترهيباً للنَاس من أكل الحرام والتجرؤ عليه، وتنفيراً من مثله، ولهذا بقي الموقف ماثلاً أمام الراوي يرويه كما هو، ويصفه كما شاهده وعاينه فيقول إنّه بَصُرَته عينه وَسَمِعَته أذنه تأكيداً على ضبطه له وتمام تذكره،قال النووي رحمه الله:"مَعْنَاهُ: أَعْلَم هَذَا الْكَلَام

٢- عمدة القاري ،٤٩،٢٦.

[٤٩٠] - صحيح مسلم، كتاب الإمارة ١٢١/٥، باب تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ.

[٤٩١] - فتح الباري لابن حجر،١٦٦/١٣.

يَقِينًا وَأَبْصَرَتْ عَيْنِي النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حِين تَكَلَّمَ بِهِ،وَسَمِعَتْهُ أُذُنِي،فَلَا شَكّ فِي عِلْمِي بِهِ"([٤٩٢])

الإشارة الحادية والخمسون:تحمس.

٥٠٢٢-عَنْ جَابِرً بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ في حديثه:"فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ في يَدِهِ" ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.([٤٩٣])

جاءت الحركة والإشارة في هذا الحديث كما وصفها الراوي معبرة ومبينة، توحي بكثير من المعاني، كما أنّها ذات أبعاد نفسية وعاطفية مهمة،فالإشارة هنا عبارة عن إلقاء التمرات وقذفه بها حتى لا تشغله عن لقاء العدو والنزال معه، كما أنّها توحي بزهده في الدنيا وما يتعلق بها، وتشير إلى قطع العلاقة مع كل فان زائل ورميه والبحث عن الخلود وثمار الجنة.

كما أنّها تدل من الناحية النفسية على قوة شجاعته وبطولته ورباطة جأشه وإيمانه وتصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن الناحية العاطفية فيها دلالة على حب عمير رضي الله عنه لدينه وحبيبه صلى الله عليه وسلم، ورغبته فيما عند ربه، قال الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله: "في هذا الحديث: دليل على مبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الأعمال الصالحة وأنهم لايتأخرون فيها وهذا شأنهم ولهذا كانت لهم العزة في الدنيا وفي الآخرة"(٤٩٤).

---

[٤٩٢] – شرح صحيح مسلم للنووي، ٢٢١/١٢.

[٤٩٣] – صحيح مسلم، كتاب المغازي ١٢١/٥، باب تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ.باب ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ.

١– شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين:١٠٧/١.

الإشارة الثانية والخمسون: مد وجزر.

٥١٤٦-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ في حديثه:"فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَدَهُ".([٤٩٥])

في هذا الحديث الذي بين أيدينا إشارتان اثنتان تعبران بتعبيرين مختلفين في المعنى:الأولى منهما تجسدت في مد النبي صلى الله عليه وسلم يده إلى الطعام، حيث صوب يده اليمنى نحوه، قاصداً التناول منه، قبل أن تتبين له حقيقته وأنه لحم ضب مشوي، وهذه الصورة معروفة عند الناس، إلّا أنّه صلى الله عليه وسلم أرقى وأسمى أدباً ووقاراً وتواضعاً، وإذا أردنا سبرها وما تدل عليه لن نأتي بشيء من حقيقتها لما تدل عليه من مزايا وأخلاق وقيم يحملها صاحبها صلى الله عليه وسلم، إلا أنّها تدل على تواضعه حيث يأكل كما يأكل الناس ومع أصحابه مما قدم إليه، فلا يخص نفسه بشيء، وأمّا الإشارة الثانية فإنّها تجسدت في رفعه صلى الله عليه وسلم ليده ورده لها عندما علم بحقيقة اللحم وأنه لحم ضب، وهي حركة وإشارة توحي بتركه لذلك اللحم، وتدل على أنه يعافه ويكرهه بطبعه، قال الحافظ بن حجر رحمه الله: "فيه أنّ الطباع تختلف في النفور عن بعض المأكولات"(٤٩٦).

ومن الناحية النفسية فقد تأثر جلساؤه صلى الله عليه وسلم برفعه ليده فتعجبوا حتى سألوه أحرام هو فأجابهم بحليته وعلل لهم رفعه ليده وتركه الأكل.(٤٩٧)

٣-صور حركة إشارة اليد واتجاهاتها:

أ-أفعال الإشارة الدالة على اتجاه اليد إلى أسفل:

تتميز أفعال الإشارة الدالة على الاتجاه إلى الأسفل باشتراكها في ثلاثة مظاهر دلالية أساسية كسابقتها وهي: الحركة، والانتقال، والاتجاه إلى أسفل، ثم تأتي إلى جانب ذلك مظاهر دلالية أخرى للتمييز بين كل فعل من أفعال هذه المجموعة، وفيما يلي

---

[٤٩٥] – صحيح مسلم، كتاب المغازي ٦٧/٦، باب إِبَاحَةِ الضَّبِّ.

٢– فتح الباري لابن حجر ٦٦٧/٩.

٣– المصدر السابق ،٦٦٧/٩.

مسرد بالأفعال الدّالة على حركة اليد واتجاهها إلى أسفل وهي:(وَضَعَ:"ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ"،رمى:"فرماني الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ"،صوب:"صَوَّبَ يَدَهُ وَرَفَعَهَا"،أهوى:"أَهْوَى رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ"،ألقى:"فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ"([٤٩٨])

ب-أفعال الإشارة الدالة على اتجاه اليد إلى أعلى:

تتميز أفعال الإشارة الدالة على الاتجاه إلى أعلى باشتراكها في ثلاثة مظاهر دلالية أساسية هي: الحركة، والانتقال، والاتجاه إلى أعلى، ثم تأتي إلى جانب ذلك مظاهر دلالية أخرى للتمييز بين كل فعل من أفعال هذه المجموعة، وفيما يلي مسرد بالأفعال الدّالة على حركة اليد واتجاهها إلى أعلى وهي:(رفع:"فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ"،عَقَدَ:"ثمّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ،فرّج:"إِذَا صَلَّى فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ،مدّ:"ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ").([٤٩٩])

ج-أفعال حركة اليد الإشارية الدالة على الذهاب:

تتميز أفعال الإشارة الدالة على الذهاب باشتراكها في ثلاثة مظاهر دلالية أساسية هي: الحركة، والانتقال، والذهاب، ثم تأتي إلى جانب ذلك مظاهر دلالية أخرى للتمييز بين كل فعل من أفعال هذه المجموعة، وفيما يلي مسرد بالأفعال اليدوية والدالة على الذّهاب وهي: (ذهب:"أعطاني نَعْلَيْهِ وقال: اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ"،دَفَعَ: "فَدَفَعَ فِي نَحْرِهِ... فَعَادَ فَدَفَعَ فِي نَحْرِهِ أَشَدَّ مِنَ الدفعة الأُولَى"،فرّج: "إِذَا صَلَّى فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ"،أخذ:" ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي"،مد:"ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ"،بسط:" فَبَسَطَ يَمِينَهُ ").

د-أفعال حركة اليد الإشارية الدالة على الجمع:

تتميز أفعال الإشارة الدالة على الجمع باشتراكها في ثلاثة مظاهر دلالية أساسية هي: الحركة، والانتقال، والإياب، ثم تأتي إلى جانب ذلك مظاهر دلالية أخرى للتمييز بين

---

[٤٩٨] – سبق تخريجه

[٤٩٩] – سبق تخريجه

كل فعل من أفعال هذه المجموعة، وفيما يلي مسرد بالافعال اليدوية الدّالة على الجمع وهي:(أدخل:"فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً"،(قبض:" فَقَبَضْتُ يدي"،جَمَعَ:"وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ،نكت:"يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ").(٥٠٠)

هـ-أفعال وصور إشارية عامة ومختلفة الدلالة:

تتميز أفعال الإشارة الدالة على مطلق الإشارة وعمومها باشتراكها في ثلاثة مظاهر دلالية أساسية هي: الحركة، والانتقال، والدلالة على الإشارة ، ثم تأتي إلى جانب ذلك مظاهر دلالية أخرى للتمييز بين كل فعل من أفعال هذه المجموعة، وتحتوي هذه المجموعة على مجموعة الأفعال اليدوية ذات التعبيرات الدلالية المختلفة:(أعطى:"أعطاني نَعْلَيْهِ...."،ضَرَبَ:"فضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ"،أَشَارَ:"أَشَارَ النبي صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ،قال:"يَكْفِي كَأَنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا"،غَمَزَ:"فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي"،اختلف:"أَنْظُرُ إِلَى اخْتِلاَفِ أَصَابِعِ"،رأى:"حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ"،حكى:"وَحَكَاهُ حَمَّادٌ بِيَدَيْهِ قَالَ يَعْنِي مُعْتَرِضًا"،شبك:"فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم"،حصب:"كَفًّا مِنْ حَصًى فَحَصَبَهُ بِهِ"،طَعَنَ:"حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي"،خَمَّرَ:"خَمَّرَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ").([٥٠١])

٤-أهم مظاهر الحركة الإشارية:

إن لكل حركة من حركات الإشارة مظهرها وبعدها الدلالي الذي تحدد من خلاله، وإن تتبع ذلك ومعرفته هي التي تساعد على فهم معنى تلك الإشارة ودلالتها ، كما تساعد على تحديد الألفاظ المعبرة عن مجالها المحدد لها، ومن أهم مظاهر تحديد الحركة:

١- الفراغ الذي تتم فيه الإشارة:

ونعني بذلك الحيز الذي تتم فيه الحركات بمعنى أن جميع الحركات تتم في حيز من الفراغ، والفراغ هنا نوعان: فراغ خاص يقصد به الفراغ المتاح للجسم في الموقف

---

[٥٠٠] – سبق تخريجه

[٥٠١] – سبق تخريجه

السكوني، ويكون هذا في الحركات الموضعية، مثل: الالتفات والإيماء، والقبض والبسط ونحوه. والنوع الثاني: الفراغ العام، وهو كل المساحة التي يتحرك خلالها الجسم لإتمام حركته، "ويكون هذا في الحركات الانتقالية التي يقوم مظهر المسافة فيها بدور بارز في تحديد معناها مثل: الذهاب والإياب والدخول والخروج ونحوه"([٥٠٢]).

٢-الاتجاه، أو المسار:

يعتبر اتجاه الإشارة أومسارها مظهرا ذو دور كبير ومهم في تحديد العديد من الإشارات وتمييزها، وذلك من خلال تحديد اتجاه حركة الجسم المتحرك؛ فقد تكون الإشارة متجهة إلى أعلى أو أسفل، أو إلى الأمام أو الخلف، أو قد تكون دالة على الذهاب أو الإياب؛ فمثلاً الأفعال: ، ذهب، دخل،أَقْبَلَ، يكون مظهر الاتجاه ، هو المميز الدلالي في تحديد معناها وما ترمي إليه، كما أن مسار الإشارة يعد مظهرا مكملاً لمظهر اتجاهها إذ يقوم المسار بالتمييز بين حركات الإشارة المستقيمة وحركاتها المنحنية.

٣-السياق:

إن سياق الإشارة يعتبر مظهرا مهما كذلك حيث يتضح من خلاله أن معنى المفردة مرهون بوضعها في سياقها الذي تأتي فيه، سواء كان هذا السياق لغويا أم غير لغوي.

٤-القوة:

كما أن نوع الحركة الإشارية ومقدارها وسياقها يعتبر من أهم مظاهرها الدلالية، فكذلك قوتها وتأثيرها هي الأخرى عامل مهم ومؤثر في نوع الإشارة ودلالتها، فهناك إشارات قوية تحتاج إلى طاقة وتوكيد وجهد أكبر مما تحتاجه الإشارات الضعيفة، فبمظهر القوة يكون التمييز بين بعض أفعال الإشارات ودلالاتها، مثل: ضرب، جذب، ونزع. ، وكل المظاهر التي ذكرنا تتضح وتتبين من التتبع والتحليل للدلالات والمظاهر والإيحاءات والإيماءات

٥٠٢- الأبعاد الدلالية في أفعال الحركة، عبدالله الغزال، ص٣٤.

ثانياً: لغة العين:

تعتبر العين الباصرة عبر تاريخ البشرية محل اهتمام وعناية الإنسان في كل زمان ومكان،ذلكأنها من أهمأعضاء الجسد عملاوجمالية، ولأنها البوابة إلى القلب، فهي تنبئ عما يضمر داخل الإنسان من خلجات ومشاعر، فما كان في القلب ظهر في العين.

تقول الدكتورة وسمية المنصور إن "الرؤية البصرية تكشف من مدلولات الرسائل ما لا تفي به الألفاظ، فقد بيّنت الأبحاث العلمية أنّ ٨٧%من محتوى الرسالة تنتقل إلى الآخرين عبر البصر. فمشاهدة المتكلم تتيح متابعة تقلصات عضلات الوجه وما يصاحبها من شد وبسط متوافق مع جرس الصوت ومحتوى دلالة اللفظ"، ويعول ابن جني كثيرا على عامل المشاهدة فينقل عن أحد مشايخه:"أنا لا أحسن أن أكلم إنساناً في الظلمة"([٥٠٣]).

و"للتبادل البصري ضوابط توجه الأداء الحركي، منها ما يتعلق بأطراف الحديث ونوع العلاقة بينهما رسمية أم حميمة، والمستوى الاجتماعي والثقافي لهما، ومنها ما يرتبط بمكان الحديث، وتتعالق آلة النظر بفعلها وِفاقاً لغايات فاعلها، ففعل المشاهدة يعزز العملية الاتصالية، والنظر إلى المتحدث يكمل ما تقصر عنه الكلمات، فالحواس تعمل معاً في الموقف اللغوي، ولابُدّ من تلّقي العمليتين معاً: السماع والرؤية، حتى يتحقق التفاعل بين المرسل والمستقبل. فإظهار الوجد تكشفه نظرة العين فالصب تفضحه عيونه".([٥٠٤])

أ-أفعال البصر والرؤية (نظر):

تفرق اللغة بين مستويات النظر وِفاقاً لآلته، فيذكر الثعالبي الفروق الدلالية بين أفعال كثيرة كرَمَقَ ولحَظَ وحَدَجَ وأَرْشَقَ، كما يستعرض في مدونته أفعال التي

٥٠٣- الاتصال الخطابي غير المنطوق في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٣، وينظر: الخصائص١/٢٤٧،

٥٠٤ - المصدر السابق ص٣

الرؤية التي تقترن بفعل الرُؤية" فنظر، وأبصر، ورأى، ورنا ، وغيرها منْ أمهات هذا الباب، وما يرافقها ويتنج عنها من أفعال تنحو منحاها وتدل عليها كاسْتَكَفَّهُ، واسْتَوْضَحَهُ واسْتَشْرَقَهُ، وغيرها".([٥٠٥])

ب-معنى كلمة نظر من المعجم"لسان العرب".

النظر:حس العين نظره ينظره نظرا ومنظرا ومنظرة ونظر إليه، والمنظر : مصدر نظر، تقول نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب،وقد نظرت إلى الشيء، والنظارة:القوم ينظرون إلى الشيء،أي يرونه،والنظر:تأمل الشيء بالعين ورؤيته ومشاهدته،ومنه قوله-عز وجل: "وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ"([٥٠٦])،أي وأنتم تشاهدونهم يغرقون،والنظر والتناظر:التقابل فالعرب تقول:داري تنظر إلى دار فلان، ودورنا تناظر أي تقابل،والنظر:الانتظار.يقال:نظرت فلانا وانتظرته بمعنى واحد،ومنه قول عمرو بن كلثوم : ([٥٠٧])

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

والنظر كذلك:الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك، والنظرة:اللمحة بالعجلة،ومنه قول النبي-صلى الله عليه وسلم- لعلي:"لا تتبع النظرة النظرة "([٥٠٨])،ونظر الدهر إلى بني فلان فأهلكهم ، والعرب تقول: انظرني أي اصغ إلي، ومنه قوله-عزّ وجل-:"وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا"([٥٠٩])،والنظرة:الرحمة.ومنه قوله تعالى:"ولا ينظر إليهم يوم القيام "([٥١٠])،أي لا يرحمهم.ومن هذا المعنى حديث:"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم"([٥١١])،قال ابن الأثير:"معنى النظر هاهنا

٥٠٥- فقه اللغة،١/٣٧٠.

٥٠٦- البقرة:الآية٥٠.

٥٠٧- لسان العرب،٥/٢١٥.

٥٠٨- سنن أبي داود،٢/٢١٢.

٥٠٩- البقرة:الآية١٠٤.

٥١٠- البقرة:الآية٧٧.

٥١١- صحيح مسلم، كتاب الآداب ١١/٨، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ.

الإحسان والرحمة والعطف لأن النظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة وميل الناس إلى الصور المعجبة والأموال الفائقة،والنظر يقع على الأجسام والمعاني،فما كان بالأبصار فهو للأجسام،وما كان بالبصائر كان للمعاني"([٥١٢]).

فعل النظر ومشتقاته في صحيح مسلم:

ترد مادة نظر ومشتقاتها في الأحاديث النبوية في صحيح مسلم تارة بالمعنى المجازي وتارة أخرى بالمعنى الحقيقي، ومن هنا لابد أن نعرج على المعنيين الذين يتحدان بالحروف ولكنهما يختلفان في الصور والمعاني، وقد حاولت حصرها بجميع صورها ومعانيها من صحيح مسلم، فوجدت أن فعل نظر بمادته وصيغه قد ورد ٢٠٦ مرة في صحيح مسلم، فحذفت المكرر منها واكتفيت بالنماذج المعبرة عن مختلف الصيغ والدلالات وتطرقت إلى تلك المعاني بالاعتماد على السياق وعلى معجم لسان العرب لابن منظور،وعلى كتاب المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي رحمهما الله، وقسمت النظر إلى تسعة أنواع مستعينة بالله تعالى، فما كان صواباً فمن الله وما كان خطأً فمن نفسي والشيطان.

صور إشارة العين وأغراضها:

تعتبر إشارة العين من أغنى الإشارات معنى ودلالة حيث توحي للرائي أو المتلقي بإيحاءات دلالية مختلفة حسب المقام والهيئة،أو السياق والهدف،فالنظرة كما بيّنا في تقسيماتها المختلفة تتعدد أغراضها ومضامينها،وتتباين أنواعها وصورها،وهذا ماسنورد أمثلة وشواهد منه وذلك من خلال نماذج من الأفعال الدالة على نظرة العين المختلفة من أحاديث صحيح مسلم رحمه الله،وهي:

٥١٢- النهاية في غريب الأثر،٥/١٧١.

(نَظَرْتُ):فَنَظَرْتُ فَإِذَا حِمَارُ (2908) .(نظَرْتُ):نَظَرْتُ إِلَى أَبِى جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ(4668).(نَظَرْتُ): وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا(4719).(يَنْظُرُ) فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى (7512).(نَظَرْتُ):فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَد انْصَرَفَ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ (2826).(نَظَرَ) :نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم(4687).(نَظَرْتُ) :فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لفي مِثْلِ الإِكْلِيلِ(2117).(نَظَرْتُ) :حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى(796).(أَنْظُرُ) :وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ– شَقِّ الْبَابِ(2204).(تَنْظُرُ)لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ طَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ(5765). (تَنْظُرُونَ) :مَاشَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ (3009).(يَنْظُرُ) :فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ(1227).(أَنْظُرُ) : حَتَّى مَاأَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا(3575).(يَنْظُرُ) :مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ(1397).(نَظَرْتُ) : فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ (4754).(يَنْظُرُ) :وَلاَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَيُزَكِّيهِمْ(306).(يَنْظُرُ) :فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ(6931).(نَظَرَ) :أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ مُجَزِّزًا نَظَرَ آنِفًا(6770).

هذه الأفعال الموزعة على النظر بمختلف سياقاته ودلالاته،قد شمل تعددامن الإشارات،حيث وردت في تسعة أغراض متفاوتة هي :النظرة اللمّاحة والالتفات،والنظرة شاملة لأخذ فكرة عامة،أو معرفة حال ما،بالإضافة إلى نظرة التجسس واختلاس النظر،ثم نظرة الإعجاب والإكبار،وكذلك التعرّف والاستكشاف،ونظرة أخرى تدل على كف النظر من الغضب وعدم الرضا،وأخيرًا نظرة التفحص والتمعين ونبدأ في بيانها والكلام عليها.

الإشارة الأولى: الإشارة اللمّاحة.

٢٩٠٨ - عَنْ أَبِى قَتَادَةَ قال في حديثه:"فَنَظَرْتُ فَإِذَا حِمَارُ وَحْشٍ".([٥١٣])

إنّ النظرة الإشارة في هذا الحديث نظرة إلماح، حيث نظر أبو قتادة رضي الله عنه فلمح ببصره حمار الوحش، وهي نظرة لمح ولحظ عابرة ليس فيها تركيز ولاطول تأمل.فهي نظرة فجائية، ولهذا قال "فإذا أنا بحمار وحش".

[٥١٣] – صحيح مسلم، كتاب الحج ١٤/٤، باب تَحْرِيمِ الصَّيْدِ لِلْمُحْرِمِ.

٤٦٦٨ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قال في حديثه: فَلَمْ أَنْشَبْ:"أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ".([٥١٤])

هذه النظرة من عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كسابقتها وهي لمح منه لأبي جهل يجول على فرسه أثناء الحرب يوم بدر، وهي نظرة إلماحة سريعة،قال النووي رحمه الله: "معناه لم ألبث"(٥١٥).

٤٧١٩ - عَن إِيَاس بْن سَلَمَةَ عن أبيه قال في حديثه:"وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى".([٥١٦])

تُعتبر هذه نظرة أخرى من النّظرة اللماحة المفاجئة أطلقه سلمة حيث لمح القوم وهم طالعون من الثنية بطريقة فجائية خاطفة.

الإشارة الثانية:الالتفات.

٧٥١٢- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ في حديثه:"فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ".([٥١٧])

هذه أيضا تعتبر نظرة التفات حيث وصف النبي صلى الله عليه وسلم الواقف بين يدي ربه أنه يلتفت ذات اليمين وذات الشمال.

الإشارة الثالثة:نظرة شاملة لأخذ فكرة عامة أو معرفة حال ما.

٢١١٧-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَفيحديثه: "فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لفي مِثْلِ الإِكْلِيلِ".([٥١٨])

---

[٥١٤] – صحيح مسلم كتاب المغازي ١٢٨/٥، باب اسْتِحْقَاقِ الْقَاتِلِ سَلَبَ الْقَتِيلِ.

[٥١٥]– شرح صحيح مسلم للنووي:،٦٢/١٢.

[٥١٦] – صحيح مسلم كتاب المغازي ١٦٩/٥، باب فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ.

[٥١٧] – صحيح مسلم كتاب الصدقة،٣ /٨٦، باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ.

هذه نظرة عامة شاملة ألقاها أنس رضي الله عنه على المدينة حين استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهلها فدار بها السحاب وطوقها وأحاط بها فعبّر عنها بهذا التعبير.

٢٨٢٦-عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدري - رضى الله عنه - قَالَ فِي حديثه:"فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدِ انْصَرَفَ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُبْتَلٌّ طِينًا وَمَاءً".([٥١٩])

هنا ينظر أبو سعيد- رضي الله عنه- نظرة بان له من خلال البلل من الطين والماء على وجه الحبيب صلى الله عليه وسلم، وكانت نظرة شاملة أدرك من خلالها الطين والماء وتأكد من ماهيتهما.

٤٦٨٧ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فِي حديثه: "نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ".([٥٢٠])

هذه النظرة كذلك في هذا الحديث من النظرة العامة، حيث ألقى عمر رضي الله الله عنه ناظريه إلى المشركين واستطاع أن يحزر عددهم ويقدرهم بالألف من خلال تلك النظرة الشاملة.

الإشارة الرابعة:التجسس واختلاس النظر.

٧٩٦-عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ فِي حديثه:"حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى".([٥٢١])

هذه نظرة اختلاس من بني إسرائيل، حيث استرقوا النظر إلى سوءة نبيهم موسى عليه السلام، فهي نظر تجسس واختلاس.

---

[٥١٨] – صحيح مسلم كتاب الصلاة،٣ /٢٥، باب الدُّعَاءِ فِى الإِسْتِسْقَاءِ.

[٥١٩] – صحيح مسلم كتاب الصوم ١٧١/٣، باب فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِهَا وَبَيَانِ مَحِلِّهَا وَأَرْجَى أَوْقَاتِ طَلَبِهَا.

[٥٢٠] – صحيح مسلم كتاب المغازي ١٥٦/٥، باب الإِمْدَادِ بِالْمَلاَئِكَةِ فِى غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ.

[٥٢١] – صحيح مسلم ٩٩/٧، باب مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى –صلى الله عليه وسلم–.

٢٢٠٤-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت في حديثها: "وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ" -(شَقِّ الْبَابِ).([٥٢٢])

هذه كذلك نظرة اختلاس وحياء من عائشة رضي الله عنها، حيث كانت تختلس النظر من صائر الباب، قال الخطيب التبريزي:"أي تريد عائشة بصائر الباب: شق الباب بفتح الشين المعجمة أي الموضع الذي ينظر منه".([٥٢٣])

٥٧٦٥-عَنِ سَهْل بْن سَعْدٍ الأنصاري قَالَ في حديثه:"لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ طَعَنْتُ بِهِ في عَيْنِكَ".([٥٢٤])

إنّ هذه النظرة المتحدث عنها هنا تعتبر نظرة تجسس واختلاس، وهي غير مسموح بها وغير مأذونة شرعاً لأنها من نظر وتتبع عورات الناس، وإطلاق البصر في المحرمات ولهذا قال نبي صلى الله عليه وسلم فيها هذا الكلام.

الإشارة الخامسة:نظرة تنبيه وإشارة وتلميح لشيء ما.

١٢٢٧-عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيّ قَالَ في حديثه: "مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ".([٥٢٥])

هذه نظرة تنبيه واستغراب أطلقها بعض الصحابة إشارة وإنكارا على مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ حين شمت للعاطس أثناء الصلاة، فاستغربوا منه ذلك ولمّحوا له بعدم مشروعية ذلك، ليستغرب هو كذلك الأمر منهم، فكانت نظرة تنبيه واستغراب.

---

[٥٢٢] – صحيح مسلم كتاب الجنائز ٤٥/٣، باب التَّشْدِيدِ فِى النِّيَاحَةِ.

[٥٢٣] – مشكاة المصابيح،٩٨٣/٥.

[٥٢٤] – صحيح مسلم كتاب الآداب ١٨١/٦، باب تَحْرِيمِ النَّظَرِ فِى بَيْتِ غَيْرِهِ.

[٥٢٥] – صحيح مسلم كتاب الآداب ٧٠/٢، باب تَحْرِيمِ الْكَلاَمِ فِى الصَّلاَةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ.

الإشارة السادسة:نظرة إعجاب.

٣٠٠٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال في حديثه: "فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ".([٥٢٦])

هذه نظرة إعجاب وتعلق حيث صوَّب الْفَضْلِ نظره إلى النساء اللواتي مررن به، فأعجب بهن فكرر النظر إليهن مما جعل رَسُول اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- يضع يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ بن العباس،ولم يترك له فرصة النظر إليهن،قال الحافظ ابن حجر:"فعله في ذلك أبلغ في النهي من القول،ولعلّ الفضل لم ينظر إليهن نظرًا ينكره النبي-عليه السلام-فإنّما خشي فتنة بعضهم لبعض أو كان هذا قبل نزول الآية بإدناء الجلابيب عليهن".(٥٢٧)

٣٥٧٥- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ في حديثه:"عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذَكَرَهَا".([٥٢٨])

هذه كذلك مثل سابقتها نظرة إعجاب وإجلال من زيد بن حارثة رضي الله عنه حيث ما استطاع أن إلى زينب لشدة إجلاله وتعظيمه لها حين علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها،قال النووي رحمه الله:"معناه أنّه هابها واستجلها من أجل إرادة النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها فعاملها معاملة من تزوجها صلى الله عليه وسلم في الإعظام والإجلال والمهابة"(٥٢٩).

الإشارة السابعة:التعرّف والاستكشاف.

١٣٩٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ في حديثه:"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا".([٥٣٠])

---

[٥٢٦] – صحيح مسلم، كتاب الحج ٣٩/٤، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم.

[٥٢٧]– إكمال المعلم،١٥١/٤.

[٥٢٨] – صحيح مسلم، كتاب النكاح، ١٤٨/٤، باب زَوَاجِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَنُزُولِ الْحِجَابِ وَإِثْبَاتِ وَلِيمَةِ الْعُرْسِ.

٥٢٩– شرح صحيح مسلم للنووي:،٢٢٨/٩.

[٥٣٠] – صحيح مسلم، كتاب النكاح، ٣٣/١، باب بَيَانِ الإِيمَانِ الَّذِى يُدْخَلُ بِهِ الْجَنَّةُ وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

هذه النظرة هنا في هذا الحديث توحي بالاستكشاف والتعرف على حال هذا الرجل إن امتثل ما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه حتى الممات، ويحتمل أن يكون الله أطلع نبيه على حال هذا الرجل وأنه مكتوب في أهل الجنة، فأرشد إلى النظر إليه كاشفا حاله للناس للتعرف على حاله ومآله.

٤٧٥٤ - عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت في حديثها: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أظلتني فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ".([٥٣١])

هذه كذلك نظرة تعريف وتعرف حيث إنّ النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى السحابة التي أظلته مستكشفا حالها فرأى جبريل عليه السلام مؤيدا وظهيرا له،قال البكري الشافعي "إذا فيه وفيما قبله: فجائية وجبريل حينئذ لم يكن في صورته الأصلية لماجاء أنّه لم يره فيها إلّا في بدء الرسالة وعند سدرة المنتهى"(٥٣٢).

الإشارة الثامنة:كف النظر من الغضب وعدم الرضا.

٣٠٦-عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النبي-صلى الله عليه وسلم-قَالَ: "ثَلاَثَةٌ لاَيُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَيُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".([٥٣٣])

هذا النظر المنفي في هذا الحديث نظر الله سبحانه وتعالى إلى هؤلاء الذين أعرضوا عن ربهم فلا ينظر الله إليهم، قال النووي رحمه الله:"قيل: معنى ذلك الإعراض والغضب،وهو معنى لاينظر إليهم،ونظر الله لعباده رحمته لهم وعطفه عليهم".([٥٣٤])

---

[٥٣١] – صحيح مسلم كتاب المغازي ١٨١/٥، باب مَا لَقِىَ النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم– مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ.

٥٣٢– شرح رياض الصالحين، للصديقي:١١١/٥.

[٥٣٣] – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ٧١/١، باب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الإِزَارِ وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ

[٥٣٤] – شرح صحيح مسلم للنووي:،١١٤/٢.

الإشارة التاسعة: نظرة تفحص وتمعين.

٦٩٣١- عَنْ سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ سَمِعْت النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلم قَالَ:"فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ".([٥٣٥])

هذه نظرة تأمل وتفحص حيث ينظر الناظر الرامي موضع السهم الذي يرمى به،فَيَتَمَارَى في نتيجة رميه هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شيء، فيدرك ذلك بعد بحث وتمعن.

٦٧٧٠-عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:"أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ مُجَزِّزًا نَظَرَ آنِفًا".([٥٣٦])

إنّ النظرة هنا كسابقتها فهي نظر تأمل وتفحص، حيث نظر مجزز المدلجي أقدام أسامة وزيد رضي الله عنهما،فتأكد وأخبر بالعلاقة بينهما وأن بعضهما من بعض، فكان ذلك نتيجة تلك النظرة الفاحصة المتمعنة من هذا الأعرابي، قال العيني رحمه الله: "والمراد بالرؤية هنا الإخبار أو العلم"(٥٣٧).

---

[٥٣٥] – صحيح مسلم، كتاب النكاح، ١١٢/٣، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ.

[٥٣٦] – صحيح مسلم كتاب النكاح، ١٧٢/٤، باب الْعَمَلِ بِإِلْحَاقِ الْقَائِفِ الْوَلَدَ.

[٥٣٧]– عمدة القاري ،١٧١/٣٤.

ثالثاً: لغة الفم

لغة الفم من أهم لغات الجسد المعبرة عن المراد والمقصود، وقد انتظمت لغة الفم في هذا المبحث الذي انضوت تحته أربع عشرة إشارة متنوعة الدلالة والغاية، مختلفة الفعل والحركة، تعبر كلها بأغراضها ومضامينها عن مراد المشير وقصده، سواء كان ذلك عن طريق حركة الفم أو تحريك اللسان،أو الصمت أو حالة أخرى نستشفها ونستخلصها من النص سواء كان فعلا أو اسما أو هيئة أو وصف يطلقها المشير عن طريق الحركة أو عن طريق الكلام.

وفيما يلي مسرد للأفعال الواردة في حركةالفم بدلالتها المختلفة وهي:(أشار:"وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ"(٩٢٤)،خلف:"لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ"(٢٧٦٤)،عَضَّ:"فَعَضَّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ(٤٤٥٩)،تثاءب:"التثاؤب من الشيطان"(٧٦٨٢)،يحكي:"يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ"(٦٦٧٣)،لهث:"يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى"(٥٩٩٦)،حرك:"يحرك شفتيه"(١٠٣٣)،أَدْلَعَ:"أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ"(٦٥٥٠)،ضحك:"اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ"(٥٠٤٣)،بَكَى:"نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى"(٤٣٣)،تَبَسَّم،"فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ"(٦١٧٩)،بدت:"حتى بدت أنيابه"(٢٦٥١)).

صور إشارة الفم وأغراضها:

تعتبر إشارة الفم من لغة الجسد المعبرة،حيث يأتي مدلولها وسياقها الذي يحد المعنى ويفهم المتلقي،من خلال أدواتها التي هي الفم أو جزء من أعضائه وتوابعه وتأثراته التي تعبر عن أغراض ومضامين تلك الإشارات المتنوعة في الصور والدلالات،المختلفة في المضامين و السياقات،وذلك ماسنتعرف عليها من خلال بسطها وعرضها على النحو الآتي:

الإشارة الأولى:النهي عن النياحة.

٩٢٤ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ في حديثه: " وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ".([538])

إنّ هذا الحديث يتضمن حركة إشارية بسيطة ولكنها تحمل معاني كثيرة ودلالات متنوعة،خلاصتها أنّ اللسان قد يؤدي بصاحبه إلى المهالك،ومن تلك المهالك النّياحة على الميّت الذي نهى عنه نبيّ هذه الأمة، كما أنّ هذه الإشارة لها أثر قوي في ثبات المعنى و الدلالات في نفس المتلقي،ألا وهي إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى لسانه،قال القرطبي:"وقوله:"إنّ الله لايُعذب بدمع العين ولابُحزن القلب"، يدلُّ:على أنّ البكاء الذي لايصحبه صوتٌ ولانياحة جائزٌ قبل الموتِ وبَعْده "([٥٣٩]).

الإشارة الثانية:الخلوف.

٢٧٦٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - جاء في حديثه: "لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ".([٥٤٠])

تتضمن هذه الإشارة التي معنا في الحديث إشارة جسدية يطلقها بها فم المؤمن حال صيامه حيث ينتج عنه الخلوف وهي رائحة كريهة في الفم ظاهريا، ولكنها طيبة عند الله لأنها نتاج التقرب إلى الله تعالى، قال البرقي:"هو تغيير طعم الفم وريحه لتأخر الطعام"([٥٤١]).

الإشارة الثالثة:خشونة.

٤٤٥٩ - عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رضي الله عنه - جاءفيحديثه: "فَعَضَّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ فَمِهِ فَنَزَعَ ثَنِيَّتَهُ".([٥٤٢])

---

[٥٣٨]– صحيح مسلم كتاب الجنائز، ٤٠/٣، باب الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ.

٥٣٩– المفهم ،٥٧٦/٢.

[٥٤٠] –كتاب الصيام ١٥٧/٣، باب فَضْلِ الصِّيَامِ.

٥٤١– المنتقى للباجي:،٧٤/٢.

[٥٤٢] – صحيح مسلم كتاب الحدود، ١٠٤/٥، بابٌ الصَّائِلُ عَلَى نَفْسِ الإِنْسَانِ أَوْ عُضْوِهِ إِذَا دَفَعَهُ الْمَصُولُ عَلَيْهِ

اختصم رجلان إلى الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم،فغضب أحدهما من الآخر واستعان في التعبيّر عن ذلك الانفعال بردة فعله الجسدية عندما انقض على الرجل وأمسك يده بأسنانه وشدّ عليها،كما تنقض وتعضَّ البهائم فريستها بغية أكلها،فانتزع الآخر يده من فم العاض فسقطت إثر تلك الانتزاعه أسنانه فطالب بالدّية،فردّ عليه رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم بالاستفهام على جهة الإنكار والتوبيخ متمثلاً في قوله في آخر الحديث:"أيعضُّ أحدكم كما يعضُّ الفحل لادية له".([٥٤٣])

الإشارة الرابعة:الكسل والاسترخاء.

٧٦٨٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه جاء في حديثه: "التثاؤب من الشيطان".([٥٤٤])

يحذرنا الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم من الكسل والاسترخاء،ويخبرنا حقيقة أنّ ذلك الكسل والفتور ليس إلّا من الشيطان، ويتجسدّ ذلك المعنى في التثاؤب وهي حركة لاإرادية يقوم بها المرء باستخدام فمه عن طريق الفتح والإطباق مراراً ليأخذ أنفاساً متتالية،تلك الإشارة الجسدية هي أصدق من الحديث في الدلالة على الكسل والفتور وهذا ماحذّر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم،"وإنما جعله من الشَّيْطانِ كَراهِيةً له لأَنه إنما يكون مِن ثِقَلِ البَدَنِ وامْتِلائه واسترخائِه ومَيْلِه إلى الكَسَل والنوم".([٥٤٥])

الإشارة الخامسة:حكاية حال.

٦٦٧٣ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -جاء في حديثه: "وَهُوَ يَحْكِى ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِى فَمِهِ".([٥٤٦])

---

[٥٤٣] – هذا النص من نفس الحديث.

[٥٤٤] – صحيح مسلم كتاب الآداب، ٨ /٢٢٥باب تَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَكَرَاهَةِ التَّثَاؤُبِ.

[٥٤٥]– المفهم ،٦/٦٢٥.

[٥٤٦] – صحيح مسلم كتاب البر والصلة، ٤/٨، باب تَقْدِيمِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا.

يحاكي الرسول في هذا الحديث رضاعة الصبي الذي تكلّم في المهد،والمحاكاة لرضاعة الصبي لبيان الخبر وزيادة الفائدة، وكأنّ القصة تقع أحداثها أمام عيني المتلقي فترسخ صورة الخبر في ذهن المتلقي، قال القاضي عياض:"وفي تمثيل النبي رضاع الصبي ودعاء أم جريج له،جواز حكايات الأحوال؛إذا لم يكن على طريق السخرية والمجون،وكان لبيان علم وزيادة فائدة".([٥٤٧])

الإشارة السادسة:عطش وتعب.

٥٩٩٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه – جاء في حديثه: " فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى".

في هذا الحديث يقوم الكلب باستخدامه فمه كلغة جسدية يعبّر من خلالها عن شدة شعوره بالعطش والإعياء، فقد تراه حيناً يلهث ويأكل التراب كما رآه هذا الرجل ،أو تبصره يدلع بلسانه إلى الخارج،قال القرطبي: "أي:يُخرج لسانه من شدة العطش والتعبِ،قال الخليل:لهث الكلب عند الإعياء وعند شدة الحر،وهو دلع اللسان من العطش".([٥٤٨])

الإشارة السابعة:النهي عن العجلة،والأمر بالإنصات.

١٠٣٣- عن ابن عباس -رضي الله عنه- جاء في حديثه: "كان يحرك شفتيه. .... قال سعيد: أنا أحركهما.... فحرك شفتيه".([٥٤٩])

كان الرسول عليه الصلاة والسلام عندما ينزل عليه الوحي يلاقي ذلك ويصارعه ؛لعظم مايلاقيه من هيبة الملك"جبريل"ومايأخذ عنه"القرآن"،فكان عليه الصلاة والسلام آناء الوحي يستعجل في أخذ القرآن وحفظه الذي يلقنه جبريل فيحرك شفتيه ولسانه به ليأخذ ذلك عنه ويحفظه؛فأنزل الله هذه الآية ينهاه فيه عن العجلة لأخذ القرآن وحفظه،وأمره بالإنصات، قال القاضي عيّاض:"إنّ ذلك كان

٥٤٧- إكمال المعلم، الجزء٨/١٣.

٥٤٨- المصدر السابق ،٣/١٨٠.

[٥٤٩] - صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ٢/٣٥، باب الاِسْتِمَاعِ لِلْقِرَاءَةِ.

تحريك النبي صلى الله عليه وسلم شفتيه ولسانه وأنه أمر ألّا يعجل به ليأخذه وضمن له حفظه".([٥٥٠])

الإشارة الثامنة: التباهي لذعاً في الهجاء.

٦٥٥٠ - عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها - وجاء في حديثها:"ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ".([٥٥١])

قال القاضي عياض:"أمر النبي –عليه الصلاة والسلام-بذلك وتوجيهه حتى وجه لحسّان فكلمه في طلب النكاية فيهم، حين آذوا الله ورسوله، وقوله::"قد آن لكم":أي حان لكم"أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه"يريد:لسانه.وشبهه في انتقامه وبطشه بالأسد إذا ضرب واغتاظ، وحينئذ يضرب بذنبه جنبيه كما مثل حسان ذلك بلسانه،ومعنى"أدلع لسانه":أي أخرجه عن الشفتين "وهذا إشارة إلى شدة البطش والانتقام"([٥٥٢])

الإشارة التاسعة: السرور بعد معرفة البشارة.

٥٠٤٣ –عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه في قصة أم حرام - "ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ،قَالَتْ: فَقُلْتُ مَايُضْحِكُكَ".([٥٥٣])

هذا الحديث يتضمن إشارة جسدية تجسدت فيها معاني السرور والبشارة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في مستقبلهم، وكانت تلك الإشارة ضحك النبي عليه الصلاة والسلام وسروره بعدما رأى الرؤيا في منامه،قال القاضي عيّاض: ":ضحكه

٥٥٠- إكمال المعلم ،٣٥٩/٢.

[٥٥١] – صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ١٦٤/٧، باب فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضى الله عنه.

٥٥٢- إكمال المعلم ،٥٢٩/٧،٥٢٨

[٥٥٣] – صحيح مسلم، كتاب المغازي، ٤٩/٦، باب فَضْلِ الْغَزْوِ فِى الْبَحْرِ.

لما بشر به من أمر أمته،وغزوهم البحر،وسروره بما يفتح الله عليه في الدنيا،ويدخله عليه من الأجر في الأخرى".([٥٥٤])

الإشارة العاشرة:السرور والحزن.

٤٣٣ –عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه في حديث الإسراء في وصف آدم عليه السلام: "فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى".([٥٥٥])

يخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث عن حال سيدنا آدم عندما يرى ذريته من أهل الجنّة ،وحاله الآخر والنقيض عندما يرى الجزء الآخر من ذريته من أهل النار، الضحك والبكاء من سيدنا آدم عليه السلام ليس إلّا لغة إشارية أو جسدية تشاركت العين والفم في تقديم تلك المعاني المختلفة والمحددة، فأمّا الضحك فكان يحمل في طيّاته معاني الفرح والسرور عندما يبصر ذريته يتنعمون ويسعدون في جنان الخلد جزاء بما كسبوا، وأمّا البكاء فكان تعبيراً عن شدة حزنه وشفقته عليهم وأنّه عاجز عن إنقاذهم فكل نفسٍ بما كسبت رهينة،قال القاضي : ذكر في الحديث أن الأسودة نسم بنيه،فأهل اليمين أهل الجنّة،فلذلك قال: إذا نظر إليهم ضحك"وذكر أهل الشمال أهل النار،فلذلك قال:"إذا نظر إليهم بكى".([٥٥٦])

الإشارة الحادية عشرة: مشاركة واستئناس.

٦١٧٩ –عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه..... وجاء في حديثه: "فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ".([٥٥٧])

تبسم الرسول صلى الله عليه وسلم يجسد دلالة مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه واستئناسه بحديثهم واسترجاع ذكرياتهم في الزمان السابق، وذكر

٥٥٤– إكمال المعلم بفوائد مسلم،٣٣٨/٦.

٥٥٥ – صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ٤٩/٦، باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ.

٥٥٦ – إكمال المعلم،٣٢٩/١.

٥٥٧ – صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ١٣٢/٢، باب فَضْلِ الْجُلُوسِ فِى مُصَلاَّهُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ.

ماكانوا عليه من ضلالٍ في الجاهلية،وكما ذكرنا آنفاً في حديث عائشة أنّها لم تر الرسول مجدّاً في ضحكه بل كان ضحكه تبسّماً.

الإشارة الثانية عشرة:إقرار وموافقة.

٢٦٥١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال في حديثه: "فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه".([٥٥٨])

ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تبدوا أنيابه إشارة ودلالة على إقرار الرسول وموافقته في أن يكون عرق التمر من نصيب أهل بيته والدليل على ذلك قوله:"اذهب فأطعمه أهلك"، كما أن هذا الضحك يحمل بين طياته تعجب الرسول صلى الله عليه وسلم من رد الرجل،ورحمته وشفقته على حاله،قال القاضي عيّاض:"وضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجباً من حاله ومقاطع كلامه،وإشفاقه أولاً،ثم طلبه ذلك لنفسه،وقد تكون من رحمة الله وتوسعته عليه وإطعامه له هذا الطعم وإحلاله له بعد أن كلف إخراجه".([٥٥٩])

الإشارة الثالثة عشر:الرضا والقبول.

٤٦١٠ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وجاء في حديثه في شأن البكر: "وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا".([٥٦٠])

في الحديث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن صمت البكر وسكوتها يعبّر عن الرضا وعدم الرفض ويعتبر قرينة واضحة ودلالة على الرضا والقبول.وقد مضى الحديث عنها والكلام عليها في مبحث الصمت من هذا البحث فليرجع إليه.

---

[٥٥٨] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ١٣٨/٣، باب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الْجِمَاعِ فِى نَهَارِ رَمَضَانَ عَلَى الصَّائِمِ وَوُجُوبِ الْكَفَّارَةِ الْكُبْرَى فِيهِ.

٥٥٩- إكمال المعلم ،٥٦/٤.

[٥٦٠] – صحيح مسلم، كتاب النكاح، ١٤١/٤، باب اسْتِئْذَانِ الثَّيِّبِ فِى النِّكَاحِ بِالنُّطْقِ وَالْبِكْرِ بِالسُّكُوتِ.

رابعاً- لغة الرأس

جعل الله في الرأس مناطق تعبيرية تكاد تكون لغتها أرقى وأعلى وسائل إيصال ما يريده الإنسان إلى النّاس،وللرأس بشكل عام حركاته التعبيرية في القبول والرد والرضى والكره والإعجاب والنفور، وهذه الحركات مارسها الإنسان بطبعه البشري وربما تلقاها عن طريق الدربة والمران ويتوصل بها الإنسان إلى جمٍ عظيمٍ وكمٍ كبيرٍ من المعاني لمن يتلقى هذه الإشارات.

"فخفض الرأس وتجنب النظر إلى الشخص الآخر، دلالة على الخضوع وكأنّه يقول لا أتجرأ على النظر إليك، كما أنه قد يكون دلالة على التحدي أو الاستخفاف أو الحيطة أو الحذر، ورفع الرأس فجأة قد يكون دلالة على الاهتمام خاصة إن ترافق ذلك مع رفع الحاجبين،ورفع الرأس والنظر للأعلى دلالة على الشعور بالملل، أو على التفكير وتصور بعض الأمور، وأحيانا يتجنب الشخص النظر للآخرين للتركيز على ما يقال،وميل الرأس للجانب قد يكون دلالة على الاهتمام أو الفضول أو

الشك،وإرجاع الرأس للخلف فجأة يشير إلى عدم التصديق،وسند الرأس على اليد قد يكون دلالة على الاستمتاع والاهتمام بما يقال،وهز الشخص لرأسه أثناء الحديث قد تكون دلالة على أنه غير مقتنع بما يقوله،وعدم تحريك الشخص لرأسه أثناء الحديث، دلالة على أنه شخص جدي ويحب السيطرة على الآخرين،عندما لا يحرك رأسه ولا يركز نظره على أي شيء، فهو منعزل بأفكاره عن العالم الخارجي،إذا انحنى الشخص رأسه للأسفل مع عبوس، فتلك دلالة على الحيرة أو عدم الرغبة بسماع ما قد قيل،ميل الرأس للخلف يعني أن الشخص يشعر بالملل".([٥٦١])

وفيما يلي الأفعال الواردة في أحاديث صحيح مسلم لحركات الرأس بصورها وأغراضها المختلفة وهي:(حسر:"حسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ"(٢٨٩)،رفع:"فَرَفَعْتُ رأسي فَإِذَا الْمَلَكُ"(٤٢٥)،رفع:"فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي"(٤٩٥)،أومأ:"وَأَنَا أَسْمَعُهُ يَقْرَأُ يُومِئُ بِرَأْسِهِ"(١٢٣٤)،رفع:"فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ"(١٥٩٥)،رفع:"فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ"(١٩٠٣)،طَأْطَأَ:"فَطَأْطَأَهُ حَتَّى بَدَا لِي رَأْسُهُ"(٢٩٤٦)،أشار:"فَقَالَتْ نَعَمْ. وَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا"(٤٤٥٤)،رفع:"فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ"(٥٠٣١)).

صور إشارة الرأس وأغراضها:

لقد جعل الله في الرأس مناطق تعبيرية تكاد أن تكون لغتها أرقى وأعلى وسائل إيصال مايريده الإنسان إلى النّاس،ويمكن أن نلخص أغراض حركات الرأس بشكل عام في حركاته التعبيرية الدالة على القبول والرفض،أو الرد والرضى،والكره ،والإعجاب ،والنفور ،تلك هي أهم الحركات التعبيرية التي يقوم بها الرأس،وسنعرضها من خلال النماذج الآتية:

الإشارة الأولى:انتباه.

[٥٦١]- لغة الجسد أسرار وحكايات أونلاين، ترجمة: سماح الشرابي،صفحة ٨٠ ومابعدها. رابط الكتاب:
http://www.lahaonline.com/articles/view/%D9%84%D8%B

٢٨٩- عَنْ جُنْدَب بْن عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِي رضي الله عنه... وجاء في حديثه أنّه لَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ "حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ" فَقَالَ إِنِّى أَتَيْتُكُمْ وَلاَ أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُم.([٥٦٢])

في هذا الحديث كذلك جاءت الإشارة بقول الراوي "حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ" يعني جندب بن عبد الله حين حدث بهذا الحديث، وذلك إيذانا بأهمية الموضوع المحدث به، وإشعارًا بوعيه وإتقانه لهذا الخبر من جهة، كما أنّ فيه من الناحية النفسية تهويلًا وإعلامًا بخطورته والتخويف منه من جهة أخرى، لذلك كشف هذا الصحابي الثوب عن رأسه([٥٦٣]).

الإشارة الثانية:استكشاف.

٤٢٥-عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه - قَالَ فِى حَدِيثِهِ:... "فَبَيْنَما أَنَا أَمْشِى سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ (فَرَفَعْتُ رأسي فَإِذَا الْمَلَكُ) الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كرسي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ".([٥٦٤])

إن في هذا الحديث إشارة أخرى عبّر عنها بقوله صلى الله عليه وسلم "فرفعت رأسي"، وذلك حين سمع صوتا تردد وتحير في أمره ، وكان رفعه صلى الله عليه وسلم لرأسه ليستيقن الأمر ويعرف شأنه، فرفع رأسه إلى أعلى ليرى ويسمع، وهي

---

[٥٦٢] – صحيح مسلم، كتاب الإيمان ٦٨/١، باب تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

[٥٦٣] – شرح صحيح مسلم للنووي:،٢٠٥/١.

[٥٦٤] – صحيح مسلم، كتاب الإيمان ٩٨/١، باب بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–.

إشارة إلى جهة الصوت الذي رابه وأصابه منه الرعب، وكانت من الناحية النفسية استشعارا للطمأنينة واستشراقا لثبات القلب وسكون النفس.

الإشارة الثالثة:استجابة وقبول.

٤٩٥-عن أنس رضي الله عنه قَالَ في حديث الشفاعة الطويل، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "ارْفَعْ رَأْسَكَ قُلْ تُسْمَعْ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ. (فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي) بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي".([٥٦٥])

إنّ الإشارة في هذا الحديث ذات أبعاد دلالية خطيرة حيث جاء تعبيره صلى الله عليه وسلم برفع الرأس إيحاء بالقبول وإعلامًا بالاستجابة وقبول الطلب، وهي مع ذلك توحي بالسرور والقرب من الله سبحانه وتعالى.

الإشارة الرابعة:الانتهاء والكف.

١٢٣٤- عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ في حديثه: .... "وَأَنَا أَسْمَعُهُ يَقْرَأُ يُومِئُ بِرَأْسِهِ".([٥٦٦])

في الإيماء بالرأس في هذا الحديث إشارة إلى الانتهاء والكف عن السلام الذي كرره الصحابي والنبي صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة ، لأن من كان في الصلاة فهو في شغل عن رد السلام، فمنعه ذلك من الرد بالكلام فأومأ برأسه، قال ابن رجب

[٥٦٥] – صحيح مسلم، كتاب الإيمان ١٢٣/١، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا.

[٥٦٦] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ٧٢/٢، باب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِى الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ.

رحمه الله : "هذه الإشارة تدلّ على أنّ إيماءه إليه إنّما كان ليكفّ عن كلامه في تلك الحال".([٥٦٧])

الإشارة الخامسة:استيقاظ وتبين.

١٥٩٥- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ في حديثه.... اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ" وَرَأَى الشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ قَالَ: " ارْتَحِلُوا ".([٥٦٨])

في هذا الحديث إشارة تعبيرية عبر عنها بالرأس حيث رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من النوم إشارة إلى استيقاظه ونظره للوقت حتى يتبينه، حيث رأى أن الشمس قد ظهرت وأن وقت الصلاة قد فات.

الإشارة السادسة:استبيان حال.

١٩٠٣-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ في حديثه.... "فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ".([٥٦٩])

٥٦٧- فتح الباري لابن رجب،٤١٩/٦.

٥٦٨ - صحيح مسلم، كتاب الصلاة ١٤٠/٢، باب قَضَاءِ الصَّلاَةِ الْفَائِتَةِ وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ قَضَائِهَا.

هذه الإشارة هنا في هذا الحديث برأس ابن مسعود، حيث رفع رأسه بعد أن كان مطأطأ له بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن، فكان رفعه إيحاء منه باستكناه حال النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره بالتوقف عن القراءة، واستبيان تأثير القرءان فيه.

الإشارة السابعة:بيان وتعليم.

٢٩٤٦-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ في حديثه.... "فَوَضَعَ أَبُو أَيُّوبَ - رضي الله عنه - يَدَهُ عَلَى الثَّوْبِ (فَطَأْطَأَهُ حَتَّى بَدَا لِي رَأْسُهُ) ثُمَّ قَالَ لإِنْسَانٍ يَصُبُّ اصْبُبْ. فَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُهُ -صلى الله عليه وسلم- يَفْعَلُ".([٥٧٠])

هذه إشارة أخرى أطلقها أَبُو أَيُّوبَ - رضي الله عنه –قاصدًا من خلالها بيان كيفية غسل النبي صلى الله عليه وسلم، واستخدم في ذلك طَأْطَأَة الرأس حَتَّى بَدَا جميعه للرائي قال في تيسير العلام: "طأطأه: أي طامنه ليرى الرسول رأسه من ورائه".([٥٧١])

الإشارة الثامنة:تثبت وبيان.

٤٤٥٤-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ في حديثه في قصة قَتَل الجَارِيَة "فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ لاَ ثُمَّ قَالَ لَهَا الثَّانِيَةَ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ لاَ ثُمَّ سَأَلَهَا الثَّالِثَةَ (فَقَالَتْ نَعَمْ. وَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا)".([٥٧٢])

---

[٥٦٩] – صحيح مسلم، كتاب الصلاة ١٩٥/٢، باب فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَطَلَبِ الْقِرَاءَةِ مِنْ حَافِظِهِ لِلاِسْتِمَاعِ وَالْبُكَاءِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّدَبُّرِ.

[٥٧٠] – صحيح مسلم، كتاب الحج ٢٣/٤، باب جَوَازِ غَسْلِ الْمُحْرِمِ بَدَنَهُ وَرَأْسَهُ.

[٥٧١]– تيسير العلام للمقدسي:،٣٩٣/١.

[٥٧٢] – صحيح مسلم، كتاب الحدود ١٠٣/٥، باب ثُبُوتِ الْقِصَاصِ فِى الْقَتْلِ بِالْحَجَرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُحَدَّدَاتِ وَالْمُثَقَّلاَتِ وَقَتْلِ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ..

في هذا الحديث إشارة مهمة أطلقتها هذه الجارية التي عجزت عن النطق باللسان، فأشارت برأسها إشارة فهمها الناس، وأدركوا معناها ومغزاها، ولهذا اعتبرها النبي صلى الله عليه وسلم من المثبتات وعمل بمقتضاها خاصة حين اختلفت دلالتها حين تكررت، فمرة بلا، ومرة بنعم، قال البطليوسي "فهي إشارة تعبّر عن المعنى الذي قصد بها فمعناها كمعنى القول،لأن إشارتها برأسها بمنزلة قولها نعم ".([٥٧٣])

الإشارة التاسعة:انتباه وعناية.

٥٠٣١-عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ في حديثه... "فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ" - وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا.([٥٧٤])

الإشارة في هذا الحديث -وهي رفع النبي صلى الله عليه وسلم لرأسه- توحي بأبعاد مهمة منها أهمية السؤال وما يتعلق به من جواب أهم، كما توحي بأهمية هذا الموضوع بالذات لالتباسه كثيرًا على الناس فكان السؤال موفقا جدا، كما توحي بأهمية الإقبال على المخاطب وإشعاره أدبًا وأخلاقًا واحترامًا،وفيه إقبال المتكلم على من يخاطبه.([٥٧٥])

---

[٥٧٣]- مشكلات موطأ مالك بن أنس للبطليوسي:،٩٣/١.

[٥٧٤] - صحيح مسلم، كتاب المغازي ٤٦/٦، باب مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ.

٥٧٥- شرح صحيح مسلم للنووي:٥٠/١٣.

الفصل الثالث:

وظائف لغة الإشارة في أحاديث مسلم:

أولًا-وظيفة توضيحية:(أداة الإشارة،مجالاتها،تكرارها،أهميتها).

ثانيًا-وظيفة تصويرية:(أداة الإشارة،مجالاتها،تكرارها،أهميتها).

ثالثًا-وظيفة تنظيمية:(أداة الإشارة،مجالاتها،تكرارها،أهميتها).

رابعًا-وظيفة جمالية:(أداة الإشارة،مجالاتها،تكرارها،أهميتها).

خامسًا-وظيفة تأكيدية:(أداة الإشارة،مجالاتها،تكرارها،أهميتها).

سادسًا-التورية.

وظائف لغة الإشارة في أحاديث مسلم

تتعدد وتتباين وظائف ودلالات لغة الإشارة في صحيح مسلم، كما تتنوع أساليبها وأهدافها،في هيئتها ووضوحها وتصويرها وإيفائها بما تتضمنه إشارة المشير من المعاني، وبما تقتضيه من إفهام للسامع والرائي معا، ذلك أنّ الذي يعبّر بلغة الإشارة يريد منها توضيح وبيان فكرة غامضة أو بعيدة لا يستوعبها السامع بديهة ولا يدرك أبعادها ومراميها عن طريق اللفظ ومطلق الكلام، عندها تأتي أدوات الإشارة موضحة ومبينة للمقصود والغاية، أو مصورة ومقربة للحال والهيئة، أو منظمة ومرتبة للعمل والطريقة، أو محسنة ومكملة للمظهر والحركة، أو مؤكدة ومصدقة للقصة والفكرة، وهكذا...، فالإشارة أخت العبارة وتوأمها، ونائبها أحيانا في البيان والدلالة، والوظيفة والمجال والأهمية، وإن اختلفت اللغة والوجهة، وتباينت الأداة والهيئة، ومن هنا نبدأ في التعرف على هذه الوظائف وأهميتها ودلالاتها في لغة الإشارة من خلال صحيح مسلم.

أولًا-الوظيفة التوضيحية:

إنّ الوظيفة الأولى والكبرى والأعم مطلقاً من وظائف لغة الإشارة والأكثر وروداً في لغة الجسد على العموم هي: التوضيح والبيان لما ينهم من الهيئات والأساليب في الخطاب التعبيري الذي لا يقتصر على بعض أعضاء الجسد دون بعض، بل يتجاوز ذلك إلى عموم البدن، وتتعدد هذه الأدوات ورودا وتتنوع دلاليا في صحيح مسلم على وجه الخصوص،إلّا أنّ اللغة الأكثرُ وروداً فيه على الإطلاق من لغة البدن هي تلك اللغة التي تنطلق من اليد بجميعها وعمومها أو جزء منها كالأصابع أو أحدها،أو أطراف اليدين عموما، فتستخدم اليد للتعبير عن المراد والمقصود، كما تستخدم مصحوبة باللفظ ومستقلة عنه، وفي كلتا الحالتين فإنها تؤدي الغرض المطلوب وتفي بالمراد،سواء كانت توضيحاً أو تأكيداً أو غيره،وحين تتعانق الإشارة والعبارة من

المتكلم يضعف احتمال فهم الدلالة على غير المراد، كحديث عَبْدَاللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا-وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ".([٥٧٦])

ففي هذه الحال يكون لحركة الإشارة دلالة مبينة للمعنى زائدة على اللفظ زيادة بيان تقتضي من الدلالة ما يفهم من القرينة ويحدد من السياق حسب حركة الإشارة وموضعها ومجالها ونوعها وأهميتها، ففي هذا الحديث اصطحبت العبارة والإشارة معاً لِتُبيّن وتؤكد أنّ النّظر إلى تلك الجهة والناحية التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة،هو المقصود لاغيره لأن كلمة: "ههنا" ظرف مبهم لا يعين الجهة المراد الكلام عنها، فهي إشارة مبهمة عامة لا تتحدد إلا بالقرينة أو إشارة البدن، والمتكلم يريد وضع قرينة واضحة بيّنة لا يبقى معها في نفس المتلقي لبس ولا إبهام.

وقد تأتي الإشارة مستقلة عن اللفظ منفصلة عنه، وهنا قد يصحبها سياق أو قرينة يحدد المعنى ويبين الوجهة، وقد لا يصحبها أيُّ نوعٍ من الكلام،ولا يكتنفها أي سياق لفظي محدد، وعندها يستكنه-المخاطَبُ- السامعُ والرائي تلك الإشارة بأبعادها ودلالتها لفك مطبقها وتحليل رموز أبجديتها وتحويلها من أشكال تعبيرية مشفرة، ورموز وإشارات صامتة إلى رابط واضح ووسيلة مقصودة يستنطق من خلالها الجملة الصامتة، وهذا النمط من التعبير هو ما نطلق عليه لغة الإشارة الصامتة،ومن أمثلة هذا قوله صلى الله عليه وسلم في شأن البكر: "وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا" أي:صمتُهَا عن الكلام إِذْنِهَا،فَجعل صُمَاتَ البكر إيذاناً بموافقتها شَرْعًا(٥٧٧).

فصمت البكر في هذا الحديث حالة تعبيرية اعتبرها الشارع وعلق عليها الحكم بالإذن، فأداتها هي: إطباق الشفتين ولإمساك عن أي نوع من الكلام، ووظيفتها ودلالتها التعبيرية هي: قبول الموافقة واعتبار الإذن، فتحويل هذه الإشارة الصامتة إلى حالة توضيحية لا تحتمل إبهامًا ولا جدلًا، ولا تبقي مجالا لشك القائمين على صيغة العقد، يوحي بأهميتها وضرورتها فيما ترمي إليه وتأسس له، وهنا تتجسد

---

[٥٧٦]- صحيح مسلم، كتاب الزكاة ١١٦/٣، باب الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ.

٥٧٧- المصباح المنير للفيومي:،٢٥٥/٥.

أهمية أبعاد الإشارة الأساسية ألا وهي: أداتها وحركتها ، وموضعها ومجالها، ودلالتها وأهميتها.

ثانياً-الوظيفة التصويرية:

أمّا الوظيفة الثانية من وظائف لغة الإشارة كذلك وظيفة التصوير، وهي وظيفة لها دلالتها وميزتها، ذلك أن لغة الجسد المحسوسة قد يكون الهدف منها أحيانًا توضيح موقف وزيادة بيان عن طريق تصوير المقصود والمراد من الإشارة بيان الهيئة وتجسيدها للمتلقي عن طريق حكاية الفعل مصحوبًا بالقول أو حكاية الفعل فقط، فحكاية الفعل مجسدا للمتلقي عن طريق التصوير والتمثيل هي من وظائف الإشارة التي تصحبها أحيانًا لقصد التقريب واستقرار المعنى في النفس، وإن تفاوت التعبير التصويري بتفاوت أدوات الإشارة وقوتها ووضوحها، إلّا أنّ الإشارة التصويرية تبقى بمدلولها ونوعها ذات طابع خاص من حيث الشكل والمضمون، وإن كانت كل الوظائف الإشارية متداخلة فيما بينها من حيث الوظائف والدلالات، ومن نماذج هذه الخصوصية حكايته النبي صلّى الله عليه وسلم وإشارته حين يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ- وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ-وَيَقُولُ:"رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَيَعْلَمُونَ"(٥٧٨)، فهذه الإشارة الواحدة المختصرة منه صلى الله عليه وسلم تعدد وظائفها ومضامينها،ومن ذلك أنّها تحمل صورة حاضرة ماثلة لما جرى لذلك النبي، مصورة على تلك الجبهة الشريفة، وعلى ذلك الجبين الأغر، على أنّ فيها رسالة مفادها الصبر والبذل والكفاح والتحمل، ثم الاقتداء والاهتداء والرحمة والنّصر والتمكين، فالصورة كما يرى "موكار فسكي: "عمل فني يملك بالإضافة إلى وظيفته كعلامة مستقلة وظيفة أخرى هي ما يسميه بعضهم وظيفة"العلامة التوصيلية"، وتظهر هذه الوظيفة التوصيلية بجلاء في بعض الفنون في ذات الموضوع".(٥٧٩)، ومن أمثلة هذا النوع أيضا حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنّ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ"(٥٨٠)، ففي هذا الحديث تتجسد للمتلقي هيئة وصورة مُوسَى

٥٧٨- صحيح مسلم، كتاب المغازي، ١٧٩/٥، باب غَزْوَةِ أُحُدٍ.

٥٧٩- الفن باعتباره حقيقة سيميوطيقية، جان موكار فسكي، ترجمة سيزا قاسم.

٥٨٠ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١٠٥/١، باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ.

عليه السلام وهو مقبل على الله سبحانه معرض عمّا سواه غارق في التلبية والشعور بعظمة كليمه سبحانه وتعالى، وقد تعكس الصورة الإشارية في شكلها ومضمونها حكاية كاملة أو قصة أو قصيدة أو خرافة أو غيرها،وتختصر ذلك في صورة أو رسم أو كاريكاتير، بناءًا على إيحاءات وإيماءات إشارية بنية الصورة التي ترسمها ريشة الفنان، فيفكك القارئ رموزها، ويحل ألغازها فيصل إلى أبعادها ودلالاتها وما ترمي إليه.

ثالثاً-الوظيفة التنظيمية:

ومن وظائف لغة الإشارة كذلك أن تكون منظمة أو مرتبة للعمل أوالطريقة التي يريد المشير التعبير عنها وبيان ترتيبها وتسهيلها للمتلقي عن طريق تنظيم العبارات أو ترتيب الإشارات خلال الإشارة المنفردة أو أثناء صحبته اللكلام، أو داخل بنية النص الكتابي، فخلال الإشارة المنفردة قد تختصر الإشارة أو الرمز الحكاية كاملة، بحيث لا يبقى للمتلقي مجال أو عذر في عدم فهمها أو تحاوزها كإشارات المرور المثبتة على الشوارع والعلامات الموضوعة في الطرقات، بأنواعها، والإشارات المستخدمة في المدارس لتنظيم الطلاب أو في المعسكرات لتنظيم الجند، وغيرها ممّا هو متعارف عليه من الرموز والإشارات التنظيمية، ومن الوظائف التنظيمية كذلك أن تأتي الإشارة منظمة لحال وهيئة كما تحتاج إلى ترتيب وموالات تضبطها وتبين نظامها وتحفظ كيفيتها كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ في هيئة وحالة الجلوس في الصلاة، أنّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم- "وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ"(٥٨١)،فهذه إشارة تنظيمية في هذا الحديث الشريف تتعلّق بهيئة وحالة الجلوس في الصلاة وكيفية وضع اليدين على الفخذين وأخذ كل عضو من المصلي مكانه المناسب لذلك، وهي إشارة لها معناها ومغزاها.

٥٨١- صحيح مسلم،٩٠/٢، باب صِفَةِ الْجُلُوسِ فِى الصَّلاَةِ وَكَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْيَدَيْنِ عَلَى الْفَخِذَيْنِ.

ومن الإشارات التنظيمية كما لا يخفى ما يطلق عليه: "العلامات اللغوية الخارجة عن بنية النّص الأصلي" والتي تنظم الكلام والسياق داخل بنية النص الكتابي أو المنطوق عن طريق الرموز المخصصة والعلامات الترقيمية أثناء الكتابة أو الكلام كعلامات الابتداء، والانتهاء، والوفق، والفصل، والوصل، والاستفهام، والتعجب، والتسلسل، والتنقيط، والتنصيص، وأنواع النبرات الصوتية،وغيرها،فهذه العلامات التي توجد في النّص أو الكلام وبين جمله وأجزائه تنظمه للمتلقي والقارئ،وتفهمه الأغراض الكلامية،فتساعده على إدراك الدلالة واستيعاب المعنى وترتيب الأفكار، كل ذلك عن طريق ترتيب وتنظيم البنية الشكلية للّنص أو الكلام، ومثاله قولك : ينقسم الكلام إلى أقسامٍ ثلاثة : اسم ، وفعل ، وحرف،وكقوله سبحانه وتعالى: "حرمت عليكم أمهاتكم ، وبناتكم ، وأخواتكم".(٥٨٢)

رابعاً-الوظيفة الجمالية:

قبل أن نتحدث عن الوظيفة الجمالية للغة الإشارة لا بد أن نذكر أنّ القيمة الجماليةالكائنة في اللغة أصلا،"إنّما هي موضوعية محددة،يمكن الكشف عنها والتحدث عن خصائصها ومكوناتها، فالجمال إذن صفةٌ حالّةٌ في اللغة تلازمها وتقوم فيها ولو لم يوجد عقل يقوم بإدراكها، أو ذوق يعبر عنها"(٥٨٣).

ومن هنا نقول: إنّ في لغة الإشارة من الجمال ووظائفه، والكمال الذي تؤديه وتبيّنه،ما يجعلها ذات أهمية بالغة، ورسالة مهمة واصلة، وذلك ماتعكسه اللغة الإشارية عموما من خلال عملية التعبير التي تتنوع غايتها بالاعتماد على الأساليب المختلفة للغة الإشارة التي يتّم اختيارها،والتي تخلق جمالية معينة تبعث المتعة والارتياح في نفس المتلقي، وفي هذه الحال "غالبًا مايكون الشّكل أكثر تأثيرًا على المتلقي وأحسن فاعليَّة من المضمون، والوظائف الجمالية التي تشعّ بها لغة الإشارة عند استخدام المبدع لأدواتها ومفرداتها كثيرة تتنوع وتتوزع في مختلف مجالات لغة

٥٨٢- النساء؛الآية ٢٣، وقاموس الإملاء، مسعد محمد زياد، ص٩٦.

٥٨٣- أسس الفلسفة، توفيق الطويل، ص ٣٦٥ .

الإشارة، وهي تساهم بشكل نشيط في الرقي بعمليّات التفاهم والإبلاغ والتّواصُل بين بني الإنسان، ولها دور أساسي في صناعة الحضارة الإنسانية،وإطلاق عجلات التقدم والارتقاء بها إلى حالات أفضل"(٥٨٤)،

ومن وظائف الجمال في لغة الإشارة: تَصْوِيرُ الواقع وإخراجه بالصورة الدقيقة النّاصعة سواء كانت متخيَّلة أو حقيقية، وهذا التصوير هو عنصر المبالغة في الدّلالة على المقصود، وهي: "من الحيل التّعبيرية التي تفتح آفاقًا واسعة جدًّا لانتقاء وظائف جماليّة لاَتُحْصَى، فيتحقَّق بها غرض مهم زائد من أغراض التعبير- بعد إفْهام المتلَقِّي مايُريد المتكلّم التعبير عنه- ألا وهو: إمتاعُ المتلَقِّي كذلك بهذه الجماليّة التي يشتمل عليها التعبير سواء كان إشارة أو كلامًا،ولهذا الإمتاع تأثيرٌ في النّفوس، ووقع في القلوب يجعله وسيلة لقبول المضمون الفكري الذي دلَّ عليه التعبير،ثم اعتقاده،والعمل بمقتضاه"(٥٨٥)، و"كثير من الإشارات التّعبيرية جمالُها ذاتِيّ، بمعنى أنّه موجود في التّعبير الإشاري أصلا، فإذا وظّف شكل تعبيري جميل زائد على ذلك الجمال الأصلي،من الصور والهيئات والأصباغ والألوان في أحوال ملائمة للتعبير،كانت النفوس أكثر تقبُّلاً واستساغةً لها،وكان كالمائدة الجميلة المشكلة اللذيذة المقدمة للضيف العزيز، تميل إليها النّفس وتستعذبها، أو كإشارات السُّحُب في الجو الممطر وتشكيلاتها المتنوعة المعبرة عن مطر وشيك -بإذن الله-من خلال تقاربها وتباعدها، واجتماعها وافتراقها، مع اختلاف ألوانها وكثافاتها في الأبعاد الثلاثة: "الطول والعرض والْعُمْق"(٥٨٦).

خامساً-الوظيفة التأكيدية:

هذه الوظيفة هي الأخرى تعتبر من أهم وظائف لغة الإشارة، فكما أنه من وظائف لغة الإشارة أن تكون موضحة ومبينة، أو مصورة ومنظمة، أو مجملة ومحسنة -

٥٨٤- وظائف اللغة، جمال الجندي، ص١٤.

٥٨٥- البلاغة العربية،٥٦١/١.

٥٨٦- المصدر السابق ،٤٣٢/١.

كما مر معنا- فإن الوظيفة التوكيدية كذلك كثيرا ما ترد وتُقصَد في لغة الجسد أو الإشارة عامة، وهذه الوظيفة كسابقاتها تمر عبر أدوات متعددة ووسائل متنوعة منها الإشارة، والإيماء، والإيحاء، والخط، والرسم، والصورة، والتكرير، والنبر، والتنغيم، وغيرها، وهذه الأدوات تختلف باختلاف نوعها، ومجالها، وقوتها، وأهميتها، فهذه الوظيفة التأكيدية في لغة الإشارة تأتي لكثير من المعاني التي يصعب حصرها وتفصيلها،إلا أنّنا سنذكر نموذجين منها هنا في حديثين اثنين من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم خاصة من كتاب صحيح مسلم الذي هو موضوع البحث والدراسة:

الأول:- جاء في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ". وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.(٥٨٧)

فهذه إشارة ذات وظيفة توكيدية لبيان توكيد القرب والمرافقة،للنبي صلى الله عليه وسلم أطلقها بيده الزكية الشريفة قاصداً مؤكداً بها توضيح وبيان مكانة كافل اليتيم والمحسن إليه عند الله ورسوله صلّى الله عليه وسلم،كذلك انطلاقاً من دلالة ومعنى تلك الإشارة وتلك العبارة.

الثاني:- جاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنهما: "أَشَارَ أَبُو سَعِيدٍ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ فَقَالَ أَبْصَرَتْ عَيْنَاي وَسَمِعَتْ أُذُنَاي رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ:"لاَ تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ ، وَلاَتَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إِلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ ، وَلاَتُشِفُّوا بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَلاَتَبِيعُوا شَيْئًا غَائِبًا مِنْهُ بِنَاجِزٍ إِلاَّ يَدًا بِيَدٍ".(٥٨٨)

هكذا جاءت الإشارة في هذا الحديث الشريف موظفة لأنواع من التوكيد أولها: إشارة تأكيد وبيان لتمام العلم والوعي والضبط والانتباه لما نقله أبو سَعِيدٍ الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،وإن كان لايتهم في شيء من ذلك،ولكنه مع ذلك أشار بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى عَيْنَيْهِ وأذنيه،مطلقاً للعبارة وموظفاً للغة الإشارة، وفي ذلك

٥٨٧-صحيح مسلم، ١١/٣.

٥٨٨- المصدر السابق، ٤٢/٥.

تأكيد وتحقيق لرؤيته وحضوره وسماعه للنبي صلى الله عليه وسلم ،كما أنّ فيه تأكيدًا آخر لزجر الناس عما يتضمنه من النّهي عن الربا في المعاملات،وضرورة تجنبه،وليقع موقعاً بليغاً من نفوس النّاس حتى ينتهوا لخطورته،مؤكداً لذلك عن طريق الجمع بين العبارة والإشارة.

سادساً- وظيفة التورية:

ومن وظائف لغة الإشارة التورية والتعمية وقصد الدلالة الأخرى في العبارة أو الإشارة، من خلال مشهد الإشارة الماثل للمتلقي، والذي يختبئ ويستتر داخله المعنى رغم خلاف الظاهر، قال كَعْب بْن مَالِكٍ رضي الله عنه: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا" قال النووي رحمه الله: "أَيْ أَوْهَمَ غَيْرَهَا، ليعمّي الأخبار،حتَّى لايترصَّد له الأعداء، وَأَصْل التورية في اللغة مِنْ الوَرَاء الذي هو ضد الأمام فهي:من ورّيتُ الشيء توريةً: إذاسترتُه،وأظهرتُ غيره، فكَأَنَّ الموري جَعَلَ الْمعنى الظاهر وَرَاء ظَهْره، وقصد البعيد، واستخدم التورية".([٥٨٩])

والتورية عند العرب نوع من لغة الإشارة اللطيفة المعبّرة المفهومة داخل النّص، يقصد المعبّر من خلالها إيصال فكرته ومراده بطريقة مبنية على التأمل والإدراك العقلي البعيد، قال السيوطي في المزهر:"وقد كانت العرب تتعمَّد ذلك وتقصده -يعني الفطنة- إذا أرادت التَّوْرية أو التعمية"(٥٩٠)، ومن حسن التعبير استخدام التورية للإشارة بما تدعو إليه حال المتلقّي،وهذا الداعي ممّا يُقْصدُ غالبا لدى أذكياء البلغاء، كإخفاء المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرفٍ خفي ، وكالتعبير عن المقصود بما يتأتَّى معه الإنكار عند الحاجة إليه ، وكاختبار ذكاء المتلقّي والتأثير في نفسه بما يُعْجِبُه من إشارة وإيماء غير مباشر حتى الإلغاز،عندها

٥٨٩ – شرح النووي على صحيح مسلم للنووي:، ٩٩/١٧.

٥٩٠– المزهر في علوم اللغة وأنواعها،٤٤٢/١.

تظهر أهمية التورية ووظيفتها الإشارية المعبرة المبينة قال الزمخشري رحمه الله: "لاترى باباً في البيان أدقَّ ولاألطف من التورية"(٥٩١).

والتورية وإن كانت من المصطلحات البلاغية المعروفة من جانب البيان والفصاحة، إلا أنّها تحمل دائما من دلالة الإشارة والتعبير الضمني ما يجعل لها وظيفتها الإشارية المتميزة، والتي تفي للموَرِّي -من خلال إطلاقها- بمراده وبغيته بأحسن عبارة وألطف إشارة كما قال الشاعر:

أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنَّا حَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَ

فكلمة "تَعَالَ" في البيت لها معنيان: المعنى القريب المتبادر وهو: الثناء على الله بالعلوّ، وهو يلائم لفظ الجلالة "الله"، والمعنى الآخر البعيد وهو الإشارة إليه بترك الإعراض والهجر ودعوته للحضُور، وهو يلائم عبارة: "أيُّها المعرض عنّا"(٥٩٢)، ومن أمثلة هذا النوع من التورية حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صحيح مسلم في صفة الخوارج الذي مر بنا في مبحث لغة الفم: "وَإِذَاحَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بيني وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ"(٥٩٣)، قال القاضي عيّاض رحمه الله: "فيه جواز التورية والتعريض في الحرب فإنه تأول الحديث على هذا"(٥٩٤).ومن هنا أشار القيرواني إلى أنّ هناك أبوابًا تتقدم الإشارة فيها على الصوت، ومبلغها فيها أبلغ وأحكم من مبلغ النطق"(٥٩٥)، وتبقى دلالتها أقوى وأصرح سواء كانت الإشارة بحركات العين أو اليد أو الرأس أو حملها أي عضو من أعضاء الجسد كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري - رضى الله عنه - قَالَ: "فَنَظَرْتُ إِلَى النبي صلّى الله عليه وسلّم وَقَدِ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُبْتَلٌّ طِينًا وَمَاءً"(٥٩٦)، فهنا تتضح الإشارة وتتبيّن النظرة من خلال

٥٩١- تفْسيرِ البَيضَاوِي، ٢٠٤/١.

٥٩٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها ٧٥٠/١.

٥٩٣ - سبق تخريجه.

٥٩٤- شرح صحيح مسلم للنووي ،١٦٩/٧.

٥٩٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ١٠٢/١.

٥٩٦ - سبق تخريجه.

بلل الطين والماء على جبين الحبيب صلّى الله عليه وسلم تصديقًا لرؤياه وخبره(٥٩٧)،ومن هذا القبيل قول عمر بن أبي ربيعة المتقدم:

أشارتْ بطرْف العينِ خيفةَ أهلها إشارةَ محزونٍ ولمْ تَتَكَلَّمِ

فأيقنتُ أن الطَّرْفَ قد قال مرحبًا وأهلا وسهلًا بالحبيبِ المُتَيَّم

أو كانت كذلك إشارة ضمنية من التعبير غير المنطوق مما تبوح به الإشارة وترسله داخل النص أو خارجه، موظفة لدلالاتها المختلفة في المعنى، المتفاوتة في الشّكل والقوة كإضاءات علامات المرور باللون الأحمر، أو الأخضر، أو البرتقالي، فهي دلالة تفهم من المشهد دون نطق، كأن تنظر إلى مستشفى فتعرف أن "هناك مرضى" أو أن تمرّ على الجامعة، فتدلك على أن "حضارة الأمة تصنع هنا"([٥٩٨])، وقد عبّر عنها نصيب بن رباح بقوله:(٥٩٩)

فعاجُوا فأثْنَوا بالذي أنت أهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائب.

وأختم هذا المقام بالقول: إنّ اختيار الإشارة المعبّرة المنتقاة بدقة وعناية،عن طريق تنقيح الصورة،وتأكيد العبارة ، وترتيب الحركة ، مع استشراف حسن الذوق ، واستشعار الجمال ، ونشدان الكمال ، كذلك من الوظائف التي تخرج لغة الإشارة فيحله قشيبة من الجمال والتأثير تجعلها قادرة على أداء وظائفها التعبيرية الفائقة على أحسن مقصود،وأدق تعبير،وأجمل أسلوب ، وتوصيل رسالة حضارية ممتعة مفادها الوضوح والقوة والقيمة والجمال ، كما يجعلها تفتح أفق التفكير ، ومغاليق الكلمات ، في ذات اللغة وأدواتها ومجالاتها ، مما يكشف للمجتمع أسرار اللغة الإشارية وأهميتها في التواصل والبناء الحضاري . والله أعلم

٥٩٧- شرح صحيح مسلم للنووي، ٦٠/٨.

[٥٩٨] - ينظر النحو المصفى، لمحمد عيد ص١٧.

٥٩٩- البيان والتبيين، ٨٣١/١.

الخاتمة:

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث بخاتمة الرسالات ، وبعد ؛

فهذه جولة في موضوع " لغة الإشارة في صحيح مسلم "طفنا خلالها في سنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم ،جمعًا وعرضًا وتحليلًا لغويا ،لنستخلص ونقف من خلالها على أهم النتائج والملاحظات التي تمّ التّوصل إليها كما يلي:

- جمع وتحديد وظائف لغة الإشارة في أحاديث مسلم.
- ايحاءات الدلالة وأنساق الإشارة الواردة في أحاديث مسلم.

- اللغة اللفظية قاصرة عن الوفاء بكل مقتضيات المعنى من صوره االذهنية.
- دور القدماء العرب في إرساء مبادئ هذا النوع من الدرس اللغوي .
- المقامات التي ترد فيها لغة الإشارة.
- الدلالات التي تقدمها لغة الإشارة.
- عدول ابن اللغة عن اللغة اللفظية إلى لغة الإشارة.
- قيمة المزواجة بين اللغة اللفظية ولغة الإشارة ، وثمة شعور بأن اللغة اللفظية لاتحمل الشحنات الدلالية التي يريدها ابن اللغة.

النتائج:

- إنّ تراثنا العربي لايزال في حاجة إلى قراءات جديدة لتأصيل وتجلية الظواهر اللغوية وغير اللغوية ، التي تحتاج إلى من يجمع أجزائها ويلم شعثها.
- يكمن في بطون كتب التراث العربي إشارات مبثوثة عن لغة الجسد في شذرات متنوعة هنا وهناك وفي سياقات مختلفة في تفاسير القرآن الكريم ، وشروحات الحديث النبوي وكتب اللغة ، والبلاغة و الأدب.
- ماوجد في بطون كتب التّراث اللغوي العربي من إشارات لغة الجسد ، تكاد تكون أصولًا لعلم لغة الجسد،لكنها بحاجة إلى شرح وتفسير.
- إنّ ظاهرة الحركات الجسمية "لغةالجسد" ودورها في الإبانة لاتزال مهملة من قبل الباحثين العرب المختصين في الدراسات الإنسانية.
- أدّت لغة الجسد دورًا بارزًا في عالم الجريمة ، من حيث الأدلة والوقائع ، كما هو الحال في قصة سيدنا يوسف عليه السلام.

وفي ختام هذا العمل أسأل الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يهيء لهذا التّراث من أبنائه من يخلصون النية في دراسة قضاياه ووسائله والكشف عن كنوزه ، وإظهار محاسنه وسد جوانب النّقص فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

المصادر:

- كتاب الله تعالى،القرآن الكريم نفعنا الله به.

كتب السنة :

- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)،المسند، ط١، القاهرة،مؤسسة قرطبة،١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، شرح سنن ابن ماجه،عبدالغني،وفخر الحسن الدهلو، ط١ ،كراتشي،دار قديم يكتب خانه.
- **الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن،تحقيق محمود محمد شاكر،ط٢، القاهرة ، دار المعارف ،1971 م**
- العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ط١، القاهرة، دار الريان للتراث ،1986 م.

- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن ،تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- مسلم: مسلم بن حجاج النيسابوري(ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، ط١، ب م ، دار طيبة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني(ت٣٠٣هـ)، السنن الصغرى،باعتناء الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ط١ ،بيروت، دار البشائر، 1406هـ/١٩٨٦م.

كتب المصادر :

- ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**،تعليق صلاح عويضة،ط١، بيروت، دار الكتب العلمية 1418هـ/1997 م.

- الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ)،**طوق الحمامة في الألفة والآلاف**، تحقيق د . إحسان عباس، ط٢،بيروت_لبنان،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.

- الأصفهاني: ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، **الأغاني**، تحقيق سمير جابر،ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٣٥م.

- البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٦هـ)، **شرح السنة**، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش، ط٢، دمشق، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- البكري:أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) ، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، تحقيق د.إحسان عباس،ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة ،١٩٨٣م.

- التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ (ت ٥٠٢)، **شرح اختيارات المفضل**، تحقيق فخر الدين قباوة،ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية،1987 م.

- أبو تمَّام : حبيب بن أوس الطائي(ت ٢٣١هـ)، **ديوان الحماسة**،تحقيق د .أحمد حسن بسج ، ط١، ب م، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- التيمي: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) ،مجاز القرآن،تحقيق محمد فؤاد سزكين،القاهرة، مكتبة الخانجي ،١٣٨١هـ.

- الثعالبي: عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، **فقه اللغة**، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط٢، ب م، دار إحياء التراث، ب ت.

- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني **(ت٢٥٥هـ)**، **البيان والتبيين**،ط 4 ،القاهرة-مصر،الخانجي، 1384 هـ

- الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ)،

  - أسرار **البلاغة** ، قرأه وعلَّق عليه محمود محمد شاكر،ط١،القاهرة،مطبعة المدني،1991 م.

  - **دلائل الإعجاز**، تحقيق : محمود محمد شاكر ، القاهرة، مطبعة المدني ، ط 3، 1992.

- الجرجاني : علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري،ط٤، بيروت،دار الكتاب العربي ، 1998م.

- جرير : بن عطية الخطفي (ت١١٠هـ)، ديوان جرير ،تحقيق : د . نعمان طه،ط1، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)،

  - **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ب ط، بيروت، عالم الكتب ،ب ت.

  - **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات** ،وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، الصحاح **تاج اللغة وصحاح العربية**،تحقيقأحمد عبدالغفور عطار،ط٤، بيروت، دار العلم للملايين،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) ، معجم الأدباء ، تحقيق احسان عباس،ب ط، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- ابن دريد : أبو بكر محمد **بن** الحسن **بن دريد** الأزدي (ت ٣٢١هـ)، الاشتقاق ، تحقيق عبدالسلام هارون،ط١،بيروت، دار الجيل،١٤٢٢هـ/١٩٩١م.

- أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني(ت ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود،تتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، بيروت، المكتبة العصرية،ب ت.

- الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض (ت ١٢١٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق :مجموعة من المحققين، ب ط ، ب م ، دارالهداية.
- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)،
  - المستقصى في أمثال العرب،ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م.
  - أساس البلاغة،تحقيق : عبد الرحيم محمود،ط١، بيروت،دارالمعرفة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
  - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
  - ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، تحقيق سليم النعيمي، ط١، قم-ايران، دار الذخائر للمطبوعات، ١٤١٠هـ.
- ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ) ،المخصص، تحقيق خليل ابراهيم جفال، ط١، بيروت ، دار احياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- السهيلي:أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسي ٠ ت ٥٨١هـ)، أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه،تحقيق محمد إبراهيم البنا ،ط١،القاهرة ، مطبعة السعادة ،1979 م.
- سيبويه:الكتاب ، تحقيق عبدالسلام هارون ،ط٣،بيروت، دار الجيل ، ب ت.
- العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ)،

- الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، ط٢، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1989 م.

- جمهرة الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش ، ط٢، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة ،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري،ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي،1972 م.

- ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٠ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق عبدالمجيد الترحيني ، بيروت ، دار الكتب العلمية،1997 م.

- ابن الفارض: أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي (ت٦٣٢هـ)، ديوان عمر ابن الفارض،بيروت- لبنان،دار صادر و دار بيروت، 1962 م.

- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ،المقاييس في اللغة ، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو،ط٢، بيروت ، دار الفكر،1998 م.

- الفراهيدي:الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ب ط، بيروت،دار الهلال.

- الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)،القاموس المحيط،تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي،ط٦،بيروت،مؤسسة الرسالة ،1998 م.

- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد (ت٢٧٦ هـ)،

  - أدب الكاتب،تحقيق على فاعور،ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1988 م.

  - الشعر والشعراء ،تحقيق أحمد محمد شاكر،ط٢،القاهرة،دار الحديث ،1998 م

- القالي:أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت: ٣٥٦هـ)،الامالي،رتبها محمد عبد الجواد الأصمعي،ط٢، بيروت، دارالجيل، ١٩٨٧م.

- ابن قيس: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بَصير، المعروف بأعشى قيس (ت ٦٢٩ م)، ديوان الأعشى الكبير، شرحه وعلق عليه محمد محمد حسين ،ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ،1973 م.

- أبو نواس: حسن بن هانئ الحكمي (ت ١٩٥ هـ) ، ديوان أبي نواس،شرح وتحقيق مجيد طراد،دار الفكر العربي ، ط١،بيروت-لبنان ، 2003م.

- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل (ت ٧١١هـ)، لسان العرب ،ط٣،بيروت،دار صادر ،١٤١٤هـ.

- المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده (ت ٣٩٨هـ) ،المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ،ط١،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- الكفوي:الكليات،تحقيق عدنان درويش،ومحمد المصري،بيروت،مؤسسة الرسالة ، ط 2،1993 م.

- الرضي: الشريف أبو الحسن محمد بن الحسن الموسوي،نقلا عن علي ابن أبي طالب ،على نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده،ط١،بيروت،دار الفكر العربي ،1996 م.
- أبو العباس:أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب،شرح ديوان زهير بن أبي سلمى،تحقيق فخر الدين قباوة ،ط١، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، 1982م.

المراجع

- آبادىّ:محمد شمس الحق العظيم ،عون المعبود،ط٢،بيروت،دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
- أنيس: إبراهيم ،الأصوات اللغوية،ط ٦، مكتبة الأنجلو المصرية، 1981م.
- حسّان :تمّام ،

_اللّغة العربيّة معناها ومبناها،ط 2،القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٧٩م.

_البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة ،القاهرة،2002 م.

- الأصول،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط١، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،1996 م.
- حسين:محمد الخضر،دراسات في العربية وتاريخها ،ط٢،المكتب الإسلامي ، دمشق 1960م .

- الجندي :أحمد علم الدِّين ، اللهجات العربيَّة في التراث،تونس، ليبيا، الدَّار العربيَّة للكتاب ، 1398هـ/ 1978م.
- الخوري :فؤاد إسحاق،لغةالجسد،ط١،دار الساقي للطباعة والنشر،بيروت ،٢٠٠٠ م.
- شاهين:عبدالصبور. العربية في لغة العلوم والتقنية،ط١، دار الإصلاح،الدمام،السعودية،١٩٨٣ .
- شحرور :ليلى ، لغة الجسد ،ط ١،بيروت ،الدار العربية للعلوم ، ٢٠٠٧م.
- الشنقيطي:محمد الأمين ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،طبعة دارالافتاء، الرياض،1403 – هـ 1983 - م.
- الراجحي:عبده،فصول في علم اللغة،ط٢،الاسكندرية-مصر، دارالمعرفةالجامعية، ٢٠٠٢م.
- سايمز: جيمس ،شرح ديوان الفرزدق ،بغداد،مكتبة الثقافة العربية،ب ت.
- عبد التّواب:رمضان ،المدخل إلى علم اللغة ومنتهج البحث اللغوي ، ط٢، القاهرة ،مصر ،الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ،2007 م.
- عمر :أحمد مختار ،

_دراسة الصوت اللغوي،1976 م.

_معجم القراءات القرآنية ،ط١، القاهرة، عالم الكتب ،١٩٩٧م.

- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،بيروت، مكتبة لبنان،1987 م

- المطلبي،غالب فاضل.في الأصوات اللغوية،دراسة في أصوات المد الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة دراسات 1984 م.

الكتب المترجمة:

- ايجلتون: تيري،**مقدمة في النّظرية الأدبية**،ترجمة إبراهيم جاسم العلي،ط٢،بغداد،دار الشؤون الثقافية ،1992 م.
- باكو: ناتالي،**لغةالحركات**،ترجمةسمير شيخاني ،ط١،بيروت،لبنان،دار الجيل،١٩٩٥ م.
- بروكلمان:كارل،**فقه اللغات السامية**،ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب، ب ط ،الرياض،ب د، 1977 م .
- جيرو:بيير،**علم الدلالة**،ترجمة منذر عياشي،ط١، دمشق،سورية، دار طلاس، 1992م.
- شولتز:روبرت،**السيمياء والتأويل**،ترجمة سعيد الغانمي،ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994م.
- كريزويل: اديث ،**تعريف بالمصطلحات الأساسية**،ملحق كتاب عصر البنيوية ترجمة جابر عصفور ،ط١، الكويت،دار سعاد الصباح ، ١٩٩٣م.
- موكار فسكي:جان،**الفن باعتباره حقيقة سيميوطيقية**، ترجمة سيزا قاسم، بيروت ، دار الكتاب العربي.
- هنري،فليش.**العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد**،ترجمة عبدالصبور شاهين، بيروت ،لبنان ، دار المشرق ،2005 م.

الرسائل.

- صالح، خرفي محمد. **سيميائية الفضاء النصي في الشعر الجزائري المعاصر** ، رسالة علمية،جيجل ، قسم اللغة والأدب العربي.
- آل غنيم:صالحة راشد.**اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتًا وبنية** ،رسالة ماجستير،جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ،ط١، ١٩٨٥م .

المجلات والدوريات:

- خوجة:غالية،سيميائية اللقطة وسر الصورة ،جريدة الرياض،١٧يونيو٢٠١٠، العدد ١٥٣٣٣.
- روينة:نزيهة ،التواصل غير اللغوي في القصص القرآني ،جامعة محمد خيضر،كلية الآداب واللغات،قسم اللغة وآدابها،الجزائر،١نوفمبر٢٠١٤.
- أبوعاصي:حمدان، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها على المعنى ،**مجلة الجامعة الإسلامية** ،المجلد السابع عشر ،يونيو ٢٠٠٩،العدد الثاني.
- عودة :عبدالله. **الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين**،مجلة المسلم المعاصر،لبنان،٢٠٠٤،العدد١١٢.

- المعماري:محمد. **الصورة واللغة مقاربة سيميوطيقة** ، مجلة فكر و نقد ، الرباط ، المغرب ، العدد 13.

الشبكة العنكبوتية:

- أحمد : إبراهيم،**إشكالية الجسد في الخطاب العربي الإسلامي**، جامعة عبدالحميد بن باديس الجزائر ،رابط: http://histoirphilo.yoo7.com/t1376-topic
- ترجمة:سماح الشرابي ،**لغة الجسد أسرار وحكايات** ،رابط الكتاب: http://www.lahaonline.com/articles/view/%D9%84%D8%B
- **دراسة حول لغة الجسد ودورها في التواصل مع الآخرين**، رابط: http://iraq.iraq.ir/vb/showthread.php?t=112902
- صلاح الدين :ناصر. **جدلية الجسد** ، الدين ، السلطة السياسية ، جامعة النيلين السودان رابط:
- http://histoirphilo.yoo7.com/t1376-topic
- ولعة:صالح،**سيميائية البنية المكانية في رواية (كراف الخطايا)**،جامعةالجزائر،رابط:
- https://articles.e-marifah.net
- ما هي الفطرة وما دورها في الأخلاق،رابط:

http://samaka.ahlamontada.com/t1953-topic

الفهارس:

الموضوع	رقم الصفحة
الشكر والتقدير	ج
الإهداء	د
ملخص الرسالة باللغة العربية	هـ
ملخص الرسالة باللغة الانجليزية	و
المقدمة	ز

التمهيد:أ-لغة الإشارة وتشكيل المعنى (أفهام نظرية)	١
ب- لغة الإشارة وتشكيل المعنى في التراث اللغوي	٢
عندالجاحظ	٢
عندابن جني	١١
أبو منصور الثعالبي وابن سيده	١٦
ابن حزم الأندلسي	٣٠
ابن رشيق القيراوني	٤١
الفصل الأول:تقنيات المعنى غير اللفظي (أفهام نظرية)	٤٤
أولًا-التقنيات في المكتوب،أ-علامات الترقيم	٤٤
ب-الصور والرسومات	٤٩
ج-العلامات الخارجة عن بنية النص	٥١
ثانيًا:التقنيات في المنطوق،أ-التنغيم والنبر	٥٣
ب- الصمت	٦٠
ج- الجهر والهمس	٦٦
د- الترقيق والتفخيم	٧٢
الفصل الثاني:أنساق الإشارة وايحاءات الدلالة في أحاديث مسلم	٨١
أولًا- لغة اليد	٨٦
ثانيًا- لغة العين	١٢٤

ثالثًا- لغة الفم	١٣٤
رابعًا- لغة الرأس	١٤١
الفصل الثالث:وظائف لغة الإشارة في أحاديث مسلم	١٤٧
أولًا- الوظيفة التوضيحية	١٤٨
ثانيًا- الوظيفة التصويرية	١٥٠
ثالثًا-الوظيفة التنظيمية	١٥١
رابعًا- الوظيفة الجمالية	١٥٢
خامسًا- الوظيفة التأكيدية	١٥٣
سادسًا- وظيفة التورية	١٥٤
الخاتمة	١٥٨
المصادر والمراجع	١٦٠
الفهارس	١٧٠